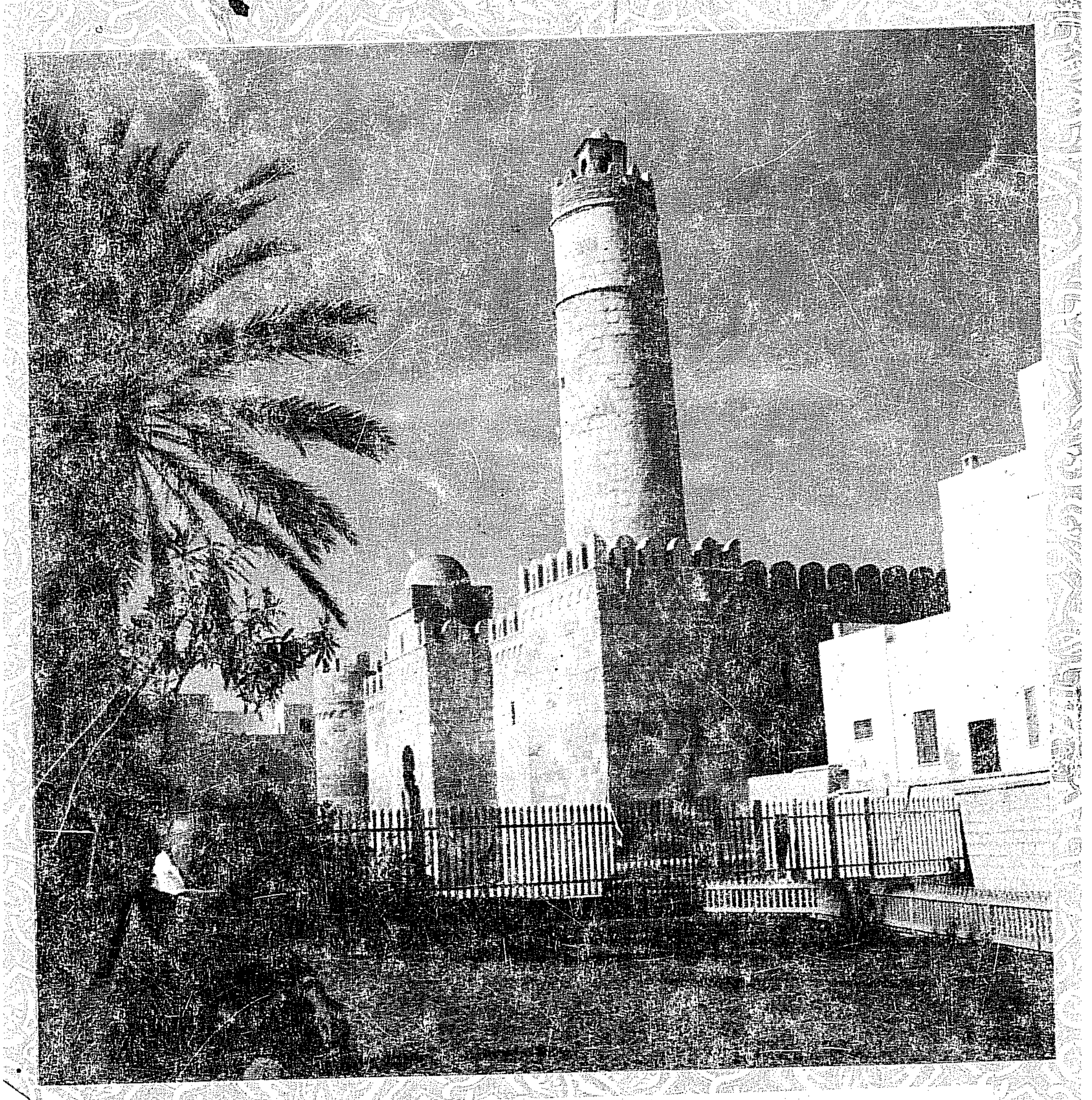
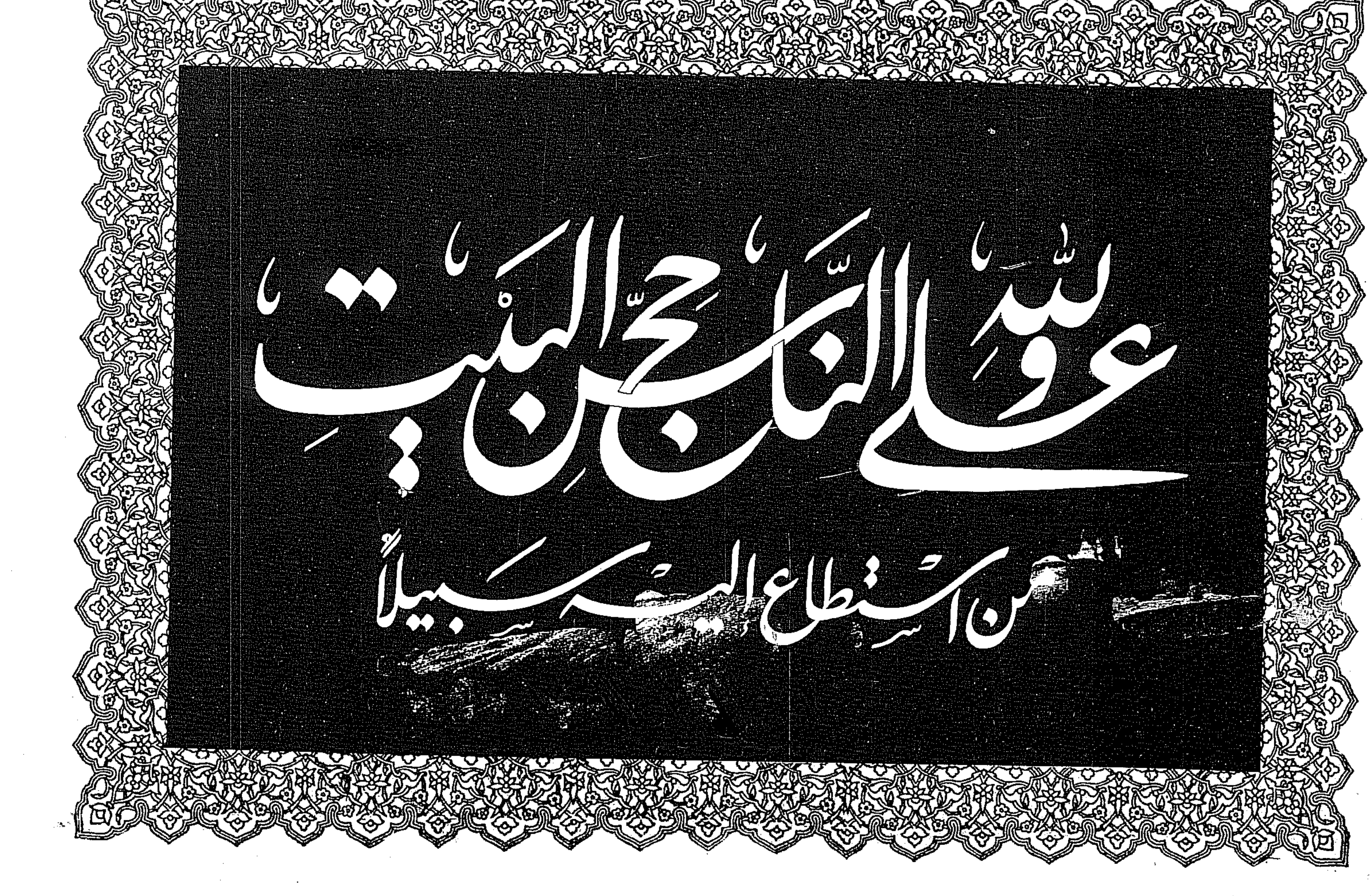
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية



السنة العاشرة ـ العدد ١١٨ ـ غرة شوال ١٣٩٤ هـ ـ أكتوبر ١٩٧٤ م



ولله على الناس حج البيت
من استطاع إليه سبيلا



منارة الرباط بمدينة سوسة بتونس
وتعتبر من أقدم المنائر فى الاسلام .

الوعى الاسلامى

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العـــدد ١١٨

غـــرة شـــوال ١٣٩٤ هـ

أكتوبر ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلاميـة بالكويت فى غـرة كل شـهر عـربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الافراد فشتركون رأسا

مع متعهـد التوزيع كل فى قطره

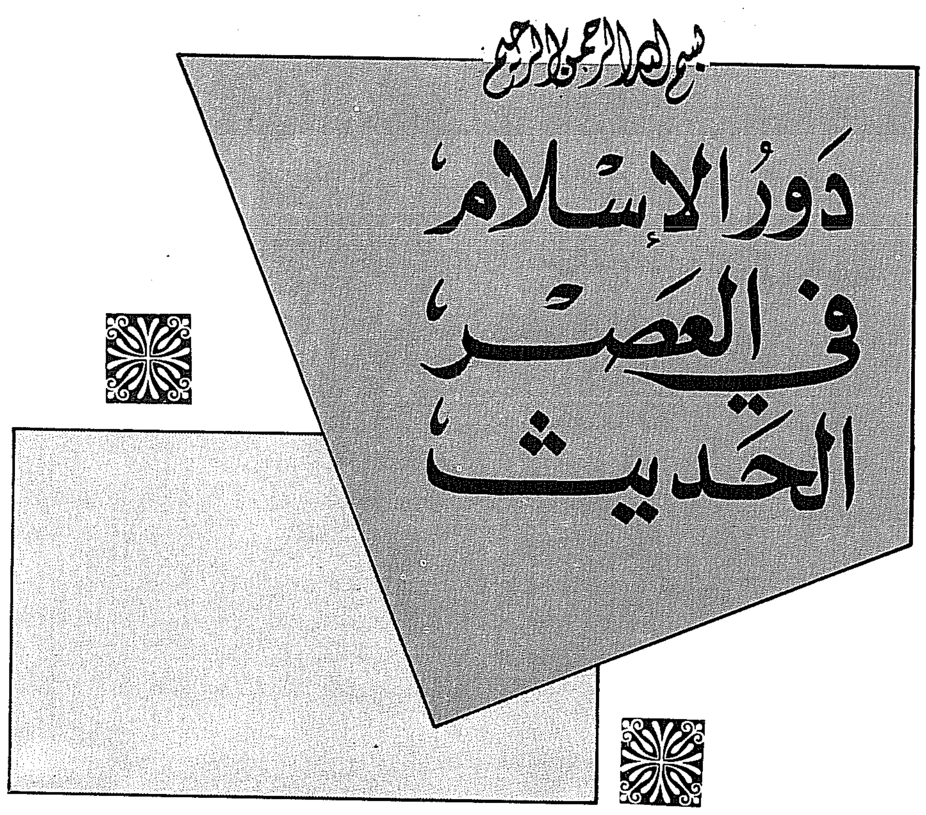
الثمـــن :

الـكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريــال
العـراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـزائر	دينار وربع
المغــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراســلات :

مجــلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشــئون الاســلامية

صــندوق بريد : ١٣ ــ كــويت ــ هــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨



دور الإسلام في العصر الحديث

للدكتور : حسن هويدى

بلغ العصر الجديث ذروة العلوم الطبيعية والكيماوية والكهربية والبيولوجية فهو عصر الذرة والصاروخ وغزو الكواكب . الا أن الذروة يقابلها الحضيض ، فالعصر ينحط الى الحضيض فى الفوضى الفكرية والخلقية ، تتجلى الفوضى الفكرية فى المادية والروحية ، والاشتراكية والراسمالية ، والرجعية والتقدمية ، واليمين واليسار ، والأثرة والايثار ، والحرية والعبودية ، والفرد والأمة ، والنسبية والاطلاق ، والناس فى ذلك بين افراط وتفريط وكل يدعى انه صاحب الحق ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

وتتجلى الفوضي الخلقية فى المظالم الفردية والجماعية ، والأنانية المزرية التى تتضاءل أمامها غرائز الوحوش ، والاباحية المطلقة التى فتحت أبواب الزنا والربا والخمر والميسر والسرقة ، فنتج عن المظالم الفردية فساد ذات البين واكتظاظ المحاكم بملايين الدعاوى حتى مل الناس القوانين والقضاء ، ونتج عن المظالم الجماعية حروب أحرقت الأخضر واليابس فمن الحرب العالمية الاولى الى الحرب العالمية الثانية الى حرب كوريا الى حرب فيتنام الى حرب فلسطين الى ثورات متوالية فى جميع انحاء المعمورة ، وهذه نذر حرب عالمية ثالثة حتى لكأن

الأرض قدر يغلي على النار ، او بركان دائم الانفجار ، يابى الهدوء والاستقرار . ونجم عن الاباحيه عدوان امه على امه واستعباد شعب لشعب واستغلال القوى للضعيف حتى لكان البشر اصبحوا وحوشا كاسرة لا هم لها الا السطو والافتراس ، ونتج عن الاباحيه ترجل المرأة وتخنث الرجل وضياع العفاف ، وهدم الأسرة ، وامراض الزهرى ، وامراض الكحول ، والانتحار ، واللصوصية المنظمة والدجل الهادف ، والكفر بجميع المثل .

وانك لتجد هذه الصورة القبيحة التى تشكل فاجعة القرن العشرين تلف الاكثرية الساحقة من البشر ولم يبق الا القليل ممن يؤمن بالعدل والايثار والعفاف والأمانة والصدق والوفاء . حتى لكأن هذه المثل الفاظ تحتاج الى ترجمة لكي تستسيغها عقول أبناء الجيل وضمائرهم .

هذه حال العصر اليوم .. فما هو الدواء .. ؟

اننا حين نقدم الاسلام علاجا لهذا السقم الفكرى والخلقى لسنا بمغالين ولا متعصبين وانما هى الحقيقة المشفوعة بالحجة والبرهان .

امتاز الاسلام على سائر المبادىء والأديان بدعائم راسخة جعلته الدواء الناجع والبلسم الشافى والنظام الصالح لكل زمان ومكان .

مجال الاسلام فى العقيدة والفكر :

١ ــ الإيمان بالله : إن تعلق المخلوق بعقيدة راسخة معناه الاستقرار الفكرى ومنع الاضطراب والتقلب والتردد ، حتى أن حياة بعض الافراد غير المؤمنين تمضي ولم يصلوا الى اطمئنان او استقرار ولم يقدموا خيرا لانفسهم او لامتهم ألا نزاعا او نقمه او ما تمليه عليهم الريبه والضياع . هذا هو الفرق بين حال المؤمن وبين حال الملحد . فكيف ان كان مؤمنا بالله واحد منزه عن الشبيه والشريك ليس كمثله شىء محيط بكل شىء . قادر على كل شىء . يحاسب على الصغيرة والكبيرة ولا بد من لقائه والوقوف بين يديه ! وقد خلت من أوهام الوثنية ، وخيالات الشعوذة وسيطرة رجال الدين ، وأقامت فى داخل النفس وازعا لا يفارقها ، فهو توحيد نفسى يؤيده العقل ، ويستسلم له المنطق ، فلا يصطدم بتعقيد التعدد ، وتناقضات الآلهة وما ينشأ عن ذلك من اضطراب فكرى وفساد خلقى . ولا يتسع مجال المقال للاستطراد فى اشباع هذه الفقرة أكثر من ذلك ، قال تعالى « أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم » (الملك) . وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : « يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » وقال عز من قائل : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » (الانبياء) .

٢ ــ بين المادية والروحية . ما من دين ولا مبدأ استطاع أن يجمع بين الروح والمادة كما جمع بينهما الاسلام . المادة والروح كلاهما حقيقة واقعة ولذلك وجدنا المبادىء المتعلقة بالمادة وحدها اتصفت بالقسوة والبلادة والظلم وجفاف الحياة من البهجة وخلوها من الرحمة والتعاون والتسامح حتى يمسى الانسان فيها

آلة صماء لا حس لها ولا شعور ولا راحة لها ولا هناء ولا امتياز ولا خيان ، يتحرك بغير ارادته ، ويسكن بغير اختياره ، ويا له من قتل بشع لذاتية الانسان التى امتاز بها على الحيوان ، فهو مسخ تدريجى ، وموت لا شعورى ، وكيف لا يكون موتا وقد خلا من الروح ، وهل الموت الا نزع الروح .. ؟

كما نجد المبادىء التى تعلقت بالروح وحدها على غير هدى واهملت شأن المادة كل الاهمال ، عزفت باتباعها عن الحياة بما فيها من العلوم والصناعة والزراعة والعمران وما يتصل بذلك من الاكتشافات والاختراعات التى تتفجر فيها الطاقات الفكرية الكامنة وقدرة الانسان العجيبة التى تخرج على العالم كل يوم بأصناف الفنون وانواع الصنائع ، وتبارك الذى دفع الانسان الى ذلك دفعا حينما أنزل عليه قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » (العلق) .

اذن نجد أن هذه النزعة الروحية المتطرفة هى فرار من الحياة فلا الاولى اصابت ، ولا الاخرى أجابت ، ولكن الاسلام وحده هو الذى أصاب الهدف ، وأجاب مطالب البشر ، فجمع بين المادة والروح والح على كل منهما بنصوص صريحة ، وخطوط عملية ، وحدود واضحة . يتجلى ذلك فى الصلاة : جسم يتحرك وروح خاشعة . وفى الصيام : ترويض للبدن وتزكية للأخلاق . وفى الحج : سعى وهرولة ودعاء وتلبية . وفى الزكاة : نظام اقتصادى وعمل اخلاقى . وفى قوله تعالى : « وزاده بسطه فى العلم والجسم » (٢٤٧ البقرة) . وفى قوله تعالى : « ان خير من استاجرت القوى الأمين » (٢٦ القصص) وفى قوله تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » (٧٧ القصص) وفى قوله تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » (١٠٥ التوبة) وفى قوله تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » (١٥ الملك) .

٣ ــ سبيل الاعتدال :

يتجلى اعتدال الاسلام بتوسطه بين الافراط والتفريط ويبدو ذلك واضحا بتوسطه بين الاشتراكية والرأسمالية ، وبين الرجعية والتقدمية ، وبين الفرد والأمة .

أ) **بين الاشتراكية والرأسمالية .**

قد يطول البحث اذا أردنا التفصيل فيه ، فلا بد من الاجمال . فمعايب الاشتراكية تظهر فى **نزع الملكية** والقضاء على عنصر المبادرة الشخصية الأمر الذى يصادم أعمق غريزة بشرية وهى **حب البقاء** المرتبطة كل الارتباط بحب التملك **فالانسان الذى لا يملك لا يعمل** ، والذى لا يعمل لا ينتج ولا يحسن الانتاج ، ولذلك وجدنا الإنتاج قل وساء فى جميع البلاد الاشتراكية مما أدى الى تراجع فى بعض البلاد الشيوعية باباحة الملكيات الصغيرة ورسم علاوات لمن يزيد فى الانتاج . وهذا **التراجع وحده طعنة فى صميم الاشتراكية** ينذر بالقضاء عليها فى المستقبل ان لم تفرض على الانسان بالحديد والنار ، فالانسان ليس مجرد آلة يعمل ولا يملك أو

يندفع لتحسين الانتاج باطراد ولو كان الانتاج لغيره ، وهو فوق ذلك محروم الحرية مكبوت الانفاس .

ان مثل هذا الاندفاع ضرب من المستحيل ولذلك وجدنا أن كل نظام يصادم فطرة الانسان وغريزته صائر حتما الى زوال ، طال الزمن أو قصر . وأما معايب الرأسمالية فتتمثل بتضخم المال وما ينشأ عنه من فروق طبقية مخيفة ، وباستغلال الغنى للفقير وما ينشأ عنه من **الربا الفاحش والظلم الفادح والاحتكار والتلاعب بالأسواق** لحساب طبقة خاصة على حساب سواد الناس **والربح غير المشروع** كالربح الفاحش **والقمار والغش** . تلك المعايب التى احدثت ردود فعل عنيفة كان من جملتها النظم الاشتراكية . ولا بد لكل رد فعل أن لا يتصف بالاتزان ، لذلك اشتملت الاشتراكية على عيوب أخرى هى نقائض عيوب الرأسمالية وفى كلتا الوجهتين غلو وتطرف كما بين الافراط والتفريط .

ولكن الاسلام — على ضوء هذا المخطط المجمل — هو الذى خلا من عيوب الوجهتين ، والتزم طريق الاعتدال ، فلم يحرم الملكية **فيصادم فطرة البشر ويقضي على طاقاتهم وفعالياتهم ، وتسابقهم الشريف ، وتنافسهم المطرد** ، ذلك العنصر الأساسى فى المبادرة الشخصية التى هى أساس كثرة الانتاج ، وتحسين الانتاج ، وهذا أساس لا بد منه لصلاحية كل نظام اقتصادى . ولكنه لم يدع الباب مفتوحا على مصراعيه شأن الرأسمالية حتى احتاط دون تضخم المال وما يجر اليه من سيئات **فعالج الامر بشرطين على راس المال ، وشرطين على الربح** — اجمالا دون تفصيل .

اما الشرط الأول المضروب على رأس المال فهو **الزكاة** التى تبلغ فى النقد ٥ر٢٪ بحيث تتحول أى ثروة كانت ، ومهما عظمت ، الى الأمة خلال أربعين سنة ، **ومعنى هذا أن الفرد يهب ماله كله للمجتمع خلال دورة زمنية لا تمتد أكثر من أربعين سنة** ، فتأمل : ومثل هذا لا يوجد فى الرأسمالية .

وأما الشرط الثانى المضروب على رأس المال فهو **الإرث** وهو كفيل بتفتيت الثروات وتحويلها من فرد واحد الى عدة أفراد حسب عدد الورثة ومثل هذا غير متوفر فى النظام الرأسمالى فى اكثر البلاد . وأما الشرط الأول المضروب على الربح فهو **تحريم الربا** الذى يكدس ثروات طائلة بأيدى الأشخاص بغير جهد ولا نصب الا استغلال الفقراء والضعفاء . ولو أحصينا عدد الأثرياء فى البلاد الرأسمالية لوجدنا أكثرهم مرابين ، أساس ثرواتهم الفاحشة مبنى على الربا .

وأما الشرط الثانى المضروب على الربح فهو **القمار** وكل ما يشبهه من الأرباح الفاحشة غير المشروعة التى كثيرا ما تؤدى الى الثراء الفاحش والتضخم المالى بيد طبقة على حساب طبقة أخرى بغير حق .

واحتاط الاسلام أيضا ، وراء هذه الشروط الاربعة ، بقواعد عامة خلت منها النظم الرأسمالية ، وهى تحريم **الاحتكار وتواطؤ التجار ، والاستغلال والربح الفاحش ، والغش ، والتلاعب بالأسعار** الى آخر ما هنالك من سيئات النظام الرأسمالى الذى لم يكن

له اساس من العقيدة يرجع اليه فى تهذيب اقتصاده وفرض نظام على هدى ومنطق سليم . اذن يجد المنصف ان الاسلام جاء العالم بخير الحلول الاقتصادية **عدلا واتزانا وانتاجا وحلوا من الأحقاد ، وبعدا عن ردود الفعل** المتوالية المتمثلة بالافراط والتفريط .

ب) بين الرجعية والتقدمية :

تلك النغمة التي قسمت العالم فريقين واستغلتها السياسة ابشع استغلال حتى كاد يضيع مفهومها ومدلولها ، فكل أمة مالت الى اليسار فتجلى ذلك لديها بالالحاد والاباحية والعنف والقسوة والتحلل من القيود والريبة فهى تقدمية . وكل أمة مالت الى الجمود والثبات على بعض المفاهيم ، والاصطباغ بصبغة الدين ، والتغنى بنوع من الاخلاق ، والارتباط بالقديم .. فهى رجعية . ولكن السياسة كما قلنا مسخت حتى هذا التمييز ، على ما فيه من باطل ، فى دوامتها السريعة واستغلالها المغرض . فان انكلترا مثلا رجعية بالنسبة لروسيا . وان روسيا مثلا رجعية بالنسبة للصين ، وهكذا يجرى التسابق الرخيص دون معايير منطقية حتى أمسى سبابا وشتائم قبل أن يكون تقويما (تقييما) حقيقيا مبنيا على معايير صحيحة ومنطق سليم .

والحق فى هذه المسالة ان كل انسان عاقل يجب أن ينشد التقدم ، والذى لا يتقدم يتأخر حتما . ولكنه **يجب ان يتقدم الى القمة لا الى الهاوية** . اذن فثمة **تقدم محمود** : وهو الصعود المتمثل بالعلوم والصناعة والزراعة والعمران وما يتصل بذلك من اكتشافات واختراعات لا تقف عند حد حتى اوصلت الانسان الى القمر . فمهما تقدم الانسان فى هذا المضمار فهو تقوم محمود ، وسير غير محدود : « وفوق كل ذى علم عليم » (٧٦ يوسف) . وثمة **تقدم مذموم** وهو الانحدار المتمثل فى القضاء على المثل العليا والفضائل المجمع عليها والانغماس فى الرذائل المجمع على قبحها وإيذائها كالكذب والخيانة والمكر والغش ونقض العهد والسرقة ، تلك السيئات التي وجدت لها مرتعا خصبا فى أوساط **أدعياء التقدمية العصرية** لأنهم كفروا بنقائضها من المثل العليا ، **خشية أن يوصموا بالرجعية** .

وكما أن للتقدم نوعين محمودا ومذموما كذلك الأمر فى الرجعية فثمة **رجوع محمود** يتمثل بالرجوع الى الحق مهما كان قديما **ورجوع مذموم** يتمثل بالرجوع الى القديم ولو كان خطأ أو نقصا .

أما الأول فانه الرجوع الى الصدق والوفاء والأمانة والعدل مهما تقادم الزمن . والرجوع الى ما ثبت من الحقائق الرياضية والهندسية والجغرافية وما شاكلها مهما تقادم عليها الزمن ذلك ان ثمة أمورا لا يمسها التطور الى أن تقوم الساعة . ومن الغباوة المخجلة تركها والجنوح الى نقائضها بداعى التقدمية والخلاص من الرجعية . والظاهر أن التعبير بالرجعية كان قديما يتعرض له أصحاب الدعوات فى كل عصر ، حتى وجدنا بعض مناوئى الاسلام يرمون الدعوة الاسلامية بالرجعية ابان ظهورها وتقدمها فيقولون كما حكى القرآن عنهم « ان هذا الا أساطير الأولين » (١٨٣ المؤمنون) .

« ان هذا الا خلق الأولين (١٣٧ الشعراء) . « وقالوا اساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا » (٥ الفرقان) . ولم يحل هذا التعبير بالرجعية دون تقدم الاسلام وظهوره .

وأما الرجوع المذموم فهو التمسك بكل قديم مهما كان ولو تبين خطؤه ، أو ظهر خير منه ، وأجدى على الفرد والمجتمع ، كمن يصر على وسائل الزراعة والصناعة والعمران التى كانت تستعمل قديما ، ويحول دون العلوم العصرية التى قطعت شوطا عظيما فى التقدم ، فهل لمثل هذا مبرر من عقل أو شرع .. ؟! لا يمكن ان يوصف مثل هذا بغير الغباوة والجريمة . ولمثل هذا يقال بحق إن دولاب الزمن لا يرجع الى الوراء .

وعلى ضوء هذا التقسيم الواضح المنطقى فى التقدمية والرجعية نجد ان الاسلام كان وسطا بين النظرتين الجائرتين بعيدا عن أكاذيب السياسية ، محفوظا من التسابق غير الشريف ، لا يوزع الالفاظ جزافا ، ولا يتغنى بالالحان الفارغة ، فهو ينشد **التقدم المحمود ويحض عليه ، ويرجع الى الحق مهما كان قديما ويصر عليه** . وبذلك تضمن أسباب البقاء والخلود ، واشتمل على عناصر الحياة الباقية للفرد والمجتمع وان شئت فاقرأ قوله تعالى : « أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا » (٦١ النمل) « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (١٦٤ البقرة) . « والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » (٣٨ يس) . « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » (٥ الزمر) والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الدالة على ذلك من أمور الزراعة والصناعة والفلك وما اليها ، تكاد لا تحصى ، ولا يتسع المجال للتفصيل فى ذلك أكثر .

جـ) بين الفرد والأمة :

غالت بعض النظم فى قيمة الفرد حتى جعلته إلها يعبد من دون الله فنشأ من ذلك الحكم الدكتاتورى والفاشي والنازى وكانت الأمة فريسة لطغيان الفرد فكم ديست كرامات ، وانتهكت حرمات ، وكبتت حريات ، بسبب ذلك الحكم الفردى الجائر الذى هدر حقوق الأمة وسلبها كرامتها وحريتها . وادعت بعض النظم ان الحكم للأمة ولا قيمة للفرد فهو مسمار فى عجلة الجماعة ، فلا رأى له ولا قدسية ولا حرية ولا كرامة . فاقتيد الناس كالبهائم ، وخشروا حشر السوائم ، وسجنت جحافل فوق جحافل ، ككتل بشرية تزجر كما تزجر الآلات الصماء ، وتسخر كما يسخر الارقاء ، ويتمنون لو استطاعوا الصراخ ، الصراخ فقط للتعبير عن الألم ، فلا يستطيعون !

أما الاسلام ، وهنا تتجلى العظمة والاعجاب البالغ ، فهو الذى الف بين حقوق الفرد والجماعة دون أن يهدر كيان الفرد ، أو يعتدى على الجماعة . الخليفة يحكم وله على الناس الطاعة ، ولكن ان اعتدى وظلم ، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ،

وان زل وأخطأ ، قامت اليه امرأة تصحح له ، فيقول : (أصابت امراه واخطأ عمر) . وان اراد ان يستبد فالأمة له بالمرصاد ، وان اراد ان يستأثر برأيه ويضرب بآراء الناس عرض الحائط خوطب بالآية الكريمة « وشاورهم فى الأمر » « وأمرهم شورى بينهم » وان أراد أن يستهين بفرد واحد باعتداء او حرمان حق أو هدر دم زجرته الآية الكريمة التى تشير الى قدسية النفس الانسانية وحمايتها « من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » (٣٢ المائدة) . للفرد حقوقه وحدوده وللأمة حقوقها وحدودها والجميع يعملون يدا واحدة فى وحدة متماسكة كالجسد الواحد « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » (٤ الصف) وكما أخبر عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

مجال الاسلام الخلقى :

لا احد يستطيع ان ينكر الواقع البشرى المنحط من الناحيةالاخلاقية . **فالظلم والاباحية والأنانية** كل رزية من هذه الرزايا ، لعبت دورها الكبير فى المجتمعات البشرية الحاضرة ، وانحط فيها الخط البيانى الى الحضيض ..

تعالى معى الى دور القضاء ، ومكاتب المحامين ، وسجلات الجرائم فى كل العالم ، لترى الى اى حد بلغت المظالم الفرديه واى رقم بلغت الجريمة ، فالفرد اعتاد الظلم ودرج عليه ، والقضاء فاسد ليست فيه عقوبة رادعة فى الأغلب ، والمحامون كثير منهم تجار مادة على حساب ضمائرهم ، اضرموا نيران الجرائم لكى تمتلىء جيوبهم ، والحكام كثير منهم زور عن الحق ولو ظهر جليا لأعينهم . كل اطراف القضية متواطئون على الجريمة . وكل اسوار الحمى منتقضة ، حتى ضجت الأرض من ظلم أهلها . فأين يجد العدل مأمنه ويحظى الحق بحماه .. ؟!

هنا يبرز دور الاسلام العظيم فى تهذيب الفرد واقامة وازعه الداخلى الذى يرافقه حتى الممات مبنيا على مراقبة الله وخشية الوقوف بين يديه واليقين بزوال الدنيا وبقاء الآخرة .. وفى صلاحية مادة القضاء التى تضع الامور فى نصابها : « ولكم فى القصاص حياة يا اولى الألباب » وفى تقويم الضمائر حتى تحكم بالعدل وتقول الحق ولو كان على النفس أو الوالدين والأقربين « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » فالمحامى والحاكم والشاهد انما هم موازين حق يحاسبون على الذرة والقطمير « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ذلك أن الحاكم يتمثل قول الرسول عليه الصلاة والسلام « ان المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن » وقوله عليه الصلاة والسلام « قاض فى الجنة وقاضيان فى النار » والشاهد يتمثل قوله تعالى : « لا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه » ووعيد

رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما جعل شهادة الزور من اكبر الكبائر . واصبح المحامى يخشى ان دافع عن ظلم وباطل ان يكون رزقه سحتا « وكل لحم نبت من سحت فالنار أولى به » فما أحوج العصر لنور الاسلام .

ثم تعال معى نحصى حصاد الاباحية ان كان يمكن الاحصاء :

كم فتكت الاباحية فى كيان البشرية بالزنا والربا والخمر والميسر بداعى الحرية الزائف ، وسرابها الخادع ، تعال معى الى عيادات الأطباء وسجلات المستشفيات فى شرق الارض وغربها لترى ما يذهل العقول من أرقام **ضحايا الزنا والربا والخمر والميسر** . ان أنواع الأمراض الزهرية من الافرنجى والسيلان والقرحة اللينة ، وأنواع التسمم الغولى من تشمع الكبد وقرحة المعدة وتصلب الشرايين وعدد ضحايا الانتحار من جراء الربا والقمار انتشرت فى جميع انحاء المعمورة وتزايدت ارقامها باطراد حتى عجز الطب عن المعالجة وسرى المرض من الآباء الى الابناء ومن الاجداد الى الاحفاد ويكفى أن تعلم أن اكثر اسباب السكتة القلبية (الجلطة) والسكتة الدماغية عائد الى الخمر والافرنجى حتى تعلم ما تجره هاتان الغائلتان على العالم من شرور . وهنا نذكر دور الاسلام العظيم الذى ينادى بأعلى صوته « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا » .

وشرع العقوبة الرادعة حتى لا يبقى الحكم نظريا لا فائدة منه فقال : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » ثم شرع عقوبة التعزير لشارب الخمر كما ثبت فى السنة الصحيحة بل ورد وجوب قتله ان اصر على المعصية جهارا ولم يرتدع .

والاثرة (وهى الانانية) ذلك الداء الوبيل الذى أصبح يتحكم بتصرفات الأفراد والجماعات حتى كاد يكون اس جميع المفاسد وطابع جميع الاعمال ، بل تأصل فى النفوس وطغى عليها حتى نسيت عاره ، وانسجمت معه فاحتكمت اليه فأصبح مقياسا للاندفاع فى العمل أو الاحجام عنه ، فالعمل بمقدار ما يؤمن لك مصلحتك الخاصة يكون عملا صالحا يجب الاقدام عليه وبمقدار ما ينافى مصلحتك الخاصة يجب الاحجام عنه ولو كان فيه نفع غيرك أو نفع الأمة قاطبة . . يا سبحان الله كيف انقلبت المفاهيم ومسخت الأخلاق . . ؟!

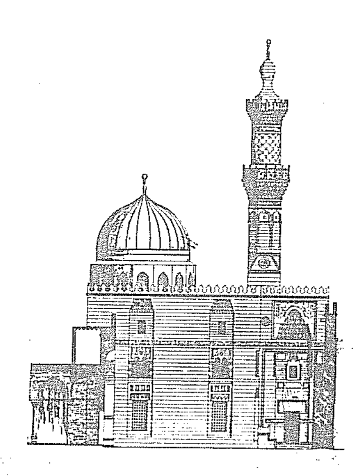
ولك أن تتصور بعد ذلك هول الانحدار الذى تتردى فيه الانسانية الى هوة سحيقة عرفت أولها ولا يمكن أن تعرف آخرها لأن قعر جهنم لا يعرف له مدى الا فى علم الله تعالى .

هنا تبدو عظمة الاسلام أيضا الذى يأبى الا أن يبنى الاخلاق على اساس متين والا أن يحل المشكلات حلولا جذرية « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم » فاذا كانت حضارة العصر تبنى أخلاق بنيها

على الانانيـــة المقوتة فان اخلاق الاسلام مبنية على الايثار والغيرية « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وبهذا الدستور الخالد تحسم اكثر الجرائم التى إن بحثنا عن أسبابهـــا العميقة وجدناها ترجع الى انانيـــة ممقوتة تخفى تحتها اقبح صور الحقد على الناس . ولا يتسع المجال لضرب كثير من الأمثلة العملية التى تفضح سوءات الأنانية وتفضح عن جمـــال الغيـــرية ، فـــذلك يستقل وحـــده بموضوع ، وانمـــا كان البحث على مستوى الأصول لا الفروع .

بهذا العرض السريع المجمل يتبين ما للاسلام من دور عظيم فى اصلاح حياة الافراد والجماعات لاسيماالعصر الذى نعيش فيه فانه بقدر ما تكون الارض عطشى تحتاج الى المـــاء ، وبقدر ما تحتبس الانفاس ، تحتاج الى الهواء ، وان نظرة فاحصـــة مجردة تتمتع بالنزاهة كافية للاقتناع بصلاحية هذا الدستور الالهى العظيم ليخرج الناس من الظلمات الى النور وان غدا لناظره قريب وما ذلك على الله بعزيز .





للاستاذ : محمد عزة دروزة

لم نطلع على وثيقة تاريخية قديمة يصح الاعتماد عليها فيها ذكر لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام اقدم من سفر التكوين أول أسفار العهد القديم المتداولة اليوم والذى لا يحمل أى دلالة على انه وحى ربانى او املاء من موسى عليه السلام او نبى آخر ، والذى حوى الغث والسمين والخيال والمفارقة والحقيقة والذى فيه دلائل قوية وعديدة على انه كتب بعد موسى عليه السلام بمدة طويلة وبعبارة اخرى بعد الوقت الذى وجد وجود ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فيه بأكثر من الف عام على ما شرحناه فى مقال سابق لنا فى الوعي بعنوان : أين هى توراة موسى عليه السلام .

وجل ما ورد فى هذا السفر عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام هو خبر قدوم ابراهيم ولوط عليهما السلام مع سارة زوجة ابراهيم الى أرض كنعان وهو الاسم الذى كان يطلق على فلسطين فى غرب الاردن وولادة اسماعيل واسحق ويعقوب عليهم السلام واولادهم وطرف من سيرتهم فيها ومخاطبات وتجليات ووعود ربانية لهم . وليس فيه شىء مما يعود الى حياة ابراهيم عليه السلام قبل قدومه الى أرض كنعان إلا شيئا يسيرا جدا وهو ما ورد فى اصحاحه الثانى عشر من أنه هو وأبوه ولوط ابن أخيه وزوجته سارة خرجوا من اور الكلدانيين لينطلقوا الى أرض كنعان وجاءوا الى حاران ارام النهرين ثم أمر له بالانطلاق الى هذه الأرض فانطلق اليها هو ولوط وزوجته دون الأب .

هذا فى حين أن فى القرآن الكريم أشياء كثيرة عن حياته قبل قدومه الى ارض كنعان وبعده ليس منها شىء فى هذا السفر .

ولقد ذكر ابراهيم عليه السلام فى خمس وعشرين سورة منها (١٣) مكية وذكر فى بعضها أكثر من مرة . وذكره فى بعضهـا مقتضب وفـى بعضها مسهب . وفى بعضها بعض المطابقة مع ما جاء فى سفر التكويـن من سيرته فى أرض كنعان .

وفى بعض ما جاء فى القرآن الكريم اخبار عنه بعد قدومـه الـى ارض كنعان لم ترد فى سفر التكوين .

ومما ذكر فيه اخبار عن حياته فى قومه قبل قدومه الى هذه الأرض لم تذكر كذلك فى هذا السفر .

ومن ذلك خبر استنكاره عبادة أبيه وقومه للأصنام ونظرته فى النجـوم ونبذه لها واتجاهه بهدى الله نحو الله حنيفا موحدا وحجاجه مع قومه فى ذلك . وهو ما جاء فى سورة الأنعـام منـه هـذه الآيات (**وإذ قـال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك فى ضـلال مبين . وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا احب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن مـن القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما افلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاوماانا من المشركين.وحاجهقومهقال أتحاجونىفى اللهوقدهدان وما اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علمـا أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما لـم ينزل به سلطانا فاى الفريقين احق بالأمن ان كنتم تعلمون . الذين آمنـوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنـا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم**) ..

وقد جاء فى آخر السورة هذه الآيات خطابا للنبى صلى الله عليـه وسلم (**قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم . دينا قيما ملة ابراهيـم حنيفا وما كان من المشركين . قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وانا أول المسلمين** ..) .

وجاء فى سورة النحل هذه الآيات (**ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا وما كان من المشركين . شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيـم وآتيناه فى الدنيا حسنة وهو فى الآخرة من الصالحين . ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين** ..) .

ومن ذلك جداله مع أبيه وقومه فى صدد عبادة الاصنام . وجاء ذلك فى سور مريم والأنبياء والشعراء والعنكبوت والصـافات والزخـرف والممتحنة.واشملها ماجاء فىسورة الأنبياء هذا : (**ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى انتم لهـا عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فـى ضلال مبين . قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين . قال بل ربكـم رب**

السموات والأرض الذى فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم .. قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون .. قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم . وارادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين . ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين . ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) ..

ومن ذلك ايضا ما جاء فى سورة ابراهيم فيه حكاية اسكان ابراهيم من ذريته عند بيت الله المحرم ودعائه وهذا هو : (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام . رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم . ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم مانخفىوما نعلن وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولافى السماء . الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحق إن ربى لسميع الدعاء . رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء . ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) ..

وما تقدم هو قرآن مكى . وفى القرآن المدنى فصول عديدة من ذلك.

ففى فضل اتباع ملة ابراهيم هذه الآية (ومن أحسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ..) .

وفى كون ما عليه المؤمنون هو ملة ابراهيم هذه الآية فى آخر سورة الحج (وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ..) .

وفى سورة البقرة فصل طويل فى صدد رفع ابراهيم واسماعيل قواعد البيت ودعائهم . منه هذه الآيات : (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين . واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود . واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذ يرفع ابراهيم القواعد

من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنـــا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انـــك أنت التـواب الرحيـم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم . ومـــن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربـــه اسـلم قـال اسلمت لرب العالمين ٠٠) .

وفى سورة البقرة ايضا هذا الفصل فى حكاية حجاج بين ابراهيم وملك بلاده (**ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال انا احيى واميت قال ابراهيم فان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين) .**

وفى سورة الحج فصل طويل فيه أمر الله لابراهيم بان يطهر البيت ويؤذن فى الناس بالحج وهو هذا (**ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم . واذ بوأنا لابراهيـــم مكـان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نـــذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم الأنعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور . حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق ٠٠) .**

وفى سورة آل عمران فصل فيه توكيد لأمر الله باتباع ملة ابراهيم وبأن اول بيت وضع للناس هو الكعبة وايجاب حجه على المستطيع (**قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيـــلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ٠٠) .**

ويتبادر لنا والله اعلم ان فى جملة (ملة أبيكم ابراهيم) الواردة فى الآية الاخيرة من سورة الحج مفتاحا لفهم حكمة ماورد فى القرآن الكريم من كل ما تقدم . فقد نبهت المؤمنين الذين كان جلهم عربا حجازيين الى ما يعرفونه ويتداولونه جيلا بعد جيل من انتسابهم بالنبوة الى ابراهيم عليه السلام . وهذا التنبيه شامل كما هو المتبادر لجميع العرب وبخاصـــة الحجازيين مؤمنيهم ومشركيهم معا .

ومن المتواتر الذى يكاد يكون يقينا ان هؤلاء العرب كانـــوا قبـــل الاسلام يتداولون خبر اسكان ابراهيم عليه السلام لاسماعيـــل عليـــه السلام فى وادى مكة . وأن اسماعيل عليه السلام عاش وكبر وتزوج من العرب فكانوا ذريته . وأن ابراهيم واسماعيل ابنه عليهما السلام همـــا

اللذان بنيا الكعبة بيت الله الحرام . وان تقاليد الحج هى من وضع ابراهيم عليه السلام بأمر الله . فرددت آيات البقرة وآل عمران والحج ذلك لتقول لهم ان ملة ابراهيم عليه السلام هى توحيد الله ونبذ الشرك والأصنام والنجوم التى نبذها وعبادة الله وحده . وانه قال ان من اتبعنى فهو منى وانه دعا الله ليجنب ذريته الأصنام التى أضلت الناس وانه هو واسماعيل عليهما السلام دعوا الله بأن يجعل من ذريته امة مسلمة وان يبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . وان الله قد استجاب لدعائه فبعث الله فيهم نبيا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم وان عليهم أن يتبعوه وينبذوا الشرك وعبادة الأصنام ويعبدوا الله وحده لتصدق نسبتهم اليه ويكونوا حقا وصدقا ابناء ابراهيم وعلى ملته حنيفا مسلما وما كان من المشركين .

وفى سورة الممتحنة فصل رائع فى موقف ابراهيم عليه السلام والذين معه من قومهم الكفار ودعوة للمؤمنين العرب الى التأسى به تأسيسا على ذلك وهو (**يأايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . أن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون . لن تنفعكم ارحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعلمون بصير . قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شىء ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير . ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم . لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتولى فان الله هو الغنى الحميد**) . وشاءت حكمة الله أن يبعث فيهم الأمل وان لا ييأسوا ويعتبروا القطيعة مستمرة بينهم وبين بنى قومهم فتشتد اشجانهم وان يؤذنهم بأن المطلوب منهم هو عدم تولى الأعداء المحاربين المؤذين لهم منهم وبأنه لا حرج عليهم أن يبروا المسالمين ويقسطوا اليهم فجاءت هذه الآيات بعد تلك (**عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم . لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون**) .

ويظهر ان النبى صلى الله عليه وسلم وبعض المؤمنين لما أوحى الله بأن ابراهيم وعد أباه بالاستغفار واستغفر له كما جاء فى آيات عديدة منها آية فى سورة مريم (**سلام عليك ساستغفر لك ربى انه كان بى حفيا**) وآية فى سورة الشعراء (**واغفر لابى انه كان من الضالين**) ظنوا ان ذلك من ملة ابراهيم التى هم عليها وان لا حرج عليهم من الاستغفار لاقاربهم الموتى المشركين فنبههم الله الى خطأ اجتهادهم فى آيات سورة التوبة هذه

بأسلوب رائع حاسم (**ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم**) .

ويظهر أن أهل الكتاب بعد الهجرة حينما دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى اتباعه قالوا لهم بل نحن ندعوكم لأننا أهدى منكم فرد عليهم القرآن فى آيات سورة البقرة ردا قويا حيث جاء فيه (**وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم . صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون . قل اتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون . أم تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون** ..) .

ويظهر انهم عادوا الى الحجاج فى موقف آخر وقالوا انهم على ملة ابراهيم فرد عليهم القرآن ردا قويا فى آيات فى سورة آل عمران وقرر ان أولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه والنبى صلى الله عليه وسلم (**يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون (١) . ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون . ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين** ..) .

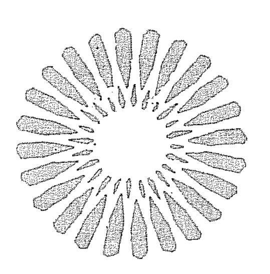
ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة اتخذ بيت المقدس قبلة بدلا من الكعبة التى اضطره المشركون الى الابتعاد عنها والهجرة الى المدينة فاخذ اليهود يتبجحون ويقولون للمؤمنين انهم هم الذين يهتدون بهداهم ويستقبلون قبلتهم . فشق ذلك على النبى والمؤمنين ودعا الله ان يهديه الى ما هو خير فأمره الله باستقبال الكعبة فحنق اليهود وأخذوا يشغبون ويشككون المؤمنين ويقولون لهم اذا كان استقبال بيت المقدس هو الحق فيكون النبى قد أضاع عليهم صلاتهم الآتية وان كان استقبال الكعبة هو الحق فيكون قد أضاع عليهم صلاتهم السابقة ولا يصح هذا من نبى . فرد الله عليهم فى آيات سورة البقرة هذه (**سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم . قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب**

ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون . ولئن أتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين . الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون . الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) (٢) .

ويلفت النظر الى جملة **(وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم)** حيث يفيد هذا انهم كانوا يعترفون ان ابراهيم هو الذى بنى الكعبة وهى أقدم بمئات السنين من مسجدهم فى بيت المقدس فيكون استقبال الكعبة هو الأحق الاهدى .

ويظهر أنهم عادوا الى الحجاج فى ذلك فرد عليهم القرآن ثانية فى آيات سورة آل عمران التى أوردناها قبل **(قل صدق الله .. الخ)** .

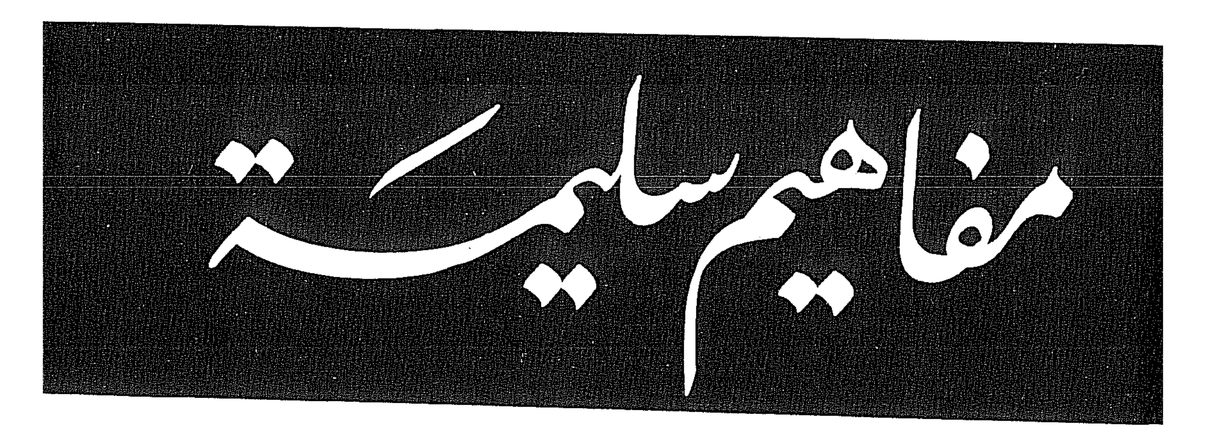
واوضح من كل ما تقدم ان قصص ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فى القرآن تدور فى نطاق ما نبهنا عليه فى مقال سابق لنا فى (القصص القرآنية) وهو انها مما ليس غريبا على السامعين . ومما هدف فيه الى العبرة والموعظة . وتدعيم الرسالة والنبوة المحمدية . وننبه هنا على مانبهنا عليه فى ذلك المقال وهو أن من واجب المؤمن أن يقول آمنا به كل من عندربنا ويقف عندما وقف عنده القرآن دون تزيد ولا تكلف مستشفا الحكمة مما اقتضت حكمة التنزيل ايحاءه بالاسلوب الذى أوحى به . والحمد لله رب العالمين .



---

(١) المراد والله اعلم أن اليهودية والنصرانية صارتا ملة اليهود والنصارى نتيجة لنزول التوراة والانجيل وبناء عليهما .

(٢) المتبادر والله أعلم أن توجيه الله للرسول الى بيت المقدس كان على ما تلهم الآيات اختبارا للمؤمنين وبخاصة المهاجرين أهل الكعبة الذين يعرفون ان الكعبة هى بيت الله الحرام ومكان حج العرب جميعهم . حتى يمحصهم ويظهر من الذى يؤمن بكل ما يأمر الله ورسوله ويطيعونهما ويستغرقون فى ذلك فى كل الاحوال ولو كان فيما يؤمرون به شىء مما لا يحبون .



للدكتور محمد على الزغبى

الاستشهاد بالآيات مبتورة ، ديدن الذين ضلوا على علم ، أو استعذبوا الحياة فى ديجور جهل ، وقلبوا الدواء داء عضالا .

١ ـ قد يتلو الجبرى قوله تعالى :

« إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » ويعلق عليها قائلا :

« إن الله اختار من الأزل فريقا للجنة وفريقا للنار ، ولـذا سيذهب سعى الساعين وعمل العاملين عبثا ، اذ السعادة قبل الولادة ، وليس الانسان الا ريشة فى الهواء اذ الله عمل بيد الانسان خيرا أو شرا وقال بلسان الانسان صدقا أو كذبا » .

هذا ما يفهمه الذين يصدرون الأحكام المرتجلة مستندين لتلاوة الآيات مبتورة ، لقد فاتهم ان الآية مسبوقة بهذا النص :

« إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون » ..
« إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » .

وواضح أن القرآن يصور الأصنام محروقة أمام عابديها تحذيرا لهم وتنبيها الى أن المحروق لا يعبد .. !

وقد توهم بعضهم حين نزول الآية ، أن كل معبود من دون الله يحرق وادخلوا فى هذه الكلية الرسل والأنبياء والحكماء الذين عبدهم الغلاة ، ولكن الوحى صحح هذا المفهوم بقوله : « ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » يعنى أن الرسل والأنبياء والحكماء والعظماء الذين عبدوا ، سواء كانت فلسفة عبادتهم قائمة على الحلول أو الاشراق أو الانبثاق أو التجلى أو التجسد أو التأنس .. ليسوا مسئولين عن انحراف الغلاة الذين عبدوهم لأنهم (الرسل والانبياء والعظماء) لم يأمروا الناس بالانحراف .

٢ — وقد يستشهد بعض الناس بشطر من الآية مثلا :

« أتريدون أن تهدوا من أضل الله » .

وفاتهم أن القرآن سبيل للهداية وعصمة من الضلال « فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى » كأنهم ظنوا الله يرسل شمس الهداية لقوم ويحجبها عن آخرين دون سبب .

فاتهم هذا فلم يقرأوا الآية بنصها الكامل :

« فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله » .

اذ لو قرأوها كاملة لرأوا المنافقين راسبين بسبب أعمالهم ، لأنهم ضلوا طريق الهداية ، ومن يتنكبه عمدا واختيارا فقد طلب طريق الضلال فوجده أو تخلى عن الله فتخلى الله عنه ، وهذا معنى الضلال (أضل الله) .

٣ — وأن يردك بخير فلا راد لفضله :

هذه الآية يتخذها بعضهم دليلا على أن الله يعطي ويمنع ارتجالا ، ولو راجع القارىء الآيتين ١٠٧ و ١٠٨ من سورة يونس لرآهما في معرض التنبيه على أن الاصنام لا تنفع عابديها ولا تضرهم أي لا تكشف عنهم ضررا ولا تحول دون ايصال النفع .

٤ — قل كل من عند الله :

يذكر الجبريون هذه الفقرة مبتورة من الآيات حين محاولاتهم التنصل من الشر تعليقا على كلمة « الخير من الله والشر من الناس » يحاولون التنصل غير عالمين أن يهود المدينة كانوا اذا أصيبوا بقحط قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآله : « القحط بسبب قدومك المدينة » ، ولكن الله رد عليهم بقوله : « قل كل من عند الله » أي إقبال الزراعة والثمار وقحطها من عند الله ، ليس لقدوم رسول الله شأن في ذلك كله ..

٥ — فالهمها فجورها وتقواها :

من الفهم الملتوي وقوف الجبريين طويلا عند آية « فالهمها فجورها وتقواها » يرددونها دون فهم ، ليضعوا تبعة أعمالهم على الله لأنه طبعا بمفهومهم الهم الانسان الشر .. !

أواه : لو علموا ان (الهم) هنا بمعنى عرف لا معنى ارغم أو اجبر ، اذ لا يتفق الجبر والنهي ومن المستحيل أن يلهمنا أي يجبرنا الله على ما نهى عنه .. !

لقد عرّفها ما ينبغي أن تذر من خير أو شر أو طاعة أو معصية ، لتميز رشدها من غيها ، اذ النفس قطعة بيضاء نستطيع المحافظة عليها نقية

ناصعة ، ونستطيع غمسها فى مستنقع الضلال وقد علق الله فلاحنا على المحافظة وخيبتنا على القصور فقال « قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » أى لوثها ، ولا يعلق الفلاح والخيبة الا على ما نستطيع تحقيقه ، اذ « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » . الا لقد بيَّن الله للانسان طريقى الخير والشر فهداه النجدين ، أى أوقفه فى الطريق ذى المفترقين « إما شاكرا وإما كفورا » وقدّره على التمييز بينهما ومتعه بنعمة الاختيار .

٦ ــ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر :

هذا موضوع تحدث فيه القرآن عن ثروة قارون التى دفعته للغطرسة وافضت للخسف والدمار وقد صوّر القرآن الذين « أوتوا العلم » بعدم تمنى مثلها وصور محبى العاجلة بالجشع والتمنى ثم قال بلسان حال أهل العلم :

« ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر » والآية هنا تعرض موضع العبرة لنعلم أن وجود المال بيد شخص ما ليس دليلا على أن الله يحبه ويكرمه ، وتجريد شخص من المال ليس دليلا على أن الله لا يحبه ، اذ المال حطام لا يحجبه الله عمن سار فى طريقه سواء كان الطريق مستقيما أو ملتويا ؛ عملا بناموس الاختيار الذى استلزمه نظام التكليف .

٧ ــ وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله :

هذه جاءت بعد « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا » أى لو شاء لجعل الانسان مرغما على الهداية والايمان ، لكنه لم يشأ اذ منحه حرية الاختيار وهى والجبر لا يلتقيان ..

لقد علم سبحانه أن فلانا سيعطى حرية الاختيار ولا يستفيد منها مختارا ، وبذا يعرض عن الايمان مختارا ، ولو شاء الله لأرغمه ، ولكنه تعالى لم يشأ ! اذ لو أرغمه لأبعده عن دائرة المكلفين والحقه بنظام الكون .. !

٨ ــ فريق فى الجنة وفريق فى السعير :

لا تعنى ان الله صنف عباده مذ قرر ايجادهم بل تعنى أنه علم أن قوما منهم يستفيدون من الحرية والاختيار ويعبدّون طريقا يفضى الى الجنة مع قدرتهم على الانحراف ، وبعضهم يمل الحرية والاختيار ، ويسير على طريق ملتوية زاعما أن الله كتبه فى الفريق الهالك ، فينحرف مع قدرته على الاستقامة .

وذلك لأن باب رحمة الله : « الايمان به والوقوف عند حدوده » مفتوح ، اما الذين اعرضوا عنه ، فاعراضهم باختيارهم ، لقد اعرضوا وهم قادرون على عدم الاعراض ... !

لقد غزت المفاهيم السقيمة قوما ، فصوروا الله مرتجلا يقسم عبـاده فريقين احدهما للجنة والآخر للنار ، ناسين الآيات التى تهب عامل مثقال الذرة ما يناسب جهوده ..

على أن قوله تعالى : « فريق فى الجنة وفريق فى السعير » ليس قرارا يجب تنفيذه بل حكاية عن واقع الحال كقوله : « وهو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن » أى لم يخلقكم ليرغم بعضكم على الكفر وبعضكم عى الايمان ، بل ان قانون الاختيار سوغ لبعضكم أن يعيش مؤمنا باختياره ولبعضكم أن يعيش كافرا باختياره .

فكأن الله ــ له المثل الأعلى ــ ملك أمر رعيته أن يخرجوا لاستقباله ، فخرج بعضهم فارسا ، وبعضهم راجلا ، فقال : « أنا أعلم أن بعضكم يملك ثمن جواد وبعضكم لا يملك » ، ومعلوم أن قوله هذا لا يعنى أن الملك أفقر بعضهم دون سبب ، وأغنى بعضا دون سبب .

٩ ــ والله خلقكم وما تعملون :

يشحن قلبى ألما ، الاستشهاد بفقرة من آية ، اذ كثيرا ما سمعت قوما يذكرون هذه الفقرة بسياق طلب المعذرة للمنحرفين ، كأنهم يرونه تعالى خلق ما يفعلون مما نهى عنه ، متناسين نص الآية الكامل « أفتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون » .

الآية تقص جهاد سيدنا ابراهيم اذ قال لقومه « الله خلقكم وخلق المادة التى نقشتموها أصناما فهلا عبدتم يديكم التى نحتت ونجرت » .. ؟

١٠ ــ زينا لكل امة عملهم ــ زينا لهم اعمالهم :

ان الله لا يزين للناس ، الا ما ينفعهم قال تعالى « ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان » .

اعنى أن الله لا يقصد الأغواء بل التخلي عن المنحرفين لأنه تعالى لا يخدع ولا يزين سوءا ولا يغوى ، ولا يبدأ احدا بحرب بل يحبط مؤامرات الخداعين والماكرين ومزينى السوء والمغوين والمغرين ، ذلك لأن الاغواء مثلا اذا أسند لله يعطى معنى الجزاء ، والدليل على ذلك قوله تعالى : « فسوف يلقون غيا » أى جزاء ، وعلى هذا الضوء نفهم قوله : « ان كان الله يريد أن يغويكم » أى ان يجازيكم بسبب أعمالكم الملتوية .

١١ ــ لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا :

نصر الله المسلمين يوم بدر ، فكان نصرهم شجى فى حلق اليهود وحلفائهم من سدنة الأصنام ، كما كان تقهقرهم عيدا لدى أولئك اليهود والسدنة .

نزلت الآيات تنادى « لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » لأنه تعالى يكتب النصر للجديرين والكسر لسواهم من أى قوم وعقيدة وديار .

هذا ما يفوح من أريج هذه الآيات الكريمة ، ولــكن المتواكلين أو ذوى النيات المبيتة لا يحبون ادراك هذه الحقائق ، ولذا يضعون تبعة الكسر على الأقدار ، لا على قصورهم وتفريطهم بل وتواطئهم مع العدو ، ويجــدون من الآيات التى يفسرونها (على كيفهم) دعامة ولو واهية تبرر انحرافهم .

راينا فى المفاهيم السليمة صورة أكاد أراها طبق الأصل عما كنا عليه ، فى النصف الأول من القرن الهجرى الأول ، ثم غزانا الفهم الســـــقيم بعصر الملكيات المطلقة ، وكأن عمر بن عبد العزيز ــ وقد عاصر طلائع ذاك الانحراف بالمفاهيم ــ أحس حقيقة خطرها ، فتحصن بالآيات الكريمة ، وتدرع بالسيرة النبوية وأمر بتعميم نصوص الاختيار ، على مسلمى آسيا وأوروبا وافريقيا ، مضافة للمفاهيم السليمة حول النصوص التى قد يخالها الضعفاء جبرا .

مات عمر فتضاعف زحف المفاهيم الملتوية لا سيما بعد فتح باب الترجمة الذى تشرب منه الغث والثمين فأخذت الأمراض تغزونا من مصادر متعددة .

أ) المصدر اليهودى :

الفرنسيون من اليهود لا يرون للانسان ارادة ، ولا اختيــارا ولا تأثيرا ولا جزءا كسبيا ، ولذا لا يرونه جديرا بالمدح أو الذم ، لأن الله فعل بيده . . !

أما اليهود (الفروشيم) فقد بالغــوا بالاختيــار ، ورأوا الانســان قادرا على مطلق عمل دون أمر الله أو نهيه .

أما الثواب والعقاب فلا علاقة لهما بالأعمال لأن الله اختار من الأزل قوما للسعادة وقوما للشقاء .

هذه الأمراض : الجبر المطلق ، والاختيار المطلق ، وعقيدة السعادة قبل الولادة ، يهودية الأم والأب ، وقد غزانا جرثومها معززا بالارجاء الذى اخترعه كعب الأحبار ، ولا زال يفتك بنا ، وقد حقق السيد رشيد رضا فى ص ٣٨٤ من الجزء العاشر من طبعة التفسير المنار الثانية ، حقق كذب كعب الأحبــار هذا .

ب) المصدر النرفانى :

لا بد لنا من الاعتراف بأن فى الهند والصين وفارس مرضى بالجبر ، اذ البرهمية والبوذية والمزدكية حقول تبرره ، وقد اعتنق هؤلاء الاسلام ، وأصبح

بعضهم مؤلفا أو مفسرا ، لذا لم أر عجبا من حبهم ابن صفوان (أحد أركان الجبر) اذ أوجد في خراسان (الأفغان) انصارا ، اذ لم يستطيعوا الشفاء من دفائنه .

جـ) المصدر اليوناني :

الحرب اليونانية الطروادية الطويلة المدى التي تأججت — ولو في الظاهر — انتصارا للآلهة وحرصا على سيادتهم وأنانيتهم .
حملت سواد الناس على التسليم المطلق (الجبر) وأرتنا بعض من نحترم من الفلاسفة يحمل رايته وأراقت عليه من فلسفة التقمص والتناسخ المفضية للجبر ولو لحد ما ، سائلا محرقا .

فرقة الاطفاء ومحامو الدفاع :

١ — أواخر العصر الأموي ومطلع العصر العباسي :

لم تكن ساحة الدفاع يوما خالية ، اذ رأينا جنودا يتدرعون بالآيات الكريمة التي تخطط صراط الفضيلة بين نقطتي الجبر والاختيار ، ويستخدمون المنطق وما استقام من الفلسفة أوائل دفاع .
حارب هؤلاء قادة الجبر والقدر (بسكون الدال) أمثال جهم بن صفوان وغيلان الدمشقي ، ومروان الجعدي ، ومعبد الجهني ، وحاربوا أساطين التضليل ، أمثال كعب الأحبار اليهودي ، الذي يرتدي تارة ثوب الجبر وطورا ثوب القدر وآنا حلة الارجاء ليسمم الساحة التي يأمل تسميمها . .
حاربوا وحملوا شعلة المفاهيم السليمة ، فرأوا الاختيار المطلق ثوبا حاول الانسان ارتداءه فكلف نفسه فوق الطاقة ، والجبر المطلق محوا للتكليف وهدما للشريعة وابطالا لحكم العقل وانكارا للواقع .
وودعنا آخر القرن الهجري الخامس آخر قافلة من هؤلاء الجنود وفي رأسهم المعتزلة « وهم مخلصون أما ما رأينا بينهم من غلو ، فهو من اليهود الذين زعموا الاعتزال كأحمد بن حائط الذي لم تخف رائحته عن ذوي الأنوف السليمة » .
وودعناه وانغمسنا في مستنقع التفكك ، وحنينا عنقنا لخطر الجبر بسيادة نظرية الكسب الأشعرية التي فهمها سوادنا جبرا ولو خفيفا .

راجع :

١ — تفسير المنار ج ٥ ص ٦٢٠ و ٦٣٤ و ج ١٠ ص ١٠٦ و ٣٢٧ و ٦١٤ من الطبعة الثانية .

٢ ــ ابن حزم لأبى زهرة ص ٢٨ و ٢٩ و ١٣٤ من الطبعة الثانية .

٢ ــ فى العصر المملوكى والعثمانى :

تراكمت الظلمات ، لا سيما فى الديار التى حنت عنقها لغزو عمالقة الغرب واقزام الشرق ، وزاد طينها بلة التطاحن التركى ــ الفارسى ، الذى مثل دورة السلطان سليم والشاه الصفوى .

ظلمات كقطع الليل ، حمل مصباح الهداية قبل عصر المعتزلة وبعدهم ، ائمة أهل البيت النبوى ثم ابن تيمية الحرانى وابن القيم الزرعى .

وقد سار على هديهم نخبة من اقمار القرن الماضى كالسيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وخليفته السيد رشيد رضا .

واقتدى بهم السيد عبد الحميد الخطيب فى كتابه (الجبر ضلال ومحال)

والدكتور محمد اقبال فى كتابه اعادة الفكر الاسلامى .

والدكتور خلف الله فى كتاب الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة (ص ٥٧ ــ ٦١) .

نعم لا جبر فى الفكر الاسلامى ولئن التمست عذرا للجبريين من جميع الأمم ، فلن التمسه : للمسلمين لأن رسول الله شرح فى سيرته ما نتخذه مصباحا ولن التمسه للعرب اذ القرآن فى لغتهم ومتناول أيديهم ينادى بالتخيير ويأخذ بيد طالبى الهداية ليريهم فعل نواميس الكون ، ويمنح المكلفين قدرة وارادة ونقطة اعتدال ، ويدفع غائلة الجبر التى خلقت الجهل والبؤس والتخلف وساعدت على سلب كنوزنا وطردنا من أكرم ديارنا .

الاختيار هو الأصل :

هو الأصل وما جاء على أصله لا يسأل عنه يدعمه الآيات وقد نادى به القرآن واقامه أصلا محكما ولكن بعدنا عن الفهم السليم ، خلق الجبر ، وخيله مشكلة .

والواقع ، لا مشكلة ، بل خيال وسراب تخيلنا وجوده وانحنينا تجاهه وما زال قانون الوراثة والاستمرار يضخمه حتى تبناه السواد وذوو الجهل المركب واشهد ان أحد هؤلاء اسر لى قائلا :

الجبر فى قلبى والتخيير فى لسانى ، يعنى انه ينادى بالاختيار ويعلله بأن اسناد الخير والشر لله عقيدة لكن ينبغى أن نتأدب مع الله فلا ننسب له الشر ، مع اعتقادنا أنه ــ تعالى ــ هو فاعله .. !

وهذا كما يرى القارىء تسمية للأشياء بغير اسمائها الحقيقية كأنه ــ تعالى ــ ملك مستبد قتل شخصا ولكن الشرطة السائرين فى موكبه نظموا ضبطا بحق مجهولين ليدفعوا عن الملك السنة أو ثأرا محتمل الوقوع ، أو كأننا بما دعوناه جبرا ، نعتقد أن الله سرق بأيدينا وجدف بلساننا فأخذنا نقول فى

داخلنا « نعلم انك انت السارق المجدف الحقيقى ولكنا لا نستطيع البوح خشية قوتك واستبدادك » .

نعم الاختيار هو الأصل وقد ركزه القرآن بآيات كثيرة مثل « فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل : انما أنا من المنذرين » سورة النمل ٩٢ .

هو الأصل ودعامة مسئولياتها ، وقد فهمه الراسخون فى جميع العهود فقال ابن تيمية « للعبد قدرة ومشيئة وعمل فهو مختار مريد » راجع مجموعة الرسائل الكبرى ، الطبعة الاولى ، المطبعة الشرقية بالقاهرة عام ١٣٢٣ هـ ص ٢٧١ .

وقال الفقيه الصوفى الشيخ عبد الغنى النابلسى « الجبريون المعطلون للتكاليف الشرعية ، المسفهون للخطابات الالهية زنادقة هذه الأمة » راجع كتابه (الكوكب السارى) ص ٦ .

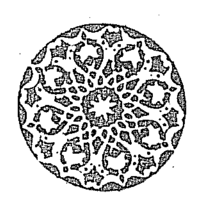
هذا الأصل يرينا الانسان ذا بصيرة وما وصفه بالمحسن والمسىء والشقى والسعيد الا تقريرا لواقع اختاره وأراده ونفذه .. !

مثلا ، يستطيع أن يتخذ العقل مستشارا فيسعى فى طلب الرزق ويعلم أن للكفاءة (مطلق كفاءة) دخلا كبيرا ، وأن الانسان يرزق من النافذة التى توجه لها ويحرم من التى أولاها ظهره هذا مع اعترافنا بتأثير العدل الاجتماعى فى واقع الافراد والأمم .

هو الأصل الذى عليه يقوم التكليف ولكن الانسان ــ لغاية فى نفسه ــ قد يتناسى هذا المنطق فيرى نفسه قدريا ــ اى يزعم أن الانسان قادر على كل شىء ــ ان كلف احدا ، وجبريا (زاعما أن الانسان لا يقدر على شىء ان كلفه أحد) كأنه يتقمص النعامة (قيل لها احملى فزعمت انها طير وقيل لها طيرى فزعمت انها جمل) .

فيا أيها الانسان اعلن موقفك وارفع علم الجبر أو الاختيار وفارق هذا التطرف غير آسف وارض نقطة الوسط لأنك مختار ومكلف .

اذ الناس على تفاوت درجاتهم الفكرية مجمعون على أن الانسان أهل للمدح والقدح ، ومن البدهى أن ما استحق لأجله مدحا أو قدحا لم يفعله مجبورا ولا يخفى أن اجماعهم على تغاير ظروف الزمان حجة قاطعة .. !





للدكتور : عماد الدين خليل

« اننى اشعر أن حدثا خطيرا قد وقع حولنا ، إننى اجهل اين انفجر ، ومتى بدأ ، وكم سيدوم ، لكننى أشعر بوجوده ، لقد أخذنا فى الدوامة ، ولسوف تمزق هذه الدوامة جلودنا ، وتحطم عظامنا الواحد تلو الآخر .

اننى أشعر بهذا الحدث الهائل شعورا لا يضاهيه الا احساس الجرذان المسبق الذى يدعوهم الى هجر مركب على وشك الغرق . لن يكون لنا أى مأوى فى أى مكان من العالم » .

كونستانتان جيورجيو

فى رواية الكاتب الرومانى كونستانتان جيورجيو « الساعة الخامسة والعشرون » تبدو أزمة الحضارة الغربية واضحة للعيان ، ان مآسيها تعرض علينا كما لو كنا نشهد معا مسرحية حاضرة : الانسان الذى سلبت حريته وأدخل

فى دوامة من آلية قاسية احالته الى (رقيق) وأفقدته حريته وارادته الذاتية ، (المواطنون) الذين ملأوا الشوارع ودور الحكومة والمؤسسات فى جماعية سحقت كل ما هو فردى ، وتشابهية دمرت كل امكانية للتنوع والابداع ، وتعميمية محقت كل اتجاه شخصى ، ومادية ردمت كل منابع الحب والايمان فى وجدان الانسان . النظم الصارمة التى أوجدت جحرا خانقا بات لا يصلح للتنفس ، الصراع من أجل تكريس اكثر للآلية ، واستعباد أشد للانسان ، وتحطيم أعنف للقيم وإحكام أقسى للحركة ، وكبت أرهب للحرية ..

كل منكم سيصرخ ، بعد مشاهدة منظرين أو ثلاثة من مسرحية الحضارة المعاصرة ... الآن لست أريد متابعة النظر ، لأننى تعبت ، ولأن المشهد طال اكثر من المعتاد ، اننى ــ اذا استمريت على المشاهدة ــ فسوف لن أرى إلا الأنقاض. سأرى مدنا متهدمة ، ورجالا متهدمين ، وبلدانا وكنائس وآمالا كلها متهدم محطم ــ (ص ٥٠٨ ــ ٥٠٩) .

ولكن علينا ــ نحن كمسلمين مسئولين أمام الله والبشرية ــ ان نملك أعصابنا ونرغم أنفسنا على البقاء حتى النهاية لمشاهدة المأساة ، ولكى نستطيع ان نحيط برؤيانا أبعادها ، وننقب ــ من ثم ــ عن التيارات الظاهرة والخفية التى تسوقها الى مصيرها المؤلم الحزين . ولكى نقول لهم ــ بعد كل هذا ــ ان الطريق الوحيد للخلاص هو : هذا .. اذا أردتم أن لا تبلغ المأساة نهايتها !!

ان جانبا من الأدب الغربي اليوم ــ وبخاصة الرواية والمسرحية ــ يشكل أهمية كبرى فى أية دراسة جادة للحضارة الغربية المعاصرة ، لأنه يعكس بحيوية نائقة الأزمة التى تعانيها هذه الحضارة ، والضغوط القاسية التى تسلطها على الانسان فتسحقه وتمزقه . ان ردود الفعل التى يجابه بها الانسان الغربى المعاصر حضارته المتأزمة هذه ، تبدو واضحة حية ، متحركة ، عبر عدد كبير من الروايات والمسرحيات التى كتبها أدباء وفنانون كبار أدركوا جوانب عميقة من الأزمة ، وكلهم بلغ درجاتها الدنيا ، وجاس فى سراديبها وكهوفها ، وما أن وصل بعدها الأخير حتى غطاه الظل وأغرقه الظلام .. فهل ننتظر نحن منه أن يجد لنا مصدر الضوء ، ويدلنا على طريق الخروج ؟؟

ان ما تقدمه لنا هذه الآداب والفنون يقتصر على الخطوة الأولى : تحديد ملامح المأساة . أما الخطوة التالية التى ترسم لنا طريق الخلاص ، فما ينتظر من هؤلاء أن يتقدموا اليها لأنهم ليسوا (على شريعة من الأمر) وهى خطوة تلقى مسؤوليتها العظمى على أعناق أولئك الذين حملوا أمانة (الكتاب) بعد أن اشفقت السماوات والارض من ثقلها العظيم ..

ان كل ساعة تمر على تاريخ الأرض ، تقترب بالبشرية من مصيرها الفاجع لأن قيادتها انتقلت منذ زمن بعيد الى الانسان الغربى سواء الذى يقطن فى أوربا الغربية وأمريكا ، أم الذى يقطن فى روسيا واليابان . ولم تشهد الأرض احتكارا أشد للقيادة البشرية والحضارية ، من هذا الذى تشهده الآن .. ان نداءات شتى للتحذير أطلقت منذ أن بدأ يتكشف ــ لذوى البصيرة ــ المصير المحتوم لحضارة

تقودها قيم ومفاهيم لا تنسجم أساسا وكيان الانسان،وانها بهذا تسلطعليهاضغوطا ساحقة تضعف الأجيال بعد الأجيال ، ولا تتيح لها الاستعداد الكافي للقيام بأعباء الحضارة وتولى مسؤوليتها الثقيلة .. نداءات اطلقها كثيرون : أطباء وعلماء نفس واجتماع وفلاسفة ومؤرخون ورجال دين ولاهوت .. تداعوا من كل حدب وصوب ليؤكدوا بأن على الحضارة المعاصرة أن تغير طريقها،وان تنعطف بمكتسباتها الهائلة الى طريق جديد يحفظ لها تراثها الذى هو حصيلة كدح شاق طويل للبشرية جميعا .

واليوم يتقدم ادباء وفنانون من شتى أقطار الأرض ليعلنوا عن مزيد من التحذير ، وليضعوا على طريق السقوط مزيدا من علامات الخطر .. ادباء وفنانون من شتى أقطار الأرض يصرخون منددين بالقيادة الضالة والبشرية المنكودة . وها نحن نجد هذا التحذير فى القصيدة والأغنية ، فى القصة والموسيقى ، فى الرواية والمسرحية .. وهذه الصرخات تذهب كلها عبثا ويضيع صداها فى الأفق البعيد ، ويختفى معها قائلوها الآن (الرجال الذين يتألمون لانهيار الحضارة الأجنبية ، ينهارون ويختفون معها تماما ، وان أولئك الذين لا يشاهدون غير ذلك الانهيار فحسب يلبثون غرباء عن المأساة .. ويعتبرون مجانين .. ان أوربا تعتبر اليوم كل رجل بلغ ذروة الألم الفكرى ، وحدوده القصوى مجنونا) (ص ٥١١) . والبشرية المنكودة تسير وراء قيادتها الى مصيرها المحزن ، والحضارة المعاصرة تركض ساعة بعد ساعة صوب نهايتها .

وها هى اليوم تبلغ ساعتها (الخامسة والعشرون) (اللحظة التى تكون فيها كل محاولة للانقاذ عديمة الجدوى .. ساعة المجتمع الغربى ، انها الساعة الحاضرة — ص ٨٨) .

لماذا (الساعة الخامسة والعشرون) ؟ جيوروجيو يجيبنا على هذا السؤال (ان الجو بات لا يصلح للتنفس .. ان الجو بات خانقا .. الجو الذى يعيش فيه المجتمع الحاضر . ان الكائن البشرى لن يستطيع احتماله . ان البيروقراطية والجيش والحكومة والتنظيم الحكومى والادارة ، كل هذه الأشياء تساهم فى تسميم الجو ليختنق الانسان . ان المجتمع الحاضر يستخدم الآلات والرقيق المنصرى . لقد خلق من أجلها . ولكن الانسان محكوم عليه بالاختناق . غير أن بنى الإنسان لا يشعرون بذلك . إنهم يصرون على أن كل شىء طبيعى ، كما كان فى السابق .. لقد وضعت فى روايتى الطريقة التى يموت بها رجال هذه الأرض الذين يحيون فى عذاب مريع وقلق قاتل ، تخنقهم الأجواء غير الصالحة للحياة (ص ١٨٥) .

والآن لنبدأ مع جيوروجيو رحلته الطويلة عبر منعطفات الطريق الحضارى ومجاريه ، وهي تجرف القيم صوب البحر ، وتنحدر بالحضارة الى الهاوية ، خطوة .. خطوة .. مع (جيوروجيو) وهو يستبطن خلفية هذه الحضارة ويتوغل الى أعماق الانسان . وليعذرنى القارىء إن نقلت نصوصا طويلة من هذا الكتاب ، فهى ذات أهمية كبيرة لأنها تمثل شواهد انسان عاش الحضارة المعاصرة وأدرك

أغوارها .. شواهد حية ضد القيادة التى تسير بالبشرية وحضارتها صوب الدمار .

ــ ١ ــ

ان التقدم التكنولوجي الذى أحرزته الحضارة الغربية لم توجهه قيم الدين يوما ، بل انه انطلق أساسا واخذ طريقه يوم أعلن العلم انتصاره على الدين ــ أو هكذا يتوهمون ــ فلا نعجب اذن اذا ما تضاءل الانسان يوما بعد يوم ازاء هذا التضخم الآلى ، لأنه فقد الايمان بكرامته ، وغض بصره عن التطلع الى قيم علوية ، وسجد للآلة ، ولأول مرة يقدم كاتب غربى تحليلا رائعا يتميز بالجدة والحيوية لهذه العلاقة غير المتكافئة بين الانسان والآلة ، والتى تمثل التهافت الأول في عصب الوجود الغربى والتى نشأ عنها ما يطلق عليه الكاتب عبارة : الرقيق التكنى : (الخادم الذى يقدم لنا يوميا الف خدمة لم نعد نستطيع الاستغناء عنها ، انه يدفع سيارتنا ويعطينا النور ويصب لنا الماء لنغتسل ، ويحمل لنا مخابراتنا ورسائلنا ويروى لنا قصصا لنتسلى عندما ندير زر المذياع . انه يخطط لنا الطريق ويزيل الجبال من أماكنها) (ص ٧٨ و ٧٩) .

ومن ثم يقدم الكاتب مقارنة طريفة بين الرقيق البشرى فى العصور القديمة وبين الرقيق التكنى فى المجتمع العصرى : (كان الاول هو الآخر ، معتبرا عند اليونان والرومان كالقوة العمياء عديمة الأحساس ،كانوا يبيعون الرقيق ويشترونه، ويقدمونه هدايا ويقتلونه ، فكانت قيمته تتناسب دائما مع قوة عضلاته وامكانياته العملية . لقد كان الأمر فى ذلك الحين مشابها تماما للمقياس الذى نستعمله اليوم فى تقدير الرقيق التكنى .. لقد برهن الاخير على أنه أكثر طواعية وأقل ثمنا من الرقيق البشرى ، فراح تدريجيا يحل محل سلفه من بنى الانسان (ص ٧٩ و ٨٠) .

ولكن العبيد التكنيين ما لبثوا ان خطوا مساحات واسعة من الأرض بفضل تفوقهم العددى الساحق ، واخذوا يسيطرون اليوم على النقاط الحيوية فى المجتمع العصرى واتضح خطرهم (وبعبارة عسكرية فنية نقول ان الرقيق التكنى يقبض بين يديه على النقاط الاستراتيجية فى مجتمعنا من جيش وخطوط مواصلات وتموين وصناعة .. وان العبيد التكنيين يشكلون اليوم الوفا من (البروليتاريا) ــ اذا كنا نعنى ذلك فان الكلمة : جماعة ما فى مجتمع خلال فترة تاريخية ، جماعة لم تدخل بعد فى صميم المجتمع ــ وعلى ذلك فان مصير هؤلاء العبيد التكنيين منوط بأيدى البشر ، وهذه البروليتاريا التكنية ستثور يوما دون أن تستعمل الحواجز والسدود كما كان يستعمل من قبل الرقيق البشرى . وان العبيد التكنيين يشكلون اليوم اكثرية عددية ساحقة فى المجتمع الحاضر .. انهم يتصرفون فى هذا المجتمع وفق قوانين خاصة مختلفة عن قوانين البشر . ولن أذكر من هذا القوانين الخاصة بالعبيد التكنيين إلا الآلية والمماثلة واغفال الذات (ص ٨١ ــ ٨٢) .

أما كيف ستتم سيطرة العبيد التكنيين (أو القوى الآلية) على مقدرات الانسان ، فجوابه (ان مجتمعنا فيه عشرات المليارات من العبيد التكنيين وحوالي مليارين من البشر ، حتى ولو كان هؤلاء يسيرونه فانه ستسوده أكثرية بروليتارية

.. ان تأثيرها يتزايد يوما بعد يوم . والانسان مرغم على معرفة عاداتهم — وقوانينهم وتقليدها ليستطيع استخدامهم والافادة منهم . وكل مستخدم مرغم على معرفة لغة مستخدميه وعاداتهم ليصدر اليهم أوامره وليستخدمهم . وقد جرت العادة أبدا على أنه اذا كان المحتل اقل عددا من الأمة التى يحتلها فانه يرغم على اعتناق عادات تلك الأمة وتعلم لغتها بسبب المنفعة والمصلحة وسهولة التفاهم، انه يرغم على ذلك رغم انه محتل وسيد شديد البأس. ان مثل هذه النظرية يتتابع تضخما وانتشارها ضمن محيط مجتمعنا رغم أننا نأبى الاعتراف بها .. .. وهكذا فاننا سنتخلى يوما ما عن انسانيتنا ، ونتبع اسلوب الحياة المطبق على عبيدنا التكنيين .. وستكون دلالة هذا التخلى عن الانسانية احتقار الكائن البشرى . ان الرجل العصرى يعرف انه وزملاءه من بنى الانسان ليسوا أكثر من عناصر يمكن استذلالها . والمجتمع الحديث الذى يحوى على رجل واحد مقابل كل ثلاثين عبدا تكنيا ينبغى أن ينظم وان يعمل حسب النظم التكنية لأنه مجتمع خلق وبنى على احتياجات ميكانيكية وليست انسانية . وهنا تبدأ الفاجعة ، ان المخلوقات البشرية مرغمة على الحياة والتصرفات وفق قوانين تكنية غريبة عن القوانين الانسانية . وأولئك الذين لا يحترمون قوانين الآلة التى تتساوى مع القوانين الاجتماعية يعاقبون . والكائن البشرى . الذى يعيش فى أقلية يصبح مع الوقت أقلية (بروليتارية) فيحذف اسمه من المجتمع الذى ينتمى اليه ، والذى لا يمكن أن يعود اليه إلا بعد التخلى عن طبيعته الانسانية فينجم عن ذلك شعور بالدونية ، ورغبة فى تقليد الآلة ، والتخلى عن صفاته الانسانية المميزة التى تبقيه بعيدا عن أوساط النظام الاجتماعى .. ان هذا التحول البطىء سيقلب الكائن الحى ، وسيجعله متخليا عن احساساته وعلاقاته الاجتماعية ، ويجعلها محصورة فى حدود ضيقة واضحة الآلية تماما، كتلك العلاقات التى تجمع بين قطعة آلة وأخرى. ولسوف يقلد البشر فى علاقاتهم الاجتماعية وفى الإدارة وفنون النقش والرسم والأدب ، وفى الرقص ، الأسلوب واللغة الخاصين بالرقيق التكنى . وستصبح المخلوقات البشرية ببغاوات العبيد التكنيين . غير أن هذا ليس الا بداية الفاجعة) وما هى الفاجعة الحقيقية اذن ؟ (هنا تنفجر المأساة لأننا لا نستطيع أن نتحول الى آلات (!!) غير ان الاصطدام بين الحقيقتين : الحقيقة الآلية والحقيقة البشرية، قد وقع ولسوف يربح الرقيق التكنى الحرب، سوف يستبد ويصبح مواطنا آليا فى مجتمعنا . أما نحن — الكائنات البشرية — فسنصبح بروليتاريا (أقلية) فى مجتمع منظم حسب حاجات وعادات الأكثرية الساحقة من المواطنين الآليين) (ص ٨٢ — ٨٤) .

بعد هذا يوضح لنا جيورجيو بأسلوب مؤثر ، كيف سيضيع الانسان وسط هذا التراكم فى الآلات ، وكيف انه سيتحول الى مجرد مقياس ذى قيمة آلية ، وعلى الرغم من أن المجتمع الانسانى سيجد آنذاك وسائله الترفيهية إلا انه سيغدو أرضا بورا لا تنتج العباقرة ، وبدون هؤلاء تتمرغ الحضارة بالتراب (ان كل

الأحداث التي تدور الآن على الكرة الأرضية والتي ستقع خلال السنوات المقبلة، ليست إلا بتأثير تلك الثورة ومراحلها : ثورة العبيد الآليين . ان الرجـــال لن يستطيعوا بعد ذلك أن يحيوا فى مجتمع يحتفظون فيه بطابعهم البشرى . سوف يعتبرون متساوين ومتشابهين مع الرقيـــق الآلى ، وسيعاملون وفق القوانين المطبقة عليه ، دون مراعاة طبيعتهم الانسانية ستحدث توقيفات آلية وأحكـــام آلية ، وتسليات آلية ، وقتل آلى لن يكون للمرء حق في الحياة بل سيعامل وكأنه مكبس أو قطعة آلة . حتى اذا شاء أن يعيش عيشة انسانية تعرض لسخرية العالم بمجموعه) (ص ٨٤و ٨٥) .

هل رأيت ــ يتساءل جيوروجيو ــ فى حياتك مكبسا يعيش حياة شخصية ؟ ما أروعه من سؤال يجيب عن نفسه (!!) ثم يستأنف المؤلف طرح نذره (أن هذه الثورة ستحدث على سطح الأرض كلها ، ولن نستطيع الاختفاء منها لا فى الغابات ولا فى الجزر ولا فى أى مكان . لن تستطيع أمة فى العالم أن تحمينا (!!) سوف تتشكل جيوش العالم كله من مأجورين يناضلون ويكافحون من أجل تدعيم المجتمع الآلى الذى لن تعيش فيه الفردية . ولعل هذا العصر هو الفترة الأكثر ظلمة فى تاريخ البشرية . اذ لم يحدث لحد الآن ان احتقر الانسان الى هذا الحد . . والحيـــاة البشرية لم تعد لها من قيمة الا بوصفها مصدر حركة . والقياسات أضحت علمية محضة ، وهذا هو قانون بربريتنا الآلية المظلمة ، ولسوف نصبح بعد النصر الكلى عبيدا آليين) (٨٥ و ٨٦) .

لن تستطيع أمة فى العالم أن تحمينا (!!) وهذه هى النتيجة المحتمــــة لسيطرة القيم الغربية على كل أقطار المعمورة . صحيح أننا فى الشرق لا زلنـــا متأخرين ولا زالت هنالك مساحات واسعة من حياتنا الاجتماعية بعيدة عن تغطية الآلة . الا اننا ــ على أية حال ــ نصدر ــ وهذا هو المهم ــ عن الفلسفة التـــى يصدر عنها الغرب . ويتضاعف الخطر لدينا ويغدو خطرا مزدوجا لأن نظرتنا الى التكنولوجيا يسودها تقديس أشد للعلاقات المادية بدافع من شعور عميق بالنقص أزاء هذه الحضارة .

لن تستطيع أمة فى العالم ان تحمينا ، فالقضية ليست قضية مواقع جغرافية أو لون على الخارطة السياسية أو أعلام متميزة ترفرف فى أعالى السماء ، وانما هى الفكرة ، التصور ، العقيدة التى يصدر عنها المجتمع فهى التى ستجعل للموقع الجغرافى قيمته الحقيقية فى حماية الأمم المهزومة ، وهى التى ستعطى للـــون مواده الثابتة التى لا تحول وهى التى ستجعل الرايات الخفاقة فى الأعالى نداء قدسيا يربط الأرض بالسماء ، ويفتح ذراعيه للمتعبين المنكودين ، ويعدهم بكـــل ما أفقدتهم اياه سيطرة العبيد التكنيين .

ولنرجع الى جيورجيو ، بعد أن قلبنا اعيننا فى اقطار الأرض ، فلم نر أمة واحدة تصدر عن عقيدة تحمى بها القيم الانسانية من الزوال ، لنرجع الى الشاهد لنرى ماذا يقول . . (طالما ان الانسان قد تحول الى مجرد مقياس ذى قيمة آلية

ـ اجتماعية ـ فانه يتعرض للاصابة بأى شىء ـ يمكن ان يوقف وان يرسل للقيام بالأعمال الشاقة ، او ان يستأصل عرقه ، أو أن يرغم على مزاولة أعمال معينة سواء لواحد من مشاريع السنين الخمس أو لتحسين العرق أو لأهداف اخرى ضرورية للمجتمع الآلى دون اى اعتبار لشخصية المجتمع التكنى يعمل ـ حصرا ـ تبعا لنظرية تكيفه مستعملا المجردات ، الخطط فقط ، مستهدفا معيارا واحدا فقط هو الانتاج .. لن يبقى رجل واحد حرا على سطح الأرض . ان الانسان سيصبح مغلولا خلال سنين طويلة فى المجتمع التكنى .. لكنه لن يموت فى الاغلال . ان المجتمع التكنى يستطيع ابتداع رفاهية لكنه لا يستطيع خلق الفكر ، وبدون الفكر لا توجد العبقرية . وان مجتمعا محروما من رجال عباقرة مقضى عليه بالفناء . ان المجتمع التكنى الذى يحل محل المجتمع الغربى والذى سيكتسح سطح الأرض كله سيفنى هو الآخر : ان اينشتاين يؤكد انه يكفى انقطاع جيلين متتابعين فقط فى خط العقول المتفوقة الميالة بصورة خاصة للعلوم الطبيعية ، لكى تنهار كل المشيدات القائمة على هذا العلم) (ص ٨٦ و ٨٧) .

ولنستمع ـ من ثم ـ الى حوار داخلى لانسان يقف بخضوع أمام الآلة ، ملغيا وجوده الباطنى من الحساب (لا يسمح لك التفكير بأى شىء آخر وإلا فإن الآلات تعاقبك على الفور . ان كل انتباهك ينبغى أن يكون موجها نحو زميلك الآلى ذلك العامل المجد الذى يأتيك بالصندوق ويمده اليك وعليك أنت أن تنحنى وتأخذ الصندوق من يديه .. ان الانسان الآلى لا يمكنه ان ينطبع برغبة الانسان. فعليك اذن أن تساير رغباته وتوازن حركاته من حركاتك ـ ان هذا طبيعى جدا لأنه هو العامل الكامل .. أما انت فانك لست كاملا .. ان الآلات تعلمك الترتيب والنظام والكمال ، فاذا حاكيتها غدوت عاملا من الدرجة الأولى) (ص ٢٤٠ و ٢٤١) .

وهذا منولوج آخر يعبر فيه بطل الرواية : (مورتيز) عن يأس كامل فى الحرية ازاء آلية لا تسمع ولا ترى (ان كل شىء يتحقق آليا ، وكل شىء يسير بالكهرباء .. وأنت (!!) انك فى صميم آلة جبارة ، فمهما بذلت من مجهود وتحركت وناضلت فلن تخرج منها . ان الآلة صماء ، انها لا تسمع ولا ترى ، بل تعمل فقط .. انها تعمل عملا مدهشا تبلغ فيه الكمال الذى لا يستطيع الانسان بلوغه أبدا .. ان الآلة لا تنسى كما ينسى المخلوق البشرى ، انها دقيقة .. (ص ٤٤٣ و ٤٤٤) .

وما هى النتيجة ؟ (كان مورتيز يشعر بأن كيانه يذوى كالغصن المحروم من الرى . كان اذا ما أوى الى فراشه ـ مساء ـ يشعر باحساس غريب يخيل اليه انه ينحنى ويلتقط صندوقا . واذا نهض من سريره صباحا شعر كأنه انتصب فى تلك اللحظة بعد أن أودع الصندوق فى العربة وباتت يداه فارغتين فترة بانتظار وصول الصندوق التالى ـ كان نومه خلوا من الأحلام ـ أما جبينه وعيناه فقد غشيهما الاكتئاب والقلق ـ لقد اتخذ لون الآلة وليس لون الأرض) (ص ٢٤٩) .

للبحث صلة



الإسلام والشرائع السابقة

للشيخ محمد محمد الشرقاوى

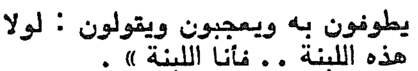
دين الله تعالى واحد لا يتجزأ ، وهدفه الأسمى محدد لا يقبل التخالف أو الخلاف ، فالدين ايمان وعمل ، والهدف : عبادة الله بالباقيات الصالحات، وهذا هو المحور الأساسى المشترك بين كافة الشرائع والرسالات والحجر الأول فى صرح الروحانيات القائمة على المبادىء الفاضلة ، والقيم السامية ، .. من لدن آدم عليه السلام حين تفجرت بظهوره أول رسالة سماوية تستهدف هداية الانسان الى الطريق الأمثل ، وحمايته من طغيان الهوى والنفس ، الى أن ختمت الرسالات بمحمد صلى الله عليه وسلم .. الذى التقت بدعوته الجامعة نقطتا البدء والنهاية فى حلقة الديانة الحقة .

.. أخرج ابن حبان فى صحيحه وغيره من حديث أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « قلت يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وعشرون ألفا .. قلت : يا رسول الله .. كم الرسل من ذلك ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا .. قلت : من كان أولهم ؟ .. قال : آدم : قلت : يا رسول الله .. أنبى مرسل ؟ .. قال : نعم » (١) .

فالدين كلمة عامة ينطوى فيها ما يدعو اليه الاسلام من الايمان بالأصول العامة ، والتصديق الجازم بالعقائد الالهية والغيبية المشتركة من وحدانية لله وعرفان بصفاته الكاملة وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، مع ما يكمل ذلك من شريعة توضح للناس مسالكهم على دروب الحياة العملية ، وأخلاق تنمى علائقهم الشخصية

والاجتماعية ، وحدود تزجر الخارجين منهم على قانون السماء وبهذا دان الله تعالى الأمم ، وساس الانسانية كلها على اختلاف مدارجها زمانا ، بواسطة أنبياء مرسلين كانوا همزات وصل بين الخالق والمخلوق بدون تضاد فيما بينهم فيما هو جوهرى من الرسالات وفى هذا يقول القرآن الكريم : **« ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب ، يا بنى أن الله أصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » (٢)** أى ان ابراهيم ويعقوب عليهما السلام قد حملا أبناءهما وصية التمسك بالدين الواحد المعبر عنه فى الآية السابقة على هذه الآية : **« اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين »** يقول الكشاف (٣) فى تفسير « اصطفى لكم الدين » أى أعطاكم صفوة الأديان وهو دين الاسلام ووفقكم للأخذ به فلا يكن موتكم الا على حال الثبات على الاسلام .. فالنهى فى الحقيقة انما هو عن كونهم على خلاف الاسلام اذا ماتوا ، لاظهار أن موتهم على خلاف الاسلام موت لا خير فيه ، وأن من حق هذا الموت الا يحل فيهم .. كما تقول : مت وأنت شهيد ، وليس المراد الأمر بذات الموت بل بصفة الشهادة حين الموت اعتدادا بموتة الشهداء وانها جديرة بأن يحث عليها، وكان اليهود يزعمون أنه ما من نبى مات الا وهو على اليهودية .. فكذبهم الله تعالى بقوله : **« أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى ، قالوا : نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون »** (٤) أى انهم لو شهدوا يعقوب حال نزول الموت به ، ووداع الحياة له ، لشهدوا توافقه مع أبنائه على وحدة الدين ووحدة الخالق واعتناق الاسلام الذى هو ملة الله الأزلية الأبدية الدائمة السرمدية التى لا يقبل سواها ، ولا يعتد بدونها **« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »** .. « **ان الدين عند الله الاسلام** » .

ومن هنا يبدو جليا أن الاسلام ليس دينا خاصا بأمة دون أخرى ، وليس دعوة عنصرية أو انعزالية تعيش بمنأى عن الأديان والشرائع التى تقدمتها ، وتتخذ لنفسها سياجا انطوائيا .. انما الاسلام فى معناه الأشمل هو الجانب الأخير المكمل لما سبقه من جوانب أخرى من رسالات الله الى البشر .. تضافرت كلها على اخراج وحدة دينية متكاملة .. ساهم فيها كل رسول بقدر ، وشاركت فيها كل رسالة بجهد ، وقد استغرق اعداد هذه الوحدة الدينية الجامعة الزمان كل الزمان ، من عهد آدم أبى البشر الى حفيده الخاتم للرسالات والنبوات محمد عليهما الصلاة والسلام وهو الذى أتم البناء وأكمل الأداء على أحسن ما يكون الوفاء « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » وفى حديث للبخارى فى صحيحه تصوير صادق لهذا التوافق التام بين الرسالات كلها وفيه يمثل الرسول صلى الله عليه وسلم رسالته ورسالة من تقدمه : « برجل بنى بيتا فأكمله وزينه الا موضع لبنة ، فجعل الناس



يطوفون به ويعجبون ويقولون : لولا هذه اللبنة .. فأنا اللبنة » .

وبهذا تأكد بما لا يدع مجالا للشك أن كل نبى مع من تقدمه أو تأخر عنه كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وأنهم جميعا على اختلاف ازمانهم واقوامهم يشكلون صفا واحدا متماسكا فى مواجهة التحديات الضالة المضلة ، وفى قيادة الانسانية الى الطريق المستقيم الموصل الى سعادة الدارين ، وشرف الحياتين .. وقد ذكر القرافي (٥) : أن الرأى المختار عند الحنفية والمالكية والشافعية أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بعثته كان متعبدا بكل ما ثبت عنده بطريق العلم أنه شرع نبى من الأنبياء ، وبهذا كان مصدقا لما بين يديه من الشرائع السابقة له .. آخذا منها ما لم ينسخه هو فى شريعته الأخيرة، على أن النسخ فى هذه الأحوال لا ينافي تصديقه للرسالات الأخرى .. لأن النسخ — على اصح الآراء العلمية — ليس تغييرا للأحكام ولا مخالفة لها وانما هو أعلام وبيان بانتهاء الفترة الزمنية المحددة لسريان مفعول هذه الأحكام .. فالأحكام السابقة فى الشرائع المتقدمة اذن قسمان : قسم ظهر انتهاء أمده فهو متروك وليس فى ضمن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقسم ظهر استمراره وبقاؤه على المدى الطويل بطريق يقينى .. فهو مأخوذ به على انه من شريعتنا .. على حد تعبير علماء الأصول : « شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد فى شرعنا ما ينسخه » وبهذا تتكامل الرسالات فيما بينها ، ويصدق بعضها بعضا ، فالمتأخر منهم مصدق لمن تقدمه ، والمتقدم منهم — لو كان حيا — مصدق لمن جاء بعده من الرسل ، فلا يكون بين هؤلاء الاخوة المرسلين ادنى تعارض أو تخالف ، أو تضاد .. وفى الحديث : « الأنبياء أبناء علات أبوهم واحد وأمهاتهم شتى » وقد عبر عن ذلك رسولنا صلى الله عليه وسلم بقوله : « لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى » (٦) .

فكل الشرائع السابقة قد صارت بعد بعثة النبى صلى الله عليه وسلم شريعة محمدية باعتبارها ميراثا دينيا انتهى الى محمد عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى : « **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** » والميراث ملك للوارث مختص به ، وفى آية اخرى « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** »(٧) لكن لما دخل التحريف فى كتبهم وتلاعبت الأهواء والأغراض بأهدافهم شرط العلماء للاعتماد على كتبهم المتقدمة واندماجها فى شريعتنا أن يقص الله تعالى علينا شرائعهم من غير نكير ، أو تثبت ببيان صحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم بدون أن يعقبها تأقيت أو نسخ (٨) .. وأما قوله تعالى : « **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** » (٩) فمعناه أن لكل أمة شريعة عملية تناسب زمانها ومكانها وأحوالها ولكنها قابلة للنسخ اذا انتقلت الى أمة أخرى ذات نبى آخر له ظروف وأحوال مباينة .. فاذا انتقلت ودخلها نسخ لبعض

الأحكام وابقاء للبعض الآخر مع ما يضيفه النبى الجديد من أحكام أخرى ملائمة كانت هذه الخلاصة شرعة ومنهاجا لهذا النبى المتأخر .. وهكذا تتوالى النسوخ والتعديلات على الشرائع العملية مع بقاء الأصول الثابتة كما هى بلا تعديل ولا تحوير ، حتى تنتهى فى مسارها الحافل الطويل الى الشريعة النهائية التى لا يلحقها بعد ذلك نسخ ولا تبديل وهى شريعة نبى آخر الزمان محمد صلى الله عليه وسلم فتكون بمجموعها عبارة عما لم ينسخ من كل الشرائع السابقة مضافا اليها الجديد فى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ومن كل هذا وذاك تتكون شريعة « الاسلام » .

وقد استدل العلماء على ذلك بما نجمله فيما يأتى :

«١» ليس من الحكمة أن يبقى الناس سدى مهملين بلا أوامر ولا نواه فى زمن ما .. فكل من تأهل للتكليف من الناس وبلغه ما جاء به نبى من الأنبياء بطريق يقينى فهو مكلف به وهذا لا يعنى عموم رسالة كل نبى ، لأنها قابلة للتغيير بظهور نبى آخر وبعدم عمومها حين نسخها ومعنى ذلك أنه لا توجد فجوة لا دينية فى التاريخ ويكون أهل الفترة هم الذين لم تبلغهم رسالة نبى بطريق يفيد العلم (١٠) .

«٢» أجمع العلماء على الاستدلال بقوله تعالى : « **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ..** » (١١) ، على وجوب القصاص فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، والآية الكريمة تعنى أن الله تعالى أوجب على بنى اسرائيل فى التوراة أن النفس بالنفس .. فلولا أننا متعبدون بما فى التوراة مما لم ينسخ ، لما صح الاستدلال بهذه الآية على ايجاب القصاص فهذه الآية الكريمة مثبتة للقصاص فى الأنفس فى شريعتنا كما كانت مثبتة كذلك عند أهل التوراة .. ما هذا الا لأن الشرائع متداخلة فى بعض أبعاضها بحيث يكمل بعضها بعضا ، ويصدق بعضها بعضا .

«٣» روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها ، فليصلها اذا ذكرها فان الله يقول: «**وأقم الصلاة لذكرى**» وهذه الآية القرآنية موجهة أساسا الى موسى عليه السلام كما حكى ذلك القرآن الكريم « **فلما أتاها نودى يا موسى . انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى** » (١٢) .. ومع ذلك استدل بها رسولنا صلوات الله وسلامه عليه على وجوب قضاء الصلاة التى نام أو غفل عنها تاركها اذا ذكرها .. فلو لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم وأمته متعبدين بذلك فى شريعتنا لما صح الاستدلال بها ؛ ولما كان لتلاوتها فائدة تذكر .

«٤» ومع أن شرائع من قبلنا لم تذكر فى حديث معاذ بن جبل حين ارسله النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن وقال له : « كيف تصنع إن عرض لك قضاء فقال : اقضى بما فى

كتاب الله ، قال : فإن لم يكن في كتاب الله ، قال : فبسنة رسول الله ، قال فإن لم يكن في سنة رسول الله قال : اجتهد رأيي لا آلو .. فضرب الرسول صلى الله عليه وسلم على صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » (١٣) أقول .. **ليس خلو** حديث معاذ هذا من التعرض للشرائع السابقة دليلا على عدم اعتبارها في أسس التشريع الاسلامى لأن هذه الشرائع في الحقيقة مذكورة ضمنا في ثنايا القرآن الكريم بمثل قوله تعالى : **« أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده »** أو لأن هذه الشرائع قليلة نسبيا اذا قيست بالجديد في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، فلذا لم تفرد بالذكر في حديث معاذ الذى تضمن موافقة الرسول عليه ، ورضاه به .

«٥» والقول بأن شريعتنا ناسخة لما تقدمها من الشرائع ليس على اطلاقه .. بل هى ناسخة لما خالفها **من الأحكام ، لأنا نقطع بأن النسخ معدوم في الإيمان والكفر وغيرهما كالزنا ، والقصاص .**

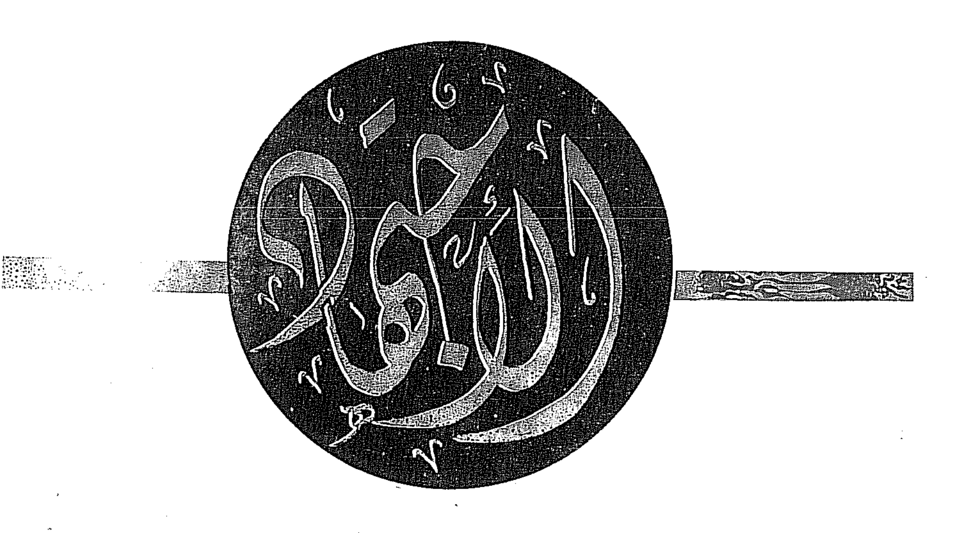
وبعد ،

فقد ظهر من هذا العرض الوجيز أن شريعة الاسلام حلقة في سلسلة الرسالات السماوية المتعددة ، وأنها متصلة بالشرائع والديانات السابقة اتصالا عضويا متكاملا ، وأنها تمثل الحجر الأخير في بناء تام لا ينقصه الا هذا الحجر النهائي وأن هذا البناء الشامخ من رسالة السماء يشكل في مجموعه دين الله الواحد الذى لا يتجزأ .

بيد أن شريعتنا تصرفت في أحكام الفروع التى اشتملتها الرسالات السابقة فأبقت ما صلح منها للبقاء والاستمرار ، ونسخت ما ظهرت نهايته ، وانتهى أمده المقرر له عند الله حسب التطور الكونى العام وفق ما اراد الله تعالى لأنبيائه ورسالاته .. ولذا كانت الشرائع السابقة على شريعتنا تلزمنا على أنها شريعة لنا من حيث كانت شريعة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تنسخ ، قال صاحب التلويح (١٤) : « وهذا مذهب أكثر مشايخنا منهم أبو منصور والقاضى الامام أبو زيد ، وشمس الأئمة وفخر الاسلام ، وعامة المتأخرين ، وان خالف في ذلك المعتزلة فأحالوه عقلا ، كما خالف فيه الامام الرازى والآمدى وأحالوه شرعا » .

---

(١) التحرير للكمال بن الهمام جـ ٢ ص ٣٠٨
(٢) البقرة : ١٣٢
(٣) تفسير الكشاف للزمخشرى جـ ١ : ٧٥
(٤) البقرة : ١٣٣
(٥) التحرير جـ ٢ : ٣٠٨
(٦) التوضيح جـ ٢ : ٢٧٧ وما قبلها وما بعدها
(٧) الشورى : ١٣
(٨) التوضيح جـ ٢ : ٢٧٧
(٩) المائدة : ٤٨
(١٠) التحرير جـ ٢ : ٣٠٩ .
(١١) المائدة : ٤٥
(١٢) طه : ١١ — ١٤ .
(١٣) تاريخ التشريع الاسلامى : ٨٠
(١٤) التوضيح جـ ٢ ص ٢٧٦



للأستاذ : محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

يعدّ الاجتهاد المصدر الثالث من مصادر التشريع الاسلامى ، بعد كتاب الله تبارك وتعالى : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ، وسنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .

ويؤيد هذا ما رواه معاذ بن جبل — رضى الله عنه — من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله حينما وجهه إلى « اليمن » بقوله : « كيف تصنع أن عرض لك قضاء ؟ » ، فأجابه قائلا : « أقضى بما فى كتاب الله » ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : « فان لم تجد فى كتاب الله ؟ » ، فقال معاذ : « أقضى بسنة رسول الله » ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « فان لم يكن فى سنة رسول الله ؟ » ، فقال معاذ : « اجتهد رأيى ، لا آلو » ، فتهلل وجه الرسول صلوات الله وسلامه عليه وضرب صدر معاذ وقال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » ، فهذا ارتياح من الرسول صلى الله عليه وسلم لما رآه من معاذ ، من اخذ بالقياس ، والاعتماد على الاجتهاد ، الذى هو بذل الجهد فى استخراج الحكم .

فولاء معاذ بن جبل لكتاب الله تبارك وتعالى ، ولسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، لا يحجب عقله عن متابعة رؤاه ؛ ولا يحجب عن عقله تلك الحقائق الهائلة التى تنتظر من يكتشفها ويواجهها .

ولعل هذه القدرة على الاجتهاد ، والشجاعة فى استعمال العقل والذكاء ، هما اللتان مكنتا معاذا من ثرائه الفقهى الذى فاق به اقرانه واخوانه ، وصار كما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم : « أعلم الناس بالحلال والحرام » .

وروى سعيد بن المسيب — رضى الله عنه — عن على بن ابى طالب —

كرّم الله وجهه ــ أنه قال : « قلت : يا رسول الله : الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه منك سنة ؟ قال : اجمعوا له العالمين من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم ، ولا تقضوا فيه برأى أحد » .

من هذين الحديثين نـــدرك أن الاجتهاد قسمان : قسم فردى ، وهو فى الأمور التى يكفى لمعرفة حكمهـــا اجتهاد فرد واحد . وقسم جماعى ، وهو الذى يكون فيه اجتهاد العالمين من المؤمنين فيما يعرض للأمـــة من الأمور التى تحتاج الى تبـادل فى الرأى .

والشريعة الاسلاميـــة حين فتحت باب الاجتهاد للفرد او للجماعة لم تترك لهم الحبل على الغارب ، بل وضعت لهم من القواعد العامة ما يعينهم على بلوغ الهدف ، ويوصلهم الى الغايـــة المرجوة ، من تنظيم سبــــل الحياة للأفراد ، واقرار الحق والعدل .

ان المقصود من الشريعة الاسلامية هو جلب المصالح للناس ، ودفـــع المضار عنهم ، فيجب تحرى الحـــق والعدل حتى مع الأعداء ، يقول المولى تبارك وتعالى فى محكم آياته : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » و : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ، ويقول عز وجل : « ان الله يأمر بالعــــدل والاحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » ، ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « يسروا ولا تعسروا » ، و : « لا ضرر ولا ضرار » ، و : « الدين يسر » .

ويجب أن تكون العقوبة مناسبـــة للجريمة ، والعفو أقرب للتقـــوى : « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » ، ويجب الا يؤاخذ فرد بجريمة غيره ، وأيضا لا يصح التعلق بالأوهـــــام والخرافات .

أما الضرورة فلها أحكامها التـــى تلائمها ، فقد يباح فيها ما هو ممنوع فى غيرها ، : « الا من أكره وقلبـــه مطمئن بالايمان » ، و : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ، ان الله غفـــور رحيم » .

هذه بعض من القواعـــد العامـــة التى وضعها الاســـلام ليستنير بهـــا **المجتهدون عندما يضعون احكامـــا** للأشياء التى ليس لها نظير فيمـــا مضى .

ويرى العلماء ان الاجتهاد واجب عينى على كل انسان تعرض لـــه حادثة ويخاف موتها ، وكفائى على كل **مسئول عرضت له حادثة ولم يخـــف** موتها وهناك غيره من المجتهدين ، ويندب الاجتهاد عنـــد الســـؤال عن قضية أو مسألة لم تحدث بعد .

بيد أنه من الأصلح والأحسن أن تكون هناك مجموعة من العلماء ذوى الكفاءة ، يقع على كاهلها مهمـــة الاجتهاد فى الأمة ، وأن الأمة تأثم وتقع فى الخطأ اذا انقطع عنهـــا الاجتهاد ، ورضيت بالتقليد الأعمى والجمود .

ويعتمد المجتهد فى استنباطـــــه **للأحكام على ثلاثة أمور :**

أولها : المعرفة بالأدلة السمعية ، **التى ترجع الى كتاب الله عز وجل ،** وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، والاجماع ، وما اختلف فيـــه العلماء من الأصول الأخرى .

ثانيها : التأكد من دلالة اللفظ فى اللغة العربية ، وفى استعمال البلغاء وهذه الدلالة تكون إما بالمنطوق ، أو بالمفهوم ، أو بالمعقول ، وهو القياس **وأنواع الاستدلال المختلف فى حجيتها** بين أئمة المسلمين

ثالثها : المقدرة على الموازنة بين **الأدلة ، واختيار أرجحها وأقواها .**

فلا بد اذن لمن يرغب أن يكون مجتهدا من أن يكون على معرفة بالكتاب ، ودراية بقراءاته ، وعلم بناسخه ومنسوخه ، وفهم للسنة النبوية الشريفة واصطلاحاتها ، ودرجاتها ، ومركزها من القرآن الكريم ، ولا بد أيضا من أن يكون ملما بعلم الأصول واللغة ، وآراء الفقهاء ، وأسباب اختلافهم ، وطرق الاستدلال السمعية والعقلية ومقاصد الشريعة.

ويرى الشاطبى فى كتابه « الموافقات » أن درجة الاجتهاد إنما تحصل ممن اتصف بوصفين :

الأول : فهم مقاصد الشريعة على كمالها .

الثانى : التمكن من استنباط الأحكام بناء على فهمه لمقاصد الشريعة .

فالمقاصد الشرعية هى الأساس ، فاذا وصل المجتهد الى ادراك قصد الشارع فى كل مسألة ، فقد تمكن من الوصول الى أن يطلق عليه وصف خليفة الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى توضيح وتبيين الخطاب الإلهى فى التعليم والفتوى .

ولا يلزم المجتهد فى الأحكام الشرعية أن يكون مجتهدا فى كل علم يتعلق به الاجتهاد على الجملة ، بل الأمر ينقسم ، فان كان له علم لا يمكن أن يحصل وصف الاجتهاد بكنهه إلا عن طريقه ، فلا بد أن يكون على علم به حتى يكون مجتهدا فيه ، وما عدا ذلك من العلوم فلا يلزم ذلك فيه وإن كان العلم به معينا فيه ، ولكن لا يخل التقليد فيه بحقيقة الاجتهاد .

الاجتهاد فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم :

إن الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يفارق الحياة الدنيا الا بعد أن تكامل بناء الشريعة الاسلامية ، فما كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم مما ثبت باجتهاد الصحابة والتابعين لا يعد تشريعا فى الحقيقة ، بل هو توسيع فى تبسيط القواعد الكلية ، وتطبيق ذلك على الأحداث الجزئية المتجددة ، واستنباط للأحكام بفهمها والقياس عليها فيما لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة .

وقد ثبت أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان مأذونا بالاجتهاد ، وأنه قد وقع منه بالفعل ، وفى مواضع كثيرة كان لا بد فيها من الاجتهاد ، ومما ينبغى أن يعرف أن اجتهاد الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى الأحكام أساسه القرآن الكريم ، وما بثه فى نفسه من روح التشريع ومبادئه فهو يستند فى تشريعه الأحكام الى تطبيق المبادىء العامة لتشريع القرآن الكريم ، لترجع أحكام السنة الى أحكام القرآن الكريم ، ومن ثم لا يقع بين أحكام القرآن الكريم وأحكام السنة النبوية الشريفة أى تخالف أو تعارض .

فمن مواضع الاجتهاد التى يشهد بها القرآن الكريم ، أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه استشار أصحابه فيما يصنعه بأسرى « بدر » ، فأشار ابو بكر الصديق بالفداء ، وأشار عمر بن الخطاب بقتل الأسرى، فمال الرسول صلوات الله وسلامه عليه الى رأى أبى بكر الصديق ، وبعد تنفيذ القرار فى شأن الأسرى نزل القرآن الكريم معاتبا المسلمين ، لا على ما فعلوه بالأسرى من اطلاق سراحهم والمن عليهم بالفداء كما يتوهم ، بل على نفس الأسر أثناء القتال ، أى على عمل تكتيكى حدث خلال المعركة،وهو اكتفاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه وبعض المسلمين بانهاء المعركة بأقل ما يمكن من الخسائر فى أرواح زعماء « قريش » .

ومن أمثلة اجتهاد الرسول صلى

الله عليه وسلم التى تعتمد على القياس وتعتبره من المدارك الشرعية، أن امرأة جاءته وقالت : « يا رسول الله : ان أمى ماتت وعليها صوم نذر ، افأصوم عنها ؟ فقال : أرأيت لو كان على أمك دين فقضيته أكان يجزىء عنها ؟ قالت : نعم . فقال صلوات الله وسلامه عليه : فدين الله أحق أن يقضى » .

ومن ذلك ايضا أن رجلا وضعت زوجته ولدا أسود فأنكره ، فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه للرجل : « هل لك من إبل حمر فيها أورق ؟ » ، قال : نعم . فقال له صلى الله عليه وسلم : « فمن أين ؟ » ، قال لعله نزعة عرق . فقال صلى الله عليه وسلم : « وهذا لعله نزعة عرق » .

وكان الرسول الكريم يأمر أصحابه بالاجتهاد ، وقد تعددت وقائع الاجتهاد من الصحابة فى حضرته وفى غيبته ، فكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقرهم على ما أصابوا ، وينكر عليهم ما أخطأوا ، فقد حكم الرسول الكريم سعد بن معاذ فى يهود « بنى قريظة » بناء على طلبهم ، وارتضائهم لحكمه وتنفيذهم له . فحكم سعد بأن يقتل الرجال ، وتسبى النساء والأطفال،وتصادر الأموال والممتلكات فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات ، لقد رضى بحكمك هذا الله والمؤمنون ، وبه أمرت » .

وقد قاس سعد بن معاذ حكمه على اليهود على المحاربين الذين ذكرهم القرآن الكريم فى قوله تبارك وتعالى « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » .

وروى عن عمرو بن العاص أنه قال : « جاء خصمان يختصمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لى : يا عمرو ! اقض بينهما . قلت : أنت أولى بذلك منى يا نبى الله . قال : وان كان . قلت : على ماذا أقضى ؟ قال : ان أصبت القضاء بينهما فلك عشر حسنات ، وإن اجتهدت فأخطأت فلك حسنة » .

وقتل أبو قتادة رجلا من المشركين ، فأخذ سلبه غيره ، فقال أبو بكر : « لا نقصد الى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فنعطيك سلبه ،أردد عليه سلب قتيله » ، فقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « صدق ، أردد عليه سلبه » .

الاجتهاد فى زمن الخلفاء الراشدين

عقب وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وانقطاع الوحى ، انتقلت قيادة الأمة الاسلاميةفى الأمور الدينية والدنيوية الى الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة ، فاضطلعوا بهذا الواجب ونهضوا بهذا العبء .

وقد مضوا على هذه الخطة : فكان أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — اذا ورد عليه حكم نظر فى كتاب الله عز وجل ، فان وجد فيه ما يقضى به قضى به، وان لم يجد فى كتاب الله عز وجل نظر فى سنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فان وجد فيها ما يقضي به يقضى به ، وان لم يجد فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقضى به ، جمع كبار المسلمين واستشارهم ، فاذا اجتمع رأيهم على شىء قضى به .

وكان عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — يفعل ذلك ، ويكتب به الى قضاته فى الأقاليم ، فقد كتب الى أبى موسى الأشعرى قاضيه بـ « البصرة » يقول : « القضاء فريضة محكمة أو سنة متبعة » ، ثم قال : « الفهم الفهم

فيما تلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة . اعرف الأشباه والأمثال ، وقس الأمور عند ذلك ، واعمد الى أقربها الى الله واشبهها بالحق » .

وقال لشريح حينما ولاه قضاء مدينة « الكوفة » : « اقض بما استبان لك من قضاء رسول الله ، فان لم تعلم كل أقضية رسول الله فاقض بما استبان لك من قضاء أئمته المجتهدين، فان لم تعلم كل ما قضت به الأئمة المجتهدون فاجتهد ورأيك ، واستشر أهل العلم والصلاح » .

هذه هي خطة الاسلام في الحكم على الأمور ، إما العمل بما في كتاب الله عز وجل ، وإما العمل بما في سنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وإما الرجوع الى الاجتهاد في تطبيق القواعد العامة والعمل بروح الشريعة الاسلامية .

وقد كان الصحابة — رضوان الله عليهم أجمعين — يرجعون في اجتهادهم الى قاعدتين هامتين : —

الأولى : قياس الأشباه على النظائر فاذا عرضت لهم حادثة وقع مثلها في عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وحكم فيها الرسول الكريم بما جاء في القرآن الكريم ، أو حكم فيها برايه ، حكموا في الحادثة التي عرضت لهم بمثل الحكم في الحادثة الأولى .

الثانية : رعاية مصالح الناس وتحقيق ما فيه الخير لهم ، والعمل على إقامة مجتمع تسوده الألفة والمودة والمحبة والسلام ، هذا اذا لم يكن للحادثة نظير سابق .

ولم يكن الصحابة في اجتهادهم تسودهم روح التزمت أو الجمود ، بل كانوا يعلمون أن للشريعة الاسلامية أحكاما يجب تحقيقها ، ومصالح تجب رعايتها حق الرعاية ، ومع ذلك فلم يجرؤ أي منهم أن يجزم بأن ما وصل اليه هو حكم الله عز وجل ، وأنه الحق والصواب وما عداه خطأ وباطل ، بل كانوا دائما يجهرون بقولهم : « ان كان صوابا فمن الله ، وان كان خطأ فمن أنفسهم ومن الشيطان » ، وهذا أبو بكر الصديق يقول عندما سئل عن الكلالة : « اقول في الكلالة برأيي،فان يكن صوابا فمن الله ، وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان ، الكلالة ما عدا الوالد والولد » .

ولقد سئل عبد الله بن مسعود عن المرأة التي تزوجت ، ولم يفرض لها زوجها صداقا ، وتوفي قبل أن يدخل بها فقال : « أقول فيها برايي ، لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط ، فان يكن صوابا فمن الله ، وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله منه بريئان » ، وقد وافق اجتهاده ماقضى به الرسول صلوات الله وسلامه عليه في بروع بنت واشق الأسلمية .

ان الخلفاء الراشدين قد واجهوا مهمة شاقة وصعبة ، لأن الفتوحات الاسلامية قد اتسعت اتساعا كبيرا ، وامتد نفوذ العرب الى ما وراء « الجزيرة العربية » ؛ ودخل الناس من كل جنس ولون في دين الله أفواجا وارتفعت الراية الاسلامية فوق دول وشعوب مختلفة .

ووجد المسلمون انفسهم أمام أحداث ووقائع ليس لهم سابق علم بها ، فلكل بلد عاداته وتقاليده ، وأخلاقه ونظمه التي اتخذ منها قواعد يسير عليها في معاملاته ومبادلاته ، فدعاهم ذلك الى البحث عن أحكام لكل ما يطرأ لهم من مسائل في كتاب الله عز وجل ، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الكتاب والسنة لم ينصا على كل ما نزل وينزل بالمسلمين من أحداث ووقائع ، فكان من اللازم والضروري أن يجتهد أئمة المسلمين في تطبيق القواعد الكلية

المقررة فى الكتاب والسنة ، على هذه الأحداث والوقائع الجزئية .

وقد مهد لهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه طريق الاجتهاد ومرنهم عليه ، واثابهم عليه فى حالتى الخطأ والصواب ، فبذلوا أقصى ما فى وسعهم فى استنباط الأحكام لكل ما يجد من الحوادث ، فنظروا فى النصوص ودلالاتها ، فقاسوا واستحسنوا .

فمن أول ما صادف المسلمين وواجههم عقب وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه من الأحداث والوقائع التى لم يكن لها نظير ولا شبيه فى عهده « مسألة المرتدين » ، فقد امتنع هؤلاء المرتدون عن ايتاء الزكاة ، مع اقامتهم للصلاة واقرارهم بالاسلام ، فرأى أبو بكر الصديق أن يقاتلهم حتى يؤدوا ما كانوا يؤدونه للرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ورأى عمر بن الخطاب عدم مقاتلتهم، وقال : « كيف نقاتلهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله الا الله . فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها » ، فقال له أبو بكر : « ألم يقل إلا بحقها ؟ فمن حقها ايتاء الزكاة ، كما أن من حقها اقامة الصلاة » ، قال عمر : « فوالله ما هو الا أن رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق » .

وتهافت المسلمون فى قتال المرتدين وقتل من حفظة القرآن الكريم وقرائه عدد كبير ، فخشى عمر بن الخطاب أن يضيع القرآن الكريم بموت حفظته ، فعرض على أبى بكر الصديق أن يجمع القرآن الكريم فى مصحف ، فنفر ابو بكر من هذا الرأى وقال : « أفعل ما لم يفعل رسول الله ؟ » ، وأرسل الى زيد بن ثابت وعرض عليه اقتراح عمر فنفر هو الآخر من هذا الاقتراح وقال مثل ما قال أبو بكر ، ولكن عمر بن الخطاب بين لهما أن هذا الاقتراح لا ضرر فيه ، بل على العكس فيه الخير للاسلام والمسلمين ، فلم ير أبو بكر الصديق بدا من تلبية نداء مستشاره وتنفيذ اقتراح ساعده الأيمن ، ابتغاء مرضاة الله تبارك وتعالى وحرصا على كتابه ، فأمر بتشكيل لجنة من الصحابة وجعل على رأسها زيد بن ثابت ، الذى كان يمتاز بالكفاءة والنزاهة ، والذكاء وطهارة القلب ، فجمع القرآن الكريم من الرقاع والعسب وصدور الرجال ، وقد ضم اليه أبو بكر سالم مولى أبى حذيفة ، وكان من كتاب الوحى ، ليعاونه فى جمع القرآن الكريم ، وعهد بتدوينه الى زيد بن ثابت .

وقال أبو بكر لعمر وزيد : « اقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على كتاب الله فاكتباه » ، وبذل زيد كل جهده فى جمع القرآن الكريم ، ووجد الآيتين الأخيرتين من سورة « التوبة » مع خزيمة بن ثابت ولم يجدهما مع غيره ، وهاتان الآيتان هما : « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ، فان تولوا فقل: حسبى الله لا إله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » .

وتم جمع القرآن الكريم فى كتاب روعيت فيه الدقة التامة فى كتابته ، وقد حفظت الصحف المدون بها القرآن الكريم عند أبى بكر الصديق ، ثم عند عمر بن الخطاب الذى عهد بها الى ابنته السيدة حفصة زوجة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، لأنه لم يكن قد بويع لاحد بالخلافة بعد عمر ابن الخطاب فى ذلك الوقت .

لقد واجه عمر بن الخطاب فى خلافته من الأحداث ما لم يواجهه أحد غيره ، ففى عهده فتحت البلاد ، وخضعت لسلطان المسلمين ونفوذهم دول ذات مدنيات قديمة ، ولعل هذا كان أحد أسباب امتياز عمر بسعة الأفق ، فقد اجتهد فى تعرف المصلحة التى يهدف إليها النص ، واسترشد بهذه المصلحة فى احكامه التى كان

يحكم بها ، أى كان يعمل بروح الشريعة الاسلامية لا بحرفيتها .

روى عن حذيفة بن اليمان أنه تزوج من يهودية بـ « المدائن » . وعندما علم عمر بذلك طلب منه أن يخلى سبيلها ، فأرسل اليه حذيفة يسأله : « أحرام هى يا أمير المؤمنين ؟ » ، فجاءه رد عمر يقول : « أعزم عليك الا تضع كتابى هذا حتى تخلى سبيلها ، فانى أخاف أن يقتدى بك المسلمون ، فيختاروا أهل الذمة لجمالهن ، وكفى بذلك فتنة لنساء المسلمين » ، وقد أخذ بهذا محمد صاحب الامام أبى حنيفة ، وان كان ليس حراما .

وروى ابن عباس أن الطلاق الثلاث دفعة واحدة كان يعد طلقة واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد ابى بكر الصديق ، وسنتين من خلافة عمر بن الخطاب ، ثم وجد عمر أن الناس قد أكثروا منه مخالفين بذلك شريعة الله عز وجل ، فقال : « ان الناس قد استعجلوا فى أمر كان لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ؟ » ، فأمضاه عليهم تأديبا للمطلقين ، وزجرا لغيرهم فلم يعد يقبل من أى شخص حلف بالطلاق ثلاثا دفعة واحدة أنه أراد تأكيد لفظ الطلاق الاول باللفظين التاليين له ، وذلك لتغير حال الناس عما كانوا عليه قبل ذلك من التزام القول الحق والتمسك بالصدق .

ومن اجتهادات عمر أنه أوقف اقامة الحد على السارق ، وذلك عندما حلت المجاعة بالناس فى (عام الرمادة) وكثر السراق ، لأنه رأى أن المصلحة المرجوة من العقوبة لا تتحقق فى وقت حلت فيه مجاعة بين المسلمين قد تلجئهم الى أكل الحرام .

ومن اجتهاداته ايضا أنه منع اعطاء المؤلفة قلوبهم نصيبهم المفروض فى الزكاة ، كما فى قوله تبارك وتعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم » ، لأنه فهم أن المقصود من اعطاء المؤلفة قلوبهم نصيبا من الزكاة هو اعزاز الاسلام ، وتكثير سوادهم ، أما وقد أصبح الاسلام عزيزا قويا ، فيصير الاعطاء على هذا الشكل فيه ذلة وخنوع ، فمنعه لأنه يريد العزة للمسلمين التى ارادها الاسلام لهم .

وهناك أمور ومسائل كثيرة كان يجتهد فيها عمر بن الخطاب ، وأصحاب الرسول صلوات الله وسلامه عليه يمدونه بالرأى ويؤازرونه بالمشورة .

ولقد كان عمر بن الخطاب أول من قرر قاعدة اختلاف الاحكام الاجتهادية باختلاف البيئات والبلاد ، وهى نتيجة ضرورية لازمة لاتساع رقعة الاراضى الاسلامية ، وتفرق الصحابة فيها ، واختلاف البلاد التى دخلت فى الاسلام فى الأحداث والمشاكل .

الاجتهاد فى عصر التقليد :

فى هذه المرحلة اتسعت رقعة الدولة الاسلامية اتساعا كبيرا ، وانتظمت بلادا وشعوبا مختلفة فى العادات والتقاليد ، والمعاملات والحضارات ، وبث غير العرب ممن دخلوا بين المسلمين الكثير من علومهم وبحوثهم ، وفتحوا للعقول ابوابا عديدة من التفكير ، فكان من أثر اختلاطهم بالعرب أن قامت نهضة عقلية عظيمة ، فنشط الاجتهاد نشاطا كبيرا واتسعت دائرته ، واتجه المجتهدون الى ما لم يتسع له زمن أسلافهم ولم تتهيأ لهم أسبابه ، واصبح الفقهاء يفترضون الاحداث التى لم تقع ، ويستخدمون وسائل اجتهادهم فى تعرف الأحكام لتلك الفرضيات ، حتى اصبحت عادات الناس على اختلاف أحوالهم وتعدد أممهم محكومة بالفقه ومتصلة به ،

ولم تعد الفوارق الاقليمية تباعد أو تفرق بينهم ، فالروابط التشريعية جعلت منهم أمة واحدة فى التقاليد والمظاهر الشرعية .

واستمر علماء المسلمين فى اجتهادهم فى شتى الاقطار ، حتى أخذت المذاهب الفقهية تنتشر وتتميز بصفاتها ، ويتخذ كل مذهب طابعه الخاص به ، وابتدأ الناس يتحيزون كل الى المذهب الذى يختاره ، ولم يكد ينتهى عصر الدولة العباسية حتى انحصرت المذاهب المتعددة فى أربعة مذاهب فقهية هى : المذهب الحنفى ، والمذهب الشافعى ، والمذهب المالكى ، والمذهب الحنبلى .

ثم تلا ذلك فترة من الركود والجمود اقفل فيها باب الاجتهاد وانقطع ، وكان هذا الركود والجمود من اسباب انتقاص سلطة القضاء الشرعى ، وقصره على ما يسمى الآن بالأحوال الشخصية ، وفى اقتباس الأحكام والقوانين الاخرى من القوانين الاجنبية .

وقد حذر الرسول صلوات الله وسلامه عليه من الوقوع فى انقطاع الاجتهاد ، وأمر بالحرص على وجود المجتهدين فى كل عصر من العصور ، بقوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء ، ولكن يقبضه بقبض العلماء ، حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوسا جهالا سئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا واضلوا » .

الاجتهاد فى عصر النهضة الحديثة :

وفى عصر النهضة الحديثة أحس الناس فى بعض البلاد بما فى الاقتصار على العمل ببعض المذاهب ، فى أجزاء من المسائل التى تواجهها من ضيق وبعد عن مجاراة الاصلاح الذى تنشده ، على ما فى الشريعة الاسلامية من يسر ومرونة وسهولة ورعاية لمصالح الأفراد والجماعات ، فاتجهت الأفكار الى الاقتباس من الاحكام الشرعية من آراء علماء الشريعة الاسلامية على اختلاف مذاهبهم ، متى كان فى هذا الاقتباس تحقيق لمصالح الناس ، ولا يناقض أصلا من أصول الشريعة الاسلامية ، وبهذا العمل ثبت الدليل العملى على مرونة الفقه الاسلامى ، وعلى كثرة ما يحتويه من بحوث قيمة فى شتى المجالات .

ان الاجتهاد هو العلم الذى وضعه الاسلام ليشرك به المجتهدين الأكفاء فى التشريع ، وهو ما يجعل الشريعة الاسلامية قابلة للتطور والدوران مع المصلحة العامة والخاصة فى جميع العصور ، وفى كل الجهات ، وهو ما يوفق بين ادعاء المسلمين ان الشريعة الاسلامية قد تمت فى زمن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وبين حاجة المجتمعات الى أحكام للقضايا التى تحدث والتى ليس فيها نص سابق من قرآن أو سنة .

وعدم ادراك المستشرقين لمغزى الاجتهاد وكنهه ، وفضله وعظمه ، هو الذى جعلهم يقولون : ان الشرع الاسلامى محكوم عليه بالجمود،لمجرد كونه قد تم وضعه بالوحى فى زمن الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

هذه هى الشريعة الاسلامية التى فتحت باب الاجتهاد على مصراعيه ، بل أوجبته فيما لا نص فيه من كتاب أو سنة ، بشرط أن يجرى ذلك فى ظل القواعد العامة التى تقر الحق والعدل ، وتعترف باختلاف الأحكام الجزئية باختلاف البيئات مراعاة لاختلاف عادات الناس وتقاليدهم ، ونظمهم ، وأساليب حياتهم .



للدكتور : محمد سلام مدكور

الحكم له اطلاقات تختلف باختلاف العلوم ، فيطلق فى العرف . على اثبات أمر لأمر أو نفيه عنه ، كالحكم بأن الشمس مشرقة أو ليست مشرقة لان فى ذلك اثبات شروق الشمس وعدمه .

والحكم فى اللغة :جاء فى القاموس الحكم : القضاء ، وحكم عليه بالأمر حكما وحكومة وحاكمه دعاه الى الحاكم ، ويقول ابن فرحون الفقيه المالكى المتوفى سنة ٧٩٩ هـ : ان الحكم فى مادته بمعنى المنع ومنه حكمت السفيه اذا اخذت على يده ومنه سمى الحاكم حاكما لمنعه الظالم من ظلمه .

وقد استعمل لفظ الحكم فى القرآن فى نحو مائة موضع ترجع فى جملتها الى القضاء والفصل لمنع العدوان والظلم فمن ذلك قوله تعالى : « يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق » وقوله « وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط » .

- ورد لفظ حكم بهذا المعنى أيضا في السنة النبوية في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر (١) » وقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه أحمد في مسنده وأبو نعيم في الحلية عن السيدة عائشة رضى الله عنها : « هل تدرون من السابقون الى ظل الله يوم القيامة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : الذين اذا أعطوا الحق قبلوه ، واذا سئلوا بذلوه واذا حكموا للمسلمين حكموا كحكمهم لأنفسهم » . وانما سمى من يتولى الشئون العامة حاكما لأنه هو الذى يفصل في كل ما يتعلق بأمور الدولة مباشرة أو بواسطة نوابه وأعوانه .

وما أوردنا لمعنى كلمة حكم هو الاستعمال الشائع الدارج في اللغة ومع هذا فقد استعملت فيها بمعان أخر كما يروى ابن منظور في لسان العرب « الحكم : الحكمة من العلم ، والحكيم العالم والحكم العلم والثقة ومن ذلك قوله تعالى « وآتيناه الحكم صبيا » ، وقوله « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » .

الحكم الشرعى عند الأصوليين : الأصوليون من أهل السنة يعرفون الحكم الشرعى بأنه خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاء أو تخييرا أو وضعا . فقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » حكم من الشارع بذلك ، وقوله « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » حكم منه بذلك .

ويقرب من الحكم عند الاصوليين الحكم في الاصطلاح القضائى لأنه عندهم الصيغة التى يصدرها القاضى للدلالة على ما فصل به في موضوع النزاع ، ولذا يقال على العبارة التى ينطق بها القاضى عند الفصل في الدعوى « منطوق الحكم » ، كما يقال « تأجلت القضية للنطق بالحكم »

ويقابل الحكم الشرعى عند الأصوليين في الجملة ما يسمى بالقاعدة القانونية عند رجال القانون وهى عبارة عن تكليف صادر الى الافراد تتوجه به سلطة تملك التكليف والأمر دون تعقيب ، وتكفل احترامها سلطة عامة في الجماعة عن طريق ما يتوافر لديها من قوى مادية لا تغلب .

فالقاعدة القانونية عندهم هى القانون الوضعى اذ تنظم الروابط الاجتماعية ويصحبها الجزاء الذى توقعه الدولة . وواضح أن القانون الوضعى انما يتناول علاقة الافراد بعضهم ببعض أو بالجماعة او علاقة الجماعات بعضها ببعض وأن الجزاء فيه قاصر على ما توقعه الدولة . بينما الحكم الشرعى ينظم علاقة الفرد بخالقه فوق تنظيمه الروابط الاجتماعية ، كما أنه أرصد جزاء أخرويا لمن يخالفه وثوابا لمن يطيعه .

الحكم الشرعى عند الفقهاء : يطلق المشتغلون بالفقه الاسلامى الحكم على الاثر المترتب على خطاب الشارع لاعلى نفس الخطاب الذى يعتبرونه دليلا . فيقولون الصلاة حكمها الوجوب ودليل ذلك قول الله تعالى (وأقيموا الصلاة) ، وقربان الزنى حرام بدليل نهى الله سبحانه عن الاقتراب منه في قوله جل شأنه : « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا » .

وتقييد الحكم بكونه شرعيا أى منسوبا الى الشارع سواء أكان الحكم صادرا منه مباشرة أم بواسطة اجتهاد المجتهدين . اذ المجتهد لا ينشىء الاحكام باجتهاده ، وانما يلتمس أحكام الشارع التى لم ينص عليها

بواسطة الأمارات والأدلة الظنية .

نظرة المعتزلة للحكم الشرعي :

يرى المعتزلة ان الحكم الشرعي ما يثبته الشارع في الفعل موافقا لما فيه من صفه اذ النصوص عندهم كاشفة للأحكام ، وان العقل يستقل بادراكها . وهذا بناء على مذهبهم وفي التحسين والتقبيح العقليين . اذ يرون أن الافعال تنقسم الى حسنة وقبيحة فمنها مايدرك بضرورة العقل كحسن انقاذ الغرقى والهلكى وكقبح الكفر وايلام البرىء ، ومنها ما يدرك بنظر العقل كحسن الصدق الضار وقبح الكذب النافع ، ومنها ما يدرك بالسمع كالعبادات .

فالعقل عندهم يمكن أن ينفرد بمعرفة حكم الله في الجملة من غير وساطة كتبه ورسله بناء على ما في الأفعال من صفات وآثار تبين وجه النفع أو الضرر ، وقالوا : ان حكم الله في افعال المكلفين هو على حسب ذلك النفع أو الضرر ، وعلى وفق ما يدركه العقل من حسن أو قبح واذا لم يدرك العقل شيئا من ذلك توقف حتى يرد حكم الشرع .

أقسام الحكم عند الاصوليين : يبين من التعريف الذى قدمناه عنهم للحكم الشرعي . ان تعلق خطاب الشارع بفعل المكلف ينقسم الى ثلاثة أقسام :

١ ـ تعلق على وجه الاقتضاء الذى هو الطلب سواء اكان طلب الفعل جازما وهو ما يسمى بالايجاب أو الوجوب ، أو غير جازم وهو ما يسمى بالندب ، أو كان طلب الترك جازما وهو ما يسمى بالتحريم أو الحرمة ، أو غير جازم وهو ما يسمى بالكراهة

٢ ـ تعلق على وجه التخيير بين فعل الشيء أو تركه دون ترجيح لأحد الجانبين على الآخر والذى يترتب على هذا هو الاباحة فيصير المكلف مخيرا بين فعل الشيء وتركه ويسمى الفعل مباحا . **وقد سبق أن أفردنا لهذا القسم بعض مقالات نشرت من قبل في المجلة .**

٣ ـ تعلق على وجه الوضع بجعل الشيء سببا أو شرطا أو مانعا ويرى بعض الاصوليين أن كون الفعل صحيحا أو غير صحيح من هذا النوع

أقسام الحكم الشرعي عند الفقهاء :

١ ـ أحكام شرعية علمية أى نظرية وهى المتعلقة بالعقائد كوجوب الايمان بالله وبرسله والبعث والحساب والايمان بأن القرآن حجة اذ كل هذه الأحكام المقصود منها الاعتقاد دون العمل فهى غير متعلقة بأفعال المكلفين وانما بعقائدهم ولذا سمى هذا النوع من الأحكام « بالاحكام الاعتقادية » .

٢ ـ أحكام شرعية وجدانية : تتعلق بالاخلاق وما يجب أن تكون عليه نفوس الناس ، وقد شرعت هذه الأحكام لتحاط العقيدة بالأخلاق الفاضلة المهذبة للنفس والمقومة للشخصية الفردية فالحكم بأن أكرمكم عند الله اتقاكم ، والحكم بأن القول المعروف والمغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ، والحكم بأنه اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا ، والحكم برد التحية بأحسن منها ، والحكم بأن الصدق واجب والكذب حرام الى غير ذلك من الاحكام فانها كلها لا تتعلق بأفعال المكلفين التى يؤاخذ عليها المرء في الدنيا .

٣ ـ أحكام شرعية تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال وأفعال

وتصرفات سواء أكانت من العبادات أو المعاملات أو الجنايات ، وسواء أكانت تتعلق بالأفراد أو الجماعات في الحرب أو السلم وهذه الأحكام كالوجوب والندب والحظر والكراهة وإباحة الشيء وترك المكلف حرا في اختيار فعله أو تركه ، ومنها الأحكام التي توصف بها العبادة بأنها قضاء أو أداء والتي يوصف بها العقد بأنه صحيح أو فاسد الى غير ذلك . وهذا النوع هو الذي يسمى بالأحكام الشرعية العملية لتعلقها بأعمال المكلفين . وهذا النوع من الاحكام هو موضوع علم الفقه .

طريق معرفة الأحكام الشرعية العملية :

تحتاج الاحكام الشرعية العملية في معرفتها الى التأمل والفهم ،وبتفاوت الناس في الفهم تتفاوت مراتبهم في الفقه والتعرف على هذا النوع من الاحكام .

وهذه الأحكام وان كانت كغيرها من الأحكام الشرعية تؤخذ من الوحي كتابا كان أو سنة الا ان الفقيه اذا لم تسعفه النصوص الموحى بها لجأ الى استلهام روح الشريعة ومقاصدها .

وفي هذا اكبر مجال للاجتهاد .

والأدلة التي تؤخذ منها الأحكام الشرعية العملية منها ما هو دليل كلي اجمالي لم يعين فيه شيء خاص وهذا كما يطلق على المصادر الأصلية وما يتفرع عليها ، يطلق أيضا على القواعد الاصولية ، ومنها ما هو دليل جزئي يبين حكما معينا ويتعلق بمسألة بخصوصها كالدليل الذي يبين نصيب الزوج والاب والأم وغيرهم في الميراث وهو قوله تعالى « ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن » وقوله سبحانه « ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث » وكالدليل الذي يبين تحريم الزواج بالأخت الرضاعية وهو قوله تعالى في آية المحرمات من النساء « .. وأخواتكم من الرضاعة»

والأحكام الشرعية العملية اما أن تكون مستقاة من نصوص مقطوع بثبوتها ومقطوع بدلالتها على الأحكام أوحى بها كذلك لحوادث وخصومات اقتضت بيان أحكامها حين وقوعها كفريضة الصلاة والصوم والوفاء بالعقود فالنص القرآني باقامة الصلاة والوفاء بالعقد وصوم رمضان مقطوع بثبوته ومقطوع بدلالته ، والسنة الفعلية بعدد الركعات وبيان مواقيت الصلاة مقطوع بثبوتها وبدلالتها .

كما تكون الأحكام الشرعية العملية مستقاة من غير نص لكن المجتهدين في عصر أجمعوا عليها مثل إجماعهم على توريث الجدات السدس ، واجماعهم على منع توريث ابن الابن مع وجود الابن .

وهذان النوعان من الأحكام لا يجوز مخالفتهما بحال ولا الخروج عليهما اذ هي أحكام لازمة لا تقبل النقض وليست محلا للاجتهاد لأن دليلها لا يحتمل الشك لقطعية ثبوته ولا التأويل لقطعية دلالته .

وقد تكون الأحكام الشرعية العملية مستقاة من نصوص ظنية الدلالة كقوله تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » اذ القرء لفظ مشترك يفيد في اللغة معنى الطهر كما يفيد معنى الحيض . فالقول بأن عدة المطلقة ثلاثة أطهار أو ثلاث حيضات كلاهما مستنبط من دليل ظني في دلالته وان كان قطعي الثبوت . ولذا كان ذلك محل اختلاف الفقهاء .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين .. » فان الآية وان كانت مقطوعا بها من ناحية الثبوت الا أن دلالتها على ما يجب مسحه من الرأس ظنية ، كما أن دلالتها على الترتيب عند من يقول به أيضا ظنية فكان مجالا للاختلافات الفقهية .

وقد تكون الأحكام الشرعية العملية مستقاة من نصوص ظنية الثبوت . فأخبار لآحاد من السنة دليل ظنى فى نسبتها الى الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم تكن هناك قرائن تقطع بذلك على تفصيل مبين فى موضعه . ومع هذا فقد تكون دلالة بعض الاخبار قطعية وينحصر التثبت منها فقط فى السند ومدى صحة نسبتها للرسول صلى الله عليه وسلم وقد تكون دلالة بعضها ظنية أيضا وهذا مجال الاختلاف فيه فسيح اذ يختلف الفقهاء فى القيود التى يشترطونها للتثبت من صحة نسبة الخبر للأخذ به ، اذ أن السنة لم تكتب فى عصر الرسول ولم يحرص الصحابة على حفظها حرصهم على حفظ القرآن ، فضلا عن أن الرسول أذن لهم فى روايتها بالمعنى لمن له قدرة على اصابة المعنى ، كما أن السنة كانت غالبا تصدر عندما يتطلبها البيان أو تدعو اليها الحاجة وقد يحدث ذلك والرسول فى بيته أو فى المسجد أو فى مكان آخر ولم يكن بحضرته الا واحد أو نفر قليل يعلم ما صدر فى المسألة من سنة ، فلما مات الرسول عليه الصلاة والسلام وتفرق الصحابة فى البلاد كانت تعرض القضية فى المدينة أو فى غيرها فإن كان عند الصحابة الحاضرين فيها سنة حكموا بها ، وقد يروى أثرا فى مسألة أحد الرواة ولم يثق بروايته غيره ومن ذلك استحقاق المطلقة بائنا نفقة العدة وأجرة المسكن فقال عمر بن الخطاب انها تستحق وتبعه فى ذلك جمع من الصحابة استنادا الى عموم النص فى قوله تعالى « اسكنوهن من حيث سكنتم .. » وقوله « لا تخرجوهن من بيوتهن .. » والاحتباس يوجب النفقة .

بينما يرى ابن عباس أنها لا تستحق وتبعه فى هذا البعض استنادا الى ما روته فاطمة بنت قبيس فقد طلقها زوجها طلاقا بائنا وهو غائب ، ولما سألته النفقة قال : والله مالك علينا شىء . فلما سألت الرسول قال : ليس لك عليه نفقة . ولما علم عمر بذلك قال : لم نسمع هذا الحديث ولا نترك كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لا ندرى حفظت أو نسيت .

كما يختلف الفقهاء فيما يدل عليه الحديث من أحكام ومن ذلك ما روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال « لا صلاة الا بفاتحة الكتاب » فان هذا الحديث دلالته ظنية اذ يحتمل أن يكون المراد لا صلاة صحيحة أو لا صلاة كاملة كما فهم الحنفية .

ومن ذلك اختلافهم فى مفاد حديث فرض رسول الله زكاة الفطر فى رمضان صاعا من تمر فقد فهم البعض أن كلمة فرض استعملت بمعناها الشرعى الذى هو الطلب على سبيل الالزام والتحتيم وقالوا : ان صدقة الفطر واجبة ، وفهم البعض أنها هنا بمعناها اللغوى وهو التقدير وقالوا : انها مندوبة لا واجبة وأساس هذا الخلاف هو حمل اللفظ على المعنى الشرعى أو اللغوى .

والأحكام المستقاة من نصوص ظنية على وجه العموم فيها مجال

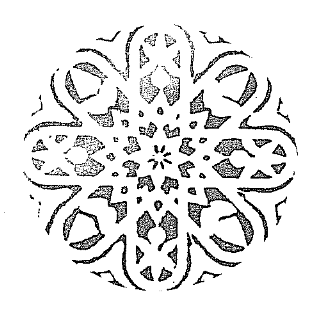
للاجتهاد ، غير أن الاجتهاد يكون فى حدود فهم المراد من النص وترجيح أحد معانيه على الآخر دون خروج على ذلك ما دام النص قطعى للثبوت أو حفت به قرائن تجعله فى حكم المقطوع به .

وقد تكون الأحكام الشرعية لم يرد بها نص تشريعى ، ولم تكن موضع اجماع ، وانما جاءت وليدة استنباط أفراد من المجتهدين حسب ما وصلت اليه عقولهم ، ومن الواضح أن مجال الاجتهاد فيه بعد واختلاف الرأى فيه أوسع اذ العقول متفاوتة والاتجاهات متغايرة ، والعوامل الخارجية التى تؤثر على منهج الفقيه فى الاستنباط مختلفة ، والحكم الشرعى الذى ينتهى اليه أحدهم من هذا يكون حكما ظنيا حتى اذا اتصل به أمر ولى الامر فان حجتيه تكون قاصرة على عصره ما لم يصر حكما اجماعيا ..

وكان لكل من فقهاء الصحابة والتابعين خاصة منهجه الخاص فى استنباط الاحكام عند انعدام النص فمنهم من يؤثر الاتجاه الى القياس فيعدى حكم ما فيه نص الى القياس وشبيهه مما ليس فيه نص لاشتراكهما فى العلة ، ومنهم من يؤثر الاتجاه الى مراعاة مصالح الناس ودفع الحرج عنهم ، ومنهم من يؤثر استلهام روح التشريع وأسسه العامة فى كل مسألة لم يرد فيها نص .

والأحكام الظنية ان لزمت احدا فانها تلزم المجتهد نفسه ، والمقلد الذى يستفتى فيفتى بحكمها ومع هذا فان المجتهد إذا أداه اجتهاده بعد ذلك الى خلاف ما رآه وجب عليه الأخذ بما اداه اليه اجتهاده الأخير .

ومن الأحكام الشرعية العملية التى بينتها النصوص ، والأحكام الشرعية العملية التى لم تبينها نصوص وانما دلت عليها الامارات الشرعية يتكون الفقه الاسلامى ، أو بعبارة أخرى الأحكام التى أخذت من الكتاب والسنة مباشرة ويكون مصدرها الدين والاحكام التى تؤخذ من المصادر الاخرى ويكون مصدرها الرسمى الفقه . فمن مجموعها يتكون الفقه الا مى الذى يجب أن يكون مصدر القوانين فى دار الاسلام .



---

(١) هذا الحديث غير ثابت بهذا اللفظ ، ولعله مروى بالمعنى من أحاديث صحيحة جاءت فى الاقضية ، وقد اشتهر هذا النص بين الاصوليين والفقهاء : انظر كشف الخفاء مزيل الالباس هـ ١ ص ١٤٢ .



وَلِلَّهِ على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً

« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »

للأستاذ : أحمد عبد المحسن المشاوى

مشروعية الحج والعمرة :

فرض الحج فى السنة السادسة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل قول الله تعالى « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعاملين، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » .

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين فريضة الحج بما روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا » فقال الأقرع بن حابس : أفى كل عام يا رسول الله ؟ فقال : « لو قلت نعم لوجبت وما استطعتم : الحج مرة فمن زاد فتطوع » .

وكذلك كانت مشروعية العمرة من كتاب الله حيث يقول الله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » وقوله تعالى « واتموا الحج والعمرة لله » الآية .

وكذلك من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » .

والحج فريضة محكمة ، وهو الركن الخامس فى الاسلام ، ويشير الى ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » .

فالايمان به واجب ، ويكفر ويخرج من الملة ويقام عليه الحد كفرا كل من أنكر فريضة الحج ، ذلك لأنه علم من الدين بالضرورة .

أما العمرة ، فاختلفت فى حكمها مدارس الفقه الاسلامى ، فمن قائل بوجوبها ، ومن قائل باستحبابها ، وفى رأى بعضهم هى بين الواجب والمستحب ، أى هى سنة .

فمن قال بوجوبها نظر الى قوله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله » والى قوله : « وأتموا الحج والعمرة لله » ، ومن قال باستحبابها أو سنتها نظر الى حديث بنى الاسلام على خمس ، ولم يذكر منهن العمرة .. وعلى كل فهى كفارة لما قبلها من الذنوب ، ويعظم ثوابها حتى يصل الى ثواب حجة كاملة ، ولكنها لا تسقط الفرض ، اذا أديت فى رمضان .. يشير الى هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم سنان الأنصارية : « ما منعك أن تحجى معنا ، قالت : كان لنا ناضحتان (أى بعيرين نستقى عليهما) فركب أبو قلابة وابنه احدهما . وترك الآخر لننضح عليها ، فقال صلى الله عليه وسلم ، فاذا كان رمضان ، فاعتمرى فيه ، فان عمرة فيه تعدل حجة » .

وعلى هذا لا يأثم من اعتقد أنها دون الواجب بخلاف الحج فان من اعتقد انه دون الواجب يكفر باعتقاده .

كيف قابل المسلمون هذه الفريضة ؟ :

لقد كان المسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم فى تطلع وشوق الى دخول مكة ، حتى تكون الكلمة فى بيت الله الحرام لله وحده لا شريك له ، وكلما مر بهم الزمن كلما زاد الشوق الى أن تصل الدعوة لأهل مكة وتسكن قلوبهم ويدخلوا فى دين الله أفواجا . ومن يوم أن هاجر الرسول الى المدينة والحرب قائمة بينه وبين المشركين والتلاحم قائم فى كل عام ، فغزوة بدر ، وغزوة أحد ، وغزوة الخندق من المعارك التى كان فيها الالتحام والقتال ، ثم صلح الحديبية الذى فيه أقر الطرفان بوضع الحرب بينهما عشر سنوات يبعد الأمل ويزيد الشوق الى ما يريده المسلمون من دخول مكة دخولا باسلام أكبر من أن يدخلوها بعمرة .

وتجىء فرضية الحج فى السنة السادسة من الهجرة فيفرح المسلمون ويشتد فرحهم لأنهم أدركوا أن تمام الأمر قد قرب ، وأن تحقيق ما وعد الله تعالى به عبده ورسوله قد آن أوانه ، وأن مكة لا محالة مفتوحة أمام الدعوة ، وأن البيت سيخلص للمسلمين ولكلمة الله وحده لا شريك له . فكان بذلك فرحهم وأملهم ورجاؤهم عظيما وكبيرا . فهى بشارة من الله تعالى لعبده ونبيه بكمال دعوته ونصرة كلمته وتحقيق أمله ، خصوصا وان كل الفرائض قد تم فرضيتها ، فالصلاة فى مكة ، والزكاة والصوم فى المدينة ، والشهادة قائمة بها الدعوة من يوم البلاغ الأول لأهل مكة .

اعمـــال الحج والعمــرة :

أعمال الحج عشرة : أولها الاحرام من الميقات ، ثانيها الطواف بالبيت ، ثالثها السعى بين الصفا والمروة ، رابعها الوقوف بعرفة ، خامسها المبيت بالمزدلفة سادسها المبيت بمنى ، سابعها رمى الجمرات ، ثامنها ذبح الهدى لمن عليه هدى ، تاسعها الحلق أو التقصير عاشرها طواف الافاضة .

أعمال العمرة أربعة : الاحرام من الميقات والطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة والتحلل من الاحرام بالحلق أو التقصير .

وهذه الأعمال تختلف درجتها فى الحكم بين الركن والواجب والسنـــة والاستحباب . أما الأركان فهى فى العمرة ثلاثة : الاحرام ، والطواف ، والسعى فقط . وأركان الحج هى أربعة : هذه الثلاثة ويزاد عليها الوقوف بعرفة .

وبقية الأفعال فى كل من الحج والعمرة هى بين الواجب والمستحب ويجب أن ندرك أن الواجب فى باب الحج غير الواجب فى غير الحج . فالواجب فى الحج يجبر بالدم ، وفى غير الحج هو الركن لا يجبر الا بفعله ، كالركوع فـــى الصلاة ، فانه لا يجبر بسجـــود السهو ، انما يجبر بالركعـــة كاملة .

فقه الحج والعمـــرة : لقد تكلمنا فى الأسطر السابقة عن أركـــان الحج والعمرة وذكرنا بقية الأعمال وكل ما نريد بيانه فى هذه الأسطر هو درجة ما عدا الأركان من الأحكام الفقهية .

فسنن الحج هى الغسل للاحرام ومس الطيب قبل الاحرام ونتف الابط وتلبيد الشعر وصلاة ركعتين قبل الاحرام وملازمة التلبية من الاحرام حتى رمى الجمرة الأولى ثم تنتهى التلبية فى الحج ، وأيضا تنتهى التلبية فى العمرة بعد السعى بين الصفا والمروة ، ومنها تقبيل الحجر الأسود ، واستلام الركنين ، وصلاة فى مقام ابراهيم عليه السلام ، والشرب من ماء زمزم ، ورمى الجمرات ، والهرولة فى الأشواط الأولى من الطواف ، وبين الميلين فى السعى بين الصفا والمروة ، والحلق و التقصير وطواف الوداع ليلا ، وزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام . هذه كلها دون الركن فى الحج والعمرة ، ويجبر بعضها بالدم لمن تركها عند من يقـــول بالوجوب ، وأما عند من يقول أنها مستحبة فلا دم عليه .

وقد يقع من الناس تقديم وتأخير بين الافاضة والرمى هذا لا يضر وليس فيه شىء من الفداء ، ذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لما كان عند الجمرات سأله كثير من الناس عما وقع منه من تقديم لبعض أفعال الحج وتأخير لبعضها ، فكان عليه الصلاة والسلام يأمرهم باكمالها دون أن يلزمهم بكفارة . وقد بين عليه الصلاة والسلام أنه لا حرج عليهم ، وانما الحرج على مرتكب غيبة فقط فى هذا اليوم .

ما يحـــرم على الحاج والمعتمـــر : يحرم على الحاج والمعتمر بعـــد الاحرام مس الطيب والنساء ، وصيد البر والزواج ، والرفث والفسوق والجدال ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى : « الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم » ـــ أما صيد البحر فهو حلال ويأكل منه الحاج والمعتمر لقوله تعالى : « أحل لكم صيد البحـــر وطعامه متاعا لكم وللسيارة ، وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما » .

ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم فى حجه الأكبر الصيد الذى يحرم على الحاج والمعتمر الأكل منه ، والصيد الذى لا يحرم ، فلقد قدم اليه صلى الله

عليه وسلم فى رحلة الحج لحم يقطر دما هدية ، فامتنع عن الأكل ، وقال لصاحبه : « نحن حـــرم » وقدم له ايضا لحم صيد فأكل منه

وهنا اشترط الفقهاء فى حلية الصيد للحاج أو المعتمر اربعة شروط : **أولها** ، ألا يكون الحاج أو المعتمر هو الذى صاد الصيد بنفسـه . **ثانيها** ، الا يكون قد اصطيد من أجله أو لأجله . **ثالثها** ، الا يكون قد دل عليه الصياد . **رابعها** ، الا يكون قد أعان على صيده .

اذا توافر النفى فى هذه الشروط يحل للحاج أن يأكل من الصيد ، وأما اذا فقد نفى فى هذه الشروط كأن يكون اصطيد له أو أعان عليه أو ارشد عليـــه أو اصطاده هو ، فيحرم الأكل ، وفى الأخيرة يلزم الجزاء من النعم المماثل للصيد بعد حكم ذوى العدل من الرجال . لقوله تعالى : « فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم » .

كذلك يحرم على الحاج الخطبة لنفسه أو الخطبة لغيره أو انكاح لنفسه أو انكاح غيره ووطؤه لزوجته وهو فى الاحلال الاكبر وهو الذى يقع بعـد طواف الافاضة .

حكم الحـــائض والنفساء :

اذا حاضت المرأة أو نفست فى الحج بعد الاحرام فانها تستثفر ولا تقرب البيت ، لا بطواف ولا بسعى ، حتى ينتهى حيضها أو نفاسها .. واذا أدركها يوم عرفه تستثفر وتقف مع المسلمين يوم عرفه ، حتى لا يفوتها الحج ، ثم بعد عرفه تتم حجها ، وفى الحج لا تنقض احرامها ، وأما فى العمرة فانها تنقض احرامهـــا برؤية الدم ، ثم لما ينقطع عنها الحيض تحرم للعمرة وتتم عمرتها . ذلك لأن العمرة لا وقت لها ، أما الحج فله وقت معلوم لقوله عليه الصلاة والسلام « الحج عرفه » .

الفـــرض من الحج والعمـــرة :

اما حكمة فرضية الحج فهى مأخوذة أولا من كتاب الله تعالى ؛ وهى حكمـــة متعددة ، أولها : أن يشهدوا منافع لهم ، وقد فسرها العلماء بالتجارة التــــى يتبادلونها فهى منافع لكل من أهل مكة والحجيج . ثانيها : ذكر الله تعالى ، لأنه هجرة الى الله تعالى بالنسبة للرجل ، وجهاد بالنسبة للمرأة ، وفيه تلبية ، ودعاء، وصلاة ، وتكبير ، وكله ذكر لله تعالى ، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الحج العج والثج » .. أما العج فهو رفع الصوت بالتلبية، والثج إسالة دم الهدى . **ثالثها : قضاء التفث ووفاء النذر ، وقد جاء ذلك فى قوله** تعالى فى سورة الحج : « ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى أيـــام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام » ثم يقول تعالى : « ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » .

ويشعر الحاج فى رحاب بيت الله تعالى بالأمن والطمأنينة من الحيـــاة وشرورها وآثامها ذلك لأنه فى حرم آمن لاتمسه فيه فتنة ولا يلمزه شيطان لأنه ضيف الله ، والله وحده هو الحامى له والحارس عليه . ومن كان فـــى هـــذه الحظوة شعر بالأمن والطمأنينة التى لا يمكن أن تصيب قلب انسان فى مكـــان غير بيت الله الحرام ، مصداقا لقوله تعالى : « ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت » .

ولا ننسى أن وقوف الحاج عند كل شعيرة من شعائر الحج تذكره مع الوقفة بتاريخها وقيمتها فى الدعوة الاسلامية . وفى الرجوع بالقلب والفكر الى الذكرى ، ذلك لمن كان له قلب أى بصيرة أو القى السمع وهو شهيد .

انها تعلم الانسان كيف يكون محمديا يتحمل مثل ما تحمل رسوله صلى الله عليه وسلم من أمانة ومسئولية عن الدعوة الى الله تعالى ، تعلمه حقيقة الجهاد حين يقف أمام أماكن المجاهدة التى شهدت جهاد رسول الله وصبر رسول الله وايمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعلمه كيف يؤمن باسلامه وبدينه ، كما كان محمد صلى الله عليه وسلم يؤمن باسلامه وبدينه ، فلقد سووم عليه بالمال والجاه والسلطان والتملك ، فقال : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

انه يتعلم كيف يكون العزم على الجهاد وكيف يكون الصدق فى الجهاد مع النفس ومع العدو حين يرى دار الندوى بيت الأرقم بن أبى الأرقم أول منتدا فى الاسلام وأول دار اقيمت فيها دعوة الله خالصة ، ويرجع بذهنه الى عدد المسلمين يومها ويذكر كلا باسمه ليرى أنه كان منهم العبد والفقير والضعيف ، ولكنهم علموا الدنيا كلها صدق الجهاد وقوة النفس ، ومضاء العزم مع قوة الايمان ، وذكر ما كان من ابراهيم خليل الله وولده اسماعيل من صبر على بناء بيت الله واقامة قواعده ، ومن صدق فى اداء الأمانة ، ومن قوة فى الحفاظ على دعــوة الله وكلمتــه .

انها بحق منافع عظيمة كلها تبعث فى النفس الأمل فى الأمة وفى الاســلام وفى الحق وفى الخير الذى لا يخرج من هذه الأمة الى أمة أخرى ابدا مصداقا لقوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .

دعــوات الرسول وأماكنها فى الحــج :

روى عن الشافعي أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ من تلبية فى حج أو فى عمرة سأل الله تعالى رضوانه والجنة ، واستعاذ برحمته من النار ، وعلى هذا يكون أول دعاء له عليه الصلاة والسلام بعد الاهلال من الميقات فى ذى الحليفة حيث ثبت أنه عليه السلام لبى ثم دعا ربه .

والدعاء الثانى : لما دخل عليه الصلاة والسلام المسجــد الحــرام من باب بنى شيبة وحين رأى الكعبة قال : « اللهم انت السلام ، ومنك السلام ، واليك يعود السلام ، حينا ربنا بالسلام ، وادخلنا الجنة بسلام ، اللهم زد بيتك هــذا تشريفا وتعظيما ومهابة وتكريما ، وزد من حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيمــا وبرا وتكريما » .

هذا ولم يؤثر عنه عليه الصلاة والسلام انه دعا فى طوافه بدعاء خــاص الا قوله « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » .

هذا ويستحب أن يقول الطائف قبل طوافه وقبل هذه الآية كما هو مروى فى بعض الأحاديث « اللهم انى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخــرة » ثم يقرأ الآيــة : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخــرة حسنة ، وقنا عــذاب النار » ومن الأدعية المأثورة فى الطواف « سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله واللــه أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ، اللهم انى أعوذ بك من الشك والشرك والشقاق

والنفاق وسوء الأخلاق ، اللهم قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه ؛ واخلف على كل غائبة لى بخير » .

وعندما قرب الرسول صلى الله عليه وسلم من الصفا والمروة قرأ قول الله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » ثم رقى الصفا حتى رأى البيت ، فاستقبله وقال ثلاث مرات : « لا اله الا الله الله أكبر ، لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، لا اله الا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » .

ثم دعا يوم عرفه وبين عليه الصلاة والسلام أن خير الدعاء دعاء عرفه وخير ما قلته أنا والنبيون من قبلى « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » .

وكان من دعائه فى الموقف « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى صدرى نورا ، وفى سمعى نورا ، وفى بصرى نورا ، اللهم اشرح لى صدرى ، ويسر لى امرى ، أعوذ بك من وسواس الصدر ، وشتات الأمر ، وفتنة القبر ، اللهم انى أعوذ بك من شر ما يلج بالليل ، وشر ما يلج بالنهار ، وشر ما تهب به الريح ، وشر بوائق الدهر ، اللهم لك الحمد كالذى تقوله ، اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى ، واليك مآبى ولك ربى تراثى اللهم انك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى وعلانيتى ، لا يخفى عليك شىء من امرى ، انا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنوبى ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف الضرير ، من خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه ، وذل جسده ورغم انفه ، اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقيا ، وكن بى رؤوفا رحيما ، يا خير المسئولين ويا خير المعطين » .

هذا ولم يدع الرسول صلى الله عليه وسلم بدعاء خاص ولا عام عند الجمرات بل كان يكبر ، عند كل حصاة ، وكذلك لم يدع فى طوافه للافاضة .

ودعا عليه الصلاة والسلام عند دخوله المدينة بعد رجوعه من الحج ، وحين رآها كبر ثلاثا ، وقال : « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، آيبون تائبون عابدون سائحون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

منكــرات يجب تجنبهــا :

يحمل كثير من الحجاج اكفانهم معهم بقصد زمزمتها اذا رجعوا سالمين أو أن تكون أكفانهم اذا كانت هناك منيتهم ، وهذا من المنكرات والبدع السيئة ، ذلك لأن لباس الاحرام هو للدنيا وللآخرة ، ولا شىء يفضله ، وهذا مأخوذ من مشهد فى حج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث مات احد الحجاج فأمر الرسول ان يغسل ولا يمسه طيب أو مسك وأن يكفن فى لباس احرامه ، وأن يبقى ذراعه الأيمن ووجهه مكشوفا ، لأنه كما قال الرسول عليــه الصلاة والسلام : يقــوم يوم القيامة وهو يلبى ، كما أن الشهيد يكفن فى ثيابه لتكون شاهدة له يــوم القيامة بما أصابها من تمزق ودم .



نظرات فى الحديث

مرحلة تدوين المسند ٧

للدكتور : محمد عبد الرءوف

فرغنا من الكلام على مرحلتين من مراحل تدوين الحديث ، الاولى مرحلة تدوين (الصحيفة) ، والثانية مرحلة تدوين (المصنف) ، ولقد رأينا أنه بينما كان الهدف من تدوين الصحيفة مجرد تقييد الحديث فى صفحات معدودة كان قصد صاحب المصنف ــ الى جانب ذلك ــ تبويب الأحاديث وترتيبها على أبواب الفقه ليتيسر استخدامها والرجوع اليها فى استنباط الاحكام ونحوها ، ولذلك كان جامع المصنف يضيف مواد أخرى كثيرة مناسبة من أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم وفتاوى هؤلاء وآرائهم ، كما كان يضيف من عنده أحيانا عبارة أو عبارات للبيان والتوضيح أو النص على رأى أو ترجيحه .

وقبيل انتهاء القرن الهجرى الثانى رأت طائفة من علماء الحديث أن طريقة تدوين المصنفات تبدو وكأنها تهدف أكثر ما تهدف الى خدمة الفقه والاستنباط لا خدمة الحديث لذاته ، كما رأوا انها تخلط بالحديث مادة واسعة من أقوال غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتاواهم يزيد عددا وحجما عن مادة الحديث نفسه، بحيث أنك قد لا تعثر فى الصفحة أو الصفحات من المصنف على حديث واحد فتشعر كأنك تقرأ كتابا من كتب الفقه لا مصدرا من مواد الحديث . فرأى هؤلاء أن يبدأوا نوعا آخر من تدوين الحديث يقتصر على جمع الحديث ذاته ونقل ما بقى منه فى الصدور الى السطور ، فشرعوا يجمعون الاحاديث مجردة عن غيرها ومرتبة على حسب ترتيب الصحابة من رواتها عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بحيث تجمع الاحاديث التى تروى عن طريق الصحابى معا مدونة فى كتاب مستقل ، أو تجمع أحاديث عدد من الصحابة بحيث تكون أحاديث كل صحابى فى باب واحد يحمل اسم هذا الصحابى وتدون معا فى كتاب واحد .

وحيث ان الاحاديث فى هذا النوع

من الجمع والتدوين مسندة الى الرسول صلى الله عليه وسلم دون غيره — الا ما قد يكون فى المجموع من زيادات نادرة — اصطلح المؤلفون على تسمية هذا النوع من التدوين (المسند) ، فقالوا مثلا : (مسند عمر بن الخطاب) او (مسند أبى هريرة) ، كما سموا الكتاب الذى يحتوى على عدد من هذه المسانيد (المسند) كذلك ، وكأنهم يعنون بذلك : « الكتاب المسند ما فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ويعنونون لكل باب فى مثل هذا (المسند) الجامع لأحاديث عدد من الصحابة بكلمة (مسند) مضافة الى الصحابى ، فيقولون : (مسند أبى بكر) أو (مسند على بن أبى طالب) أو (مسند عائشة رضى الله عنها) ، وقد يسمونها : (أحاديث أبى بكر) و (أحاديث على بن أبى طالب) و (أحاديث عائشة) .

وعلى هذا فخصائص (المسند) هى أن الحديث فيه مجرد عن غيره ، وتوجه العناية فيه الى الحديث لذاته ، وتضم فيه أحاديث كل صحابى بعضها لبعض ، لذلك ترى الكثير من المسندات مجردة من اقوال الصحابة ومن تلاهم ، كما تخلو فى الغالب من زيادات يضيفها المؤلف لغرض أو لآخر ، ولما كان الهدف الاول من تدوين المسند هو تقييد العلم ونقل ما بالصدر منها الى السطر ، واتجهت الهمم والجهود لهذا القصد ، فقد صدرت المسانيد فى احجام كبيرة بعضها يحتوى بضعة آلاف أو عشرات الآلاف من الاحاديث ، كما كثر عدد المسانيد فبلغ المائة أو زاد عليها . لذلك كانت حركة تدوين المسانيد حركة خصبة مباركة ، واليها يرجع الفضل فى جمع الكثير من الاحاديث والمحافظة عليها .

ومن المسانيد التى اقتصرت على احاديث صحابى واحد : « مسند أبى هريرة رضى الله عنه » الذى جمعه أبو أسحق ابراهيم بن حرب العسكرى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ، ومما اقتصر منها على أحاديث نوع خاص من الصحابة (مسند الصحابة العشرة) الذى جمعه أبو بكر أحمد ابن جعفر المتوفى عام ٢٤١ هـ ، ومن المسانيد الجامعة (مسند الامام أحمد ابن حنبل) رضى الله عنه ، وقد اختاره من سبعمائة الف وخمسين الفا حفظها من الاحاديث .

وهنا يحضرنا سؤال هام عن كيفية ترتيب المسانيد الجامعة كمسند الامام أحمد ، التى تحتوى على عدد كبير من مسانيد الصحابة رضى الله عنهم ، أعنى كيف رتبت مسانيد الصحابة فى مثل هذا المسند ؟ وكيف رتبت أحاديث كل صحابى ؟ والجواب أن جامعى المسانيد قد اختلفوا فى طريقتهم ، فمنهم من رتب على حسب الترتيب الهجائى لأسماء الصحابة ، وهؤلاء قليلون ، ويقال إن بقى بن مخلد القرطبى المتوفى سنة ٢٧٦ هـ كان أول من صنع ذلك فى مسنده ، وأكثر مؤلفى المسانيد رتبوا الصحابة على حسب الاسبقية والفضل فى الاسلام ، فيبدأ الكتاب بمسانيد الخلفاء الراشدين على ترتيب توليهم الحكم، ثم يتبعها مسانيد سائر العشرة المبشرين بالجنة ، وهكذا . ومنهم من رتب على حسب العشائر التى ينتمى اليها الصحابة ، أو على حسب الانصار التى ينتمون اليها . وبعض المؤلفين يخلط فيرتب أولا على حسب الاسبقية ثم على حسب العشيرة أو غيرها من الاعتبارات . أما الاحاديث الواردة فى باب واحد لصحابى واحد، فالغالب أنها غير مرتبة فيما بينها

ولا مبوبة ، ولكنها مسردة سردا كما ترد فى خاطر صاحب الكتاب ، وان كنت تجد أحيانا احاديث الموضوع الواحد متتالية فى بعض المسندات بلا فاصل ولا عنوان ، أو بعناوين نادرة كما سنرى فى مسند الحميدى ان شاء الله وأول من يعرف تبويب احاديث كل صحابى فى مسنده هو الحافظ بقى بن مخلد القرطبى الأندلسى ، فكان كتابه مسندا ومصنفا فى نفس الوقت ، قال ابن حزم عنه : انه روى فيه عن أكثر من الف وثلاثمائة من الصحابة .

ولقد اختلف العلماء فى تحديد أول من سبق الى تأليف المسند بهذا المعنى الاصطلاحى ، والثابت أن الباكورة الاولى ممن نعرف من مدونى المسانيد عاشوا فى النصف الاخير من القرن الثانى للهجرة وتوفوا خلال الاربعين الاولى من القرن الثالث ، وكان أكثر هؤلاء من المعمرين ، ويظهر انها سنة الله تعالى فى المحدثين يبارك فى حياتهم ويطيل أعمارهم ، من هؤلاء عبيد الله بن موسى العبسى الذى عمر طويلا وتوفى عام ٢١٣ هـ وسليمان بن داود الطيالسى الذى مات عام ٢٠٣ أو ٢٠٤ هـ عن ثمانين عاما ، ومنهم أسد بن موسى حفيد عبد الملك بن مروان الذى ولد عام سقوط دولة بنى أمية ، أى ١٣٢ هـ وعاش حتى عام ٢٢٨ هـ وكان يسمى (أسد الحديث) ، قال عنه النسائى : « كان ثقة ولو لم يصنف لكان خيرا له »(١) ، ومنهم عبد الله بن الزبير الحميدى المتوفى عام ٢١٩ هـ ، وأبو اسحق ابراهيم بن نصر المطوعى المتوفى سنة ٢١٣ هـ ، ومنهم مسدد ابن مسرهد البصرى ، ويحيى بن عبد الحميد الحمانى الكوفى وكلاهما توفى عام ٢٢٨ هـ ، وأسحق بن يعقوب بن راهويه المتوفى عام ٢٣٨ هـ ، وعثمان ابن محمد بن ابى شيبة المتوفى سنة ٢٣٩ هـ .

فمن هو من بين هؤلاء كان البادىء بتأليف جامع حديثى على طريقة المسند التى شرحناها ؟ قال الحاكم ابو عبد الله النيسابورى المتوفى عام ٤٠٥ هـ أن أبا داود سليمان بن داود الطيالسى المتوفى عام ٢٠٣ وعبيد الله ابن موسى العبسى كانا أول من صنف المسند على تراجم الرجال ، وقال الدارقطنى بل كان مسدد بن مسرهد أول من صنف المسند ، وقال ابن عدى : يقال ان يحيى بن عبد الحميد الحمانى أول من صنف بالكوفة ، وكان مسدد أول من صنف بالبصرة ، وأسد بن موسى أول من صنف بمصر(٢) .

والواقع أن من الصعب تحديد الاسبق من هؤلاء فى كتابة المسند ، فقد كانوا متعاصرين ، ولا يبعد أن اثنين منهم أو أكثر دونوا مسانيدهم فى زمن واحد ، وربما يؤدى البحث الى الكشف عن محدث سبق هؤلاء جميعا بكتابة جامعى حديثى على طريقة المسند فأوحى اليهم هذا الصنيع ، ولقد ذكر فؤاد سيرجين أن لعبد الله بن المبارك الحجفى المتوفى عام ١٨٢ هـ (مسندا) توجد مخطوطة منه فى مكتبة الظاهرية بدمشق(٣) ، وعلى هذا يكون عبد الله — وقد تلقى عنه الكثيرون من ائمة الحديث فى عصره — سابقا فى استخدام كلمة (المسند) عنوانا لكتاب حديثى ، واذا كان الجمع فيه على طريقة المسند التى شرحناها فلعله يكون أول من دون مسندا على الطريقة الاصطلاحية .

وبالاضافة الى السادة المحدثين المؤلفين للمسانيد ممن ذكرنا أسماءهم كان هناك آخرون ممن تبعهم واقتفى

آثارهم أو زاد فأدخل تحسينا واتقانا على طريقتهم ، من هؤلاء : احمد بن منيع الطوسى المتوفى عام ٢٤٤ هـ ، وعبد الله بن محمد المسندى المتوفى عام ٢٢٩ هـ ، ومحمد بن أسلم الطوسى المتوفى سنة ٢٤٢ هـ ، وأسحق بن بهلول التنوخى المتوفى ٢٥٢ هـ ، وابو الحسن محمد بن أسلم الطوسى المتوفى عام ٢٤٢ هـ ، الذى يقال إنه صلى على جنازته الف الف مسلم ، وعمار بن رجاء الاستراباذانى المتوفى سنة ٢٦٧ هـ ، والحارث بن محمد المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ، وابو أسحق ابراهيم بن يوسف الرازى المتوفى عام ٣٠١ هـ ، وعبد الرحمن بن أبى حاتم الحنظى المتوفى ٣٢٧ هـ ، ودعلج بن جعفر البغدادى المتوفى عام ٣٥١ هـ ، وابراهيم بن نصر الرازى المتوفى عام ٣٨٥ هـ ، ومحمد بن أحمد بن محمد بن جمع المتوفى عام ٤٠٢ هـ .

كان لكل من هؤلاء ولكثير من غيرهم ممن عاشوا فى القرن الثالث والرابع مسانيد ، وتعمدنا أن ننص على بعض أسماء من هؤلاء المؤلفين ليرى القارىء معنا ويشعر بمدى الاقبال على جمع الحديث وتدوينه طوال هذين القرنين وقبلهما بقليل ، أى قبيل نهاية القرن الثانى الهجرى ، وقد يثير العجب والاعجاب أن مسانيد بعض هؤلاء السادة المحدثين بلغ عشرات الاجزاء أو زاد على المائة

أو الألف من الاجزاء ! اذ عمد هؤلاء الى تحليل الاسانيد ومناقشتها وتحدثوا عن حياة الرواة فى الاسانيد واستطردوا وأفاضوا ؛ وكان من بين أصحاب المسانيد المطولة : أبو يوسف يعقوب بن شيبة بن أبى الصلت المتوفى فى بغداد عام ٢٦٢ هـ ، صاحب المسند المعلل الذى قال عنه الحافظ الذهبى « ما صنف مسند احسن منه ولكنه ما أتمه »(٤) ، ويذكر أن أحاديث أبى هريرة فى هذا المسند شغلت مائتى جزء منه ، ومسند علىّ فيه بلغ خمسة مجلدات(٥) ! كما كان من بينهم الحافظ البارع أبو على الحسين بن محمد بن أحمد المعروف بالماسرجى ، قال عنه الحافظ الذهبى : « صاحب المسند الاكبر » ونقل عن الحاكم انه وصفه بأنه كان سفينة عصره فى كثرة الكتابة ، وأنه صنف المسند مهذبا معللا فى الف جزء وثلاثمائة من الاجزاء(٦) .

وكى نأخذ فكرة واضحة عن هذه المسندات المطولة المعللة نسوق هنا نموذجا أو نموذجين من مسند عمر ابن الخطاب من المسند الكبير ليعقوب ابن شيبة بن الصلت الذى أشرنا اليه . وقد عثر على الجزء العاشر من مسند عمر الذى هو باب أو فصل من مسند يعقوب بين مخطوطات احدى المكتبات بالشام على يد الدكتور سامى الحداد الذى نشره عام ١٩٤٠ وحققه مع مقدمة مفيدة ، وكانت طريقة يعقوب كما نقل الدكتور الحداد عن حاجى خليفة وأوضحها هو بالمزيد : ان كان يعقوب يذكر اسم الصحابى ، ثم يسوق ترجمته ويستطرد بترجمة رواة الإسناد ويذكر عللها ، وكان يفيض فى نقد الرجال ويستطرد بترجمة رواة الإسناد ويذكر نوادرهم وما انفرد به الواحد منهم من الاحاديث .

ويبدو من الجزء العاشر الذى بيدنا ، أن يعقوب كان بعد ما ينتهى من ترجمة الصحابى مدعمة بالاسانيد والتفصيل والاستطرادات يشرع فى سرد أحاديثه واحدا بعد الآخر ، جاعلا لكل منها عنوانا خاصا هكذا : « حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذا وكذا » أو : « وحديثه أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم فعل كذا » ، واليك هذين النموذجين من مسند عمر بن الخطاب ومن الجزء الذى أشرنا اليه :

أ) [وحديثه — أى عمر — عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أتانى آت من ربى عز وجل فأمرنى أن أصلى فى الوادى المبارك »] .

« حديث حسن الاسناد ، وهو صحيح ، رواه على بن المبارك والأوزاعى جميعا عن يحيى بن أبى كثير عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم » .

« وعلى والأوزاعى ثقتان ، والأوزاعى أثبتهما ، فى رواية عن الزهرى خاصة شىء ، ورواية على ابن المبارك عن يحيى بن كثير خاصة فيها وهى ، وقد سمع من يحيى ، وكان يحدث عنه بما سمع منه ، يحدث عنه بما كتب اليه ، ويحدث عنه من كتاب كان يحيى تركه عنده ، وهذا الحديث خاصة يروى أنه مما سمعه على بن المبارك عن يحيى » .

[وهنا يسوق اسنادين عن كتاب يحيى الذى كان لدى على بن المبارك ، واسنادا آخر بشأن درجة على بن المبارك ، ثم يشرع فى ترجمة الأوزاعى ويتحدث عن مبلغ ثقته وديانته ويطيل فى ذلك كله ، ويأتى بالاسانيد لما يقص عنه من قصص ونوادر ، ونقتبس من ذلك ما قصه عن الاوزاعى دالا على شجاعته] .

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : ثنا عبد الملك بن الفارسى قال : ثنا الفيريابى قال : سمعت الأوزاعى يقول : لما فرغ عبد الله بن على من قتل بنى أمية بعث الى وكان قتل يومئذ نيفا وسبعين بالكافر كوبات الا رجلا واحدا ، فدخلت عليه وقد أقام ذلك الجند بالسيوف والعمد ، قال : فدخلت فسلمت فأشار بيده فقعدت ، فقال : ما تقول فى دماء بنى أمية ؟ فحدثت قال : قد علمت من حيث حدثت ، أجب الى ما سألتك ، قال : فحدثت أيضا فقلت : كان لهم عليك عهد وان كان ينبغى لك أن تفى لهم بالعهد الذى جعلته ، قال : فقال لى : ويلك ! قال : أوليست الخلافة وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل عليها على رضى الله عنه بصفين ؟ قلت : لو كانت الخلافة وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رضى على بالحكمين ، قال : فنكس ونكست أنتظر ، قال : فأطلت ثم قلت : البول ، قال : فأشار بيده هكذا ، أى : اذهب ، قال : فقمت فجعلت لا أخطو خطوة الا ظننت أن رأسى يقع عندها » .

[وبعد أن يتم يعقوب قصصه عن الاوزاعى ، يستطرد فيسوق حديثا بسنده رواه يحيى بن كثير عن الاوزاعى ، ثم يسوق حديثا آخر بسنده رواه أنس بن مالك عن الاوزاعى ، ثم يسوق حديثا ثالثا بسنده عن سفيان الثورى عن الاوزاعى ، وبعد هذا كله يأتى بالحديث الذى عنون له عن عمر وجعل هذا كله مقدمة له : بطريق على ابن المبارك أولا ، ثم بطريق عبد الرحمن الاوزاعى — هكذا) :

« فأما حديث على بن المبارك »

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : ثناه حجاج بن نصير الفساطيطى ، سألت عنه يحيى بن معين فقال لى صاحب الفساطيط كان شيخا صدوقا ولكنهم أخذوا عليه أشياء فى حديث شعبة كان لا بأس به يعنى أنه أخطأ فى أحاديث من أحاديث شعبة .

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : ثنا حجاج بن نصير قال : ثنا على بن

المبارك قال : ثنا يحيي بن أبى كثير قال : حدثنى عكرمة عن ابن عباس قال : حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « أتانى الليـــلة آت من ربى عز وجل وهو بالعقيق أن صـــــل فى هذا الوادى المبارك ، وقال : عمره فى حجة » .

« وأما حديث عبد الرحمن الاوزاعى »

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : ثناه ابراهيم بن موسى الصغير ، قال أبو يوسف : وهو ثبت مسلم ــ قال : ثنا الوليد بن مسلم قال : ثنا الاوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال وهم بالعقيق : « أتانى الليلة آت من ربى عز وجل فقال : صل فى هذا الوادى المبارك وقال عمرة فى حجة » .

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : وثنا زهير بن حرب قال : ثنا الوليد ابن مســـلم قال : حدثنى الاوزاعى قال : حدثنى يحيى بن أبى كثير قال : حدثنى عكرمة مولى ابن عباس قال : سمعت ابن عباس يقول : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسـلم يقول وهو بوادى العقيـــق : « أتانى الليلة آت من ربى عز وجل وقال : صل فى هذا الوادى المبارك وقال عمرة فى حجة » .

* * *

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : ثنا عبد الله بن محمد قال : ثنا محمد ابن مصعب قال : ثنا الاوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله أو نحوه » .

واليك الآن النموذج الآخر ، وليس فى اسناده مثل هذا التفصيل :

وحديثه فى حاطب بن أبى بلتعة حين كتب الى أهل مكة

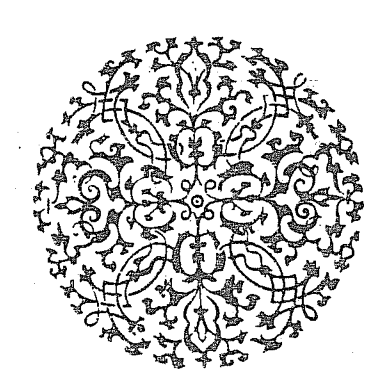
« حديث حسن الاسناد ، رواه أيضا عكرمة بن عمار عن سماك أبى زميل عن ابن عباس عن عمر رضى الله عنه ، قال على بن المدينى فى هذا الحديث بعينه : لا نعلمه روى عن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم الا من هذا الوجه ، قال : ولم يرده أهل الحجاز ولا أهل البصرة ولا أهل الكوفة ، وهو على ما قال على .

« وقد روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه هذا الحديث من وجوه صحاح تأتى فى مسند على ان شاء الله .

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : ثناه أبو حذيفة موسى بن مســـعود قال : ثنا عكرمة بن عمار عن أبى زميل عن ابن عباس قال : قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : كتب حاطب ابن أبى بلتعة الى المشركين بكتاب فجىء به الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يا حاطب ! ما دعاك الى ما صنعت ؟ » قال : يا رســـول الله : كان أهلى فيهم وخشــيت أن يقدموا عليهم ، فقلت أكتــب كتــابا لا يضر الله ورسوله . قال عمر رضى الله عنه : فاخترطت السيف فقلت يا رسول الله : اضرب عنقـــه فقد كفر ، فقال : « وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع الى هذه العصابة من أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

* * *

ولعلك قد لمست معي أيها القارىء ، وقد اطلعت على هذين النموذجين ، مبلغ التطويل في المسانيد المعللة ، وهو تطويل غير ناشيء عن كثرة الاحاديث بها بل عن التحليل المفصل للاسانيد والاطناب في ذكر حياة الرواة والاستطراد بذكر القصص والنكات ، واستيعاب الطرق الموصلة للحديث أو للصحابي راويه أو لراو دونه ، ولعلك تتفق معي ايضا أن هذه الطريقة مع ما فيها من طرائف علمية وفوائد تاريخية ونقدية وأدبية خروج عن القصد الأول من تدوين المسانيد ، الا وهو تسجيل الاحاديث التي تتناقلها الألسن كتابيا قبل أن تضيع بذهاب حملتها، والواقع أن هذه الطريقة الموسعة تمثل تطورا متأخرا نوعا ما في تدوين المسانيد ، لذلك سوف نعالج فيما يلي ان شاء الله تعالى نماذج ثلاثة من المسانيد المبكرة التي تهدف الى تحقيق الهدف الاول من تدوين (المسند) ، أعني مسند الطيالسي ، ومسند الحميدي ومسند الامام أحمد بن حنبل ، رضي الله عنهم جميعا ، وبالله تعالى التوفيق .



---

(١) « تذكرة الحفاظ » للحافظ الذهبي . ص٤٠٢ .

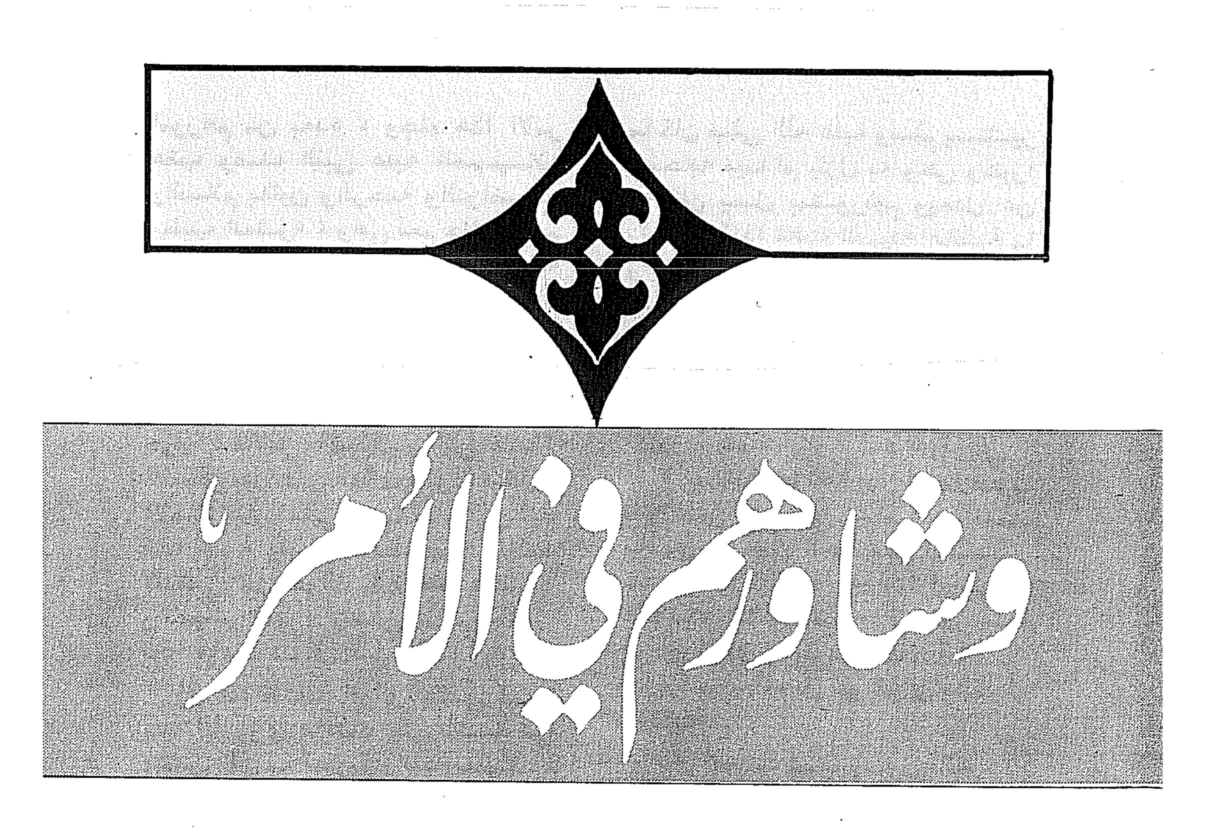
(٢) « الرسالة المستطرفة » لمحمد بن جعفر الكتاني (دمشق ١٩٦٤) ص ٦٢ .

(٣) « تاريخ التراث العربي » (الجزء الاول)ص ٢٧١ .

(٤) « تذكرة الحفاظ » ، ص ٥٧٧ .

(٥) نفس المرجع .

(٦) المرجع السابق ص ٩٥٥ و ٩٥٦ .



للدكتور
احمد الحوفى

من خصائص الاسلام ان قدر العقل وحصن التفكير ، وكفل للفرد حرية الراى ما لم تعارض أصلا من اصول العقيدة أو العبادة .

فكان من الطبيعي أن يستن الشورى ، لأنها الوسيلة الى استبانة الآراء وتمحيصها ، والاهتداء الى خيرها .

لهذا أمر القرآن الكريم بالشورى ، وقرنها بالايمان والاعتماد على الله تعالى ، وبالبعد عن الآثام ، وباقامة الصلاة ، وبالانفاق فى سبيل الله وبالجهاد لاعزاز الحق واعلاء كلمة الله ، قال تعالى (فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنو وعلى ربهم يتوكلون . الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ، واذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون) (١) .

وأمر الله تعالى رسوله الكريم أن يستشير المسلمين — فيما لم ينزل عليه وحى فيه — ليستظهر برأيهم وليطيب نفوسهم ، ويرفع من أقدارهم وليربيهم التربية التى تكفل لهم صلاح

أمورهم من بعده ، وجاء هذا الأمر عقب وصف النبى عليه الصلاة والسلام باللين والرحمة والتواضع وطيب العشره ، وهى نعم خلقيه أنعم الله بها عليه ، وعقب أن نفى عنه تعالى الغلظة والقسوة والاستبداد والغطرسة ، وهى رذائل براه الله منها ، ولو انه كان على شىء منها لنفر منه المسلمون ، وانفضوا من حوله ، فالامر بالاستشارة فى هذا السياق يدل على أنها موصولة بمكارم الاخلاق قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله) (٢)

اى اذا قطعت الراى على شىء بعد الشورى فاعتمد على الله فى المضى الى ما اعتزمت عليه مطمئنا الى انه الارشد الاصلح ، وان كان الله وحده هو الذى يعلم الارشد والاصلح ، ولست تعلمه أنت ولا من تشاورهم ، ولقدصدع رسول اللهبأمر ربه ، فكان يستشير صحابته ، وكانوا هم يستشيرون بعد أن اختاره الله ، ولم يكن لهم من أرب الا تحرى الخير والصواب وصالح الامة ، حتى ان عمر ابن الخطاب احتجز بعض الصحابة فى المدينة فمنعهم أن يغادروها الى بلد آخر ، لانه محتاج الى استشارتهم .

وكان المسلمون فى عهد النبى والخلفاء الراشدين مطمئنين الى حرية آرائهم فاذا استشيروا اشاروا بما يعتقدون انه الحق ولم يحجموا عن اعلان آرائهم وان خالفت رأى النبى أو أحد خلفائه .

ولقد تعددت مظاهر الشورى فى عصر النبى وخلفائه الاربعة فكثيرا ما كان صلى الله عليه وسلم يستشير اصحابه فيما لم ينزل به وحى وكثيرا ما كان يعمل بمشورتهم ويعدل عن رأيه ، ولهذا قالت السيدة عائشة ما رأيت رجلا أكثر مشاورة للرجال من رسول الله . (٣)

وعن ابى هريرة — ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من اصحاب رسول الله (٤) وحسبنا ان نسوق الامثلة الآتية : —

١ — قبيل موقعة بدر نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أدنى ماء من بدر فقال الحباب بن المنذر — يارسول الله ، أهذا منزل انزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الراى والحرب والمكيدة ؟
قال رسول الله بل هو الراى والحرب والمكيدة .

قال الحباب — يا رسول الله ، ان هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من الآبار ، ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

فقال رسول الله لقد اشرت بالراى ونهض رسول الله ومن معه فسار حتى اذا اتى اقرب ماء الى القوم نزل عليه ثم أمر بالآبار فردمت وبنى حوضا على البئر التى نزل عليها فملئت ماء . (٥) .

٢ — فى يوم بدر أسر المسلمون سبعين رجلا ، فقال رسول الله ما تقولون فى هؤلاء الأسرى ؟

فقال ابو بكر يا رسول الله ، هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان ، وهم قومك وأهلك ، ارى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضدا .

فقال رسول الله ما ترى يا ابن الخطاب ؟

فقال عمر — يا رسول اللهكذبوك واخرجوك ، وهم صناديد الكفـــار وقادتهم ، فارى ان نضرب اعناقهم .

وقال عبد الله بن رواحه يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ، ثم اضرمه نارا عليهم .

فسكت رسول الله ، ولم يجبهم ثم دخل ، فقال ناس ، يأخذ بقول ابى بكر وقال ناس ياخذ بقول عمر وقال ناس ، ياخذ بقول عبد الله بن رواحه ثم خرج رسول الله ، فقال ان اللـــه عز وجل ليلين قلوب رجال فيه حتى تكـــون الين من اللين ، وان اللـــه ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكـــون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم فى قوله (فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم) (٦) ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى فى قوله : « ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) (٧) ومثلك يا عمر مثل نوح قال (رب لا تـــذر على الارض مـــن الكافريـــن ديارا (٨) ومثلك يابن رواحة كمثـــل موسى قال (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتـــى يروا العذاب الأليم (٩) .

ثم قال رسول الله — انتم اليـــوم عالة ، فلا يفلتن احد منهم الا بفداء أو ضرب عنق .

فلما كان الغد انزل الله عز وجل(ماكان لنبى ان يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيـــم (١٠) ثم احلت لهـــم الغنائم (١١) .

٣ — لما علم أن قريشا متجهة الى المدينه فى غزوه احد قال لاصحابـــه امكثوا فان دخل القوم المدينه فاتلناهم او رميناهم من فوق البيوت ، لانه كان يكره الخروج الى المنسرحين لقتالهم فى البراح وهم كثره والمسلمون قلـــه ويوفر محاربتهم بالمدينه نفسها حتى تستطيع القله ان تبلى البـــلاء المنشود .

ولكن هذا الراى لم يرق المسلمين الذين اسفوا على ما فاتهم من جهـــاد فى غزوة بدر ، وفيهم رجال وشبـــان يحبون لقاء العدو ، ويشتاقون الـــى الاستشهاد ، فقالوا يا رسول اللـــه اننا كنا نتمنى هذا اليوم اخرج بنا الى اعدائنا حتى لا يظنوا بنا جبنـــا أو ضعفا .

فقال عبد الله بن ابى بن سلول يا رسول الله اقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا الى عدو لنا قـــط الا اصابوا منا ولا دخلوها علينا الا اصبنا منهم فدعهم يا رسول الله فان اقاموا أقاموا بشر مقام وان دخلـــوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورمتهـــم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين .

فقال الراغبون فى الخروج إننـــــا نخشى يارسول الله أن يظن أعداؤنا اننا كرهنا الخروج اليهم خوفا منهـــم فيتجرؤا علينا .

حينئذ استجاب رسول الله لراى الاكثرين وعدل عن رايه وخرج لملاقاة قريش (١٢) .

وهنا عبر جديرة بأن نتنبه اليها فان رسول الله حينما وجد الكثرة تريـــد الخروج دخل بيته فلبس لأمته وتقلـــد سيفه ثم خرج اليهم فقالوا يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا فان شئت فاقعد فقال ما ينبغى لنبى لبس لأمته ان يضعها حتى يقاتل ويحكـــم

الله بينه وبين عدوه .

وهنا تتجلى ضروب من الشجاعة وبعد النظر أولها تدبير الخطة والموازنة بين قوة المسلمين وقوة قريش وايثار ان يبقى المسلمون في مدينتهم ليردوا العدو المهاجم وهم أوفر منه قوة واعز حصانة وأقدر على لقائه وان كانوا أقل منه عددا وعدة ولا تثريب على قائد فى أن يقف مثل هذا الموقف لان الشجاعة تقتضى الهجوم تارة ، وتقتضى الارتداد تارة ، وتكون فى المبادرة حينا ، وتكون فى التريث حينا آخر .

وثانيها الاستجابة لحماسة الكثرة التى آثرت الخروج من المدينة للقاء قريش ، فانه لم يكن بد من هذه الاستجابة والجذوة متقدة والعزيمة ملتهبة ، والنفوس متلهفة الى الاستشهاد فى الدفاع عن العقيدة وعن الوطن ، والا كانت هذه الحماسة عرضة لأن يخمدها البقاء واختلاف الآراء .

وثالثها مضاء النبى فى عزيمته ، ورفضه ان يستجيب لدعوة البقاء بعد أن أعد عدته ولبس لأمته واصراره على الا يضعها حتى يقاتل اعداء الله فإنه بهذا الاصرار أذكى شجاعة الصحابة جميعا ، من كانوا يؤثرون الخروج ، ومن كانوا يؤثرون البقاء ، وخرج بهم جميعا يقودهم الى لقاء الاعداء .

٤ — فى غزوة الاحزاب اجتمعت قريش ومن والاها من العرب واليهود وعسكروا حول المدينة بضعا وعشرين ليلة ونقض بنو قريظة عهدهم مع رسول الله فعظم البلاء ، واشتد الخوف وأتاهم العدو من فوقهم ومن اسفل منهم ، حتى ظن بعض المسلمين كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين ، فأراد رسول الله أن يصالح قائدى غطفان على أن يرجعا عن المدينة ، ولهما ثلث ثمارها ، فبعث الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما فيما أراد ، فقالا — يا رسول الله أهذا أمر تحبه فنصنعه أم شيء أمرك الله به لا بد لنا من أن نعمله ، أم شيء تصنعه لنا ؟

قال رسول الله بل شيء اصنعه لكم ، انى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب فاردت أن أكسر عنكم شوكتهم .

فقال سعد بن معاذ — يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله عز وجل وعبادة الاوثان ولا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون ان يأكلوا منا ثمرة الا بيعا أو قرى ، أفحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وعزنا بك نعطيهم أموالنا ؟ ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم الا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

فقال رسول الله ، فأنت وذاك(١٣)

ثم شاء الله أن يرتد المغيرون مذعورين مختلفين وان تسلم المدينة .

٥ — ولم يكتف رسول الله بتقرير الشورى وتدريب المسلمين عليها بأعماله بل اضاف الى هذا كثيرا من أقواله التى تحببها اليهم وتزينها فى قلوبهم ، مثل قوله : —

استرشدوا العاقل ترشدوا ، ولا تعصوه فتندموا . وقوله المستشار مؤتمن ، اذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه . وقوله — من أراد أمرا فشاور فيه أمرأ مسلما وفقه الله لارشد أموره .

وقوله — من اشار على أخيه بشيء يعلم أن الرشد فى غيره فقد خانه .

وقوله — لن يهلك أمرؤ بعد مشورة (١٤) .

٦ — ثم كان خلفاؤه الراشدون

يهتدون بسنته ، فهذا أبو بكر الصديق يستشير الصحابة فى أمر المرتدين فيشير عليه بعضهم أن يتمهل حتى يعود جيش أسامة فيقنعهم بضرورة المبادرة الى حربهم لانهم أعضاء فى الدولة تمردوا عليها . وخرجوا على الدين الذى ارتضوه ، وإمها لهم يجرئهم ويجرىء غيرهم على المعصية والفساد ، وتكشف الاحداث عن صواب رأى ابى بكر وينتصر الاسلام والمسلمون .

وحينما فتح المسلمون العراق والجزيرة والشام فى عهد عمر بن الخطاب نشأ خلاف فى تقسيم الارض على الفاتحين أو بقائها فى أيدى أصحابها يزرعونها ويؤدون للدولة خراجها .

وكان من رأى عمر وبعض الصحابة أن تبقى الارض فى ايدى اصحابها ملكا للدولة وعليهم خراجها ناظرا الى أن تقسيمها على الفاتحين نوع من الاقطاع ومراعيا مستقبل المحرومين والمحتاجين الذين سيولدون فيما بعد ومشفقا على الخزانة العامة ان تحتاج فى المستقبل فلا تجد .

ولم يحفل عمر بأن رأيه هذا قد يغضب المحاربين الفاتحين الطامحين فى امتلاك الارض التى غلبوا عليها بسيوفهم وحسبوها غنيمة لهم .

وقد فصل أبويوسف وأبوعبيد(١٥) ما دار من مشاورة فى هذا وذكرا أن عمر قال — فكيف بمن يأتى من المسلمين فيجدون الارض قد قسمت وورثت عن الآباء وصارت فى حوزة الوارثين ؟ إن هذا ليس برأى .

فقال له عبد الرحمن بن عوف — فما الرأى ؟ أليست الارض مما افاء الله عليهم ؟ قال عمر — فاذا قسمت أرض العراق وأرض الشام فمن أين تسد الثغور . ؟ وماذا يكون للذرية والارامل بالحجاز والشام والعراق ؟

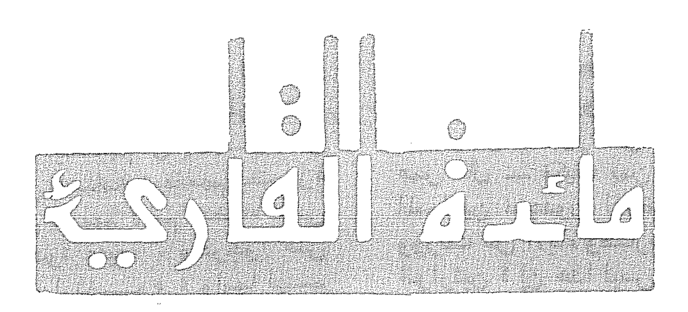
ثم قال — والله ما اريد الا الحق وقد رأيت أن أترك الارض لزارعيها ، واضع عليهم فيها الخراج وفى رقابهم الجزية يؤدونها فتكون الارض فيئا للمسلمين من المقاتلة والذرية ومن يأتى بعدهم .

أرأيتم هذه الثغور ؟ لا بد لها من رجال يلزمونها . أرأيتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر ؟ لا بد لها أن تشحن بالجيوش وادرار العطاء عليهم . فمن اين يعطى هؤلاء اذا قسمت الارض ؟ فوافقوا عمر على رأيه .

هكذا أمر القرآن الكريم بالشورى وهكذا حققها رسول الله والرجال الذين رباهم رسول الله .

---

(١) سورة الشورى ٢٦ — ٢٩ .
(٢) سورة آل عمران ١٥٩ .
(٣) السيرة الحلبية / ٢٧٧ .
(٤) الكشاف للزمخشرى ٢٢٦/١ .
(٥) سيرة ابن هشام ٢٧٢/٢ .
وتاريخ الطبرى ١٧٧/٢ .
(٦) سورة ابراهيم ٢٦ .
(٧) سورة المائدة ١١٨ .
(٨) سورة نوح ٢٦ .
(٩) سورة يونس ٨٨ .
(١٠) سورة الانفال ٦٧ ، ٦٨ .
(١١) تاريخ الطبرى ٢٩/٤/٢ .
(١٢) شرح الزرقانى على المواهب اللدينة للقسطلانى ٢٢/٢ .
(١٣) تاريخ الطبرى ٤٨/٢ .
(١٤) الاحاديث من كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال لعلاء الدين الهندى ٨٤/٢ والبيان والتبيين للجاحظ ٢٠/٢ .
(١٥) الخراج ٣٧ لابى يوسف والاموال ٤٠ لابى عبيد .



« ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فاخذناهم بماكانوا يكسبون » .

قرآن كريم

الجار قبل الدار :

قيل لأحد العلماء هل تجد فى القرآن خذ الجار قبل الدار ، قال : نعم يقول الله تبارك وتعالى فى سورة التحريم (**وضرب الله مثلا للذين آمنوا امراة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة**) فانت تراها فى دعائها ربها قد آثرت الجار فقدمت عندك على الدار .

الحكمة فى النصيحة :

مر ابوالدرداء على رجل أصاب ذنبا والناس يسبونه ، فقال لهم ، ارأيتم لو كان فى بئر اكنتم مستخرجيه قالوا نعم .

قال فاستغفروا لأخيكم واحمدوا الله الذى عافاكم .

فقالوا : افلا تبغضه .

قال : انما أبغض عمله ، فاذا تركه فهو اخى .

الحجاج التاجر :

بعث الحجاج بن دينار طعاما الى البصرة مع رجل وأمر ان يبيعه يوم يدخل بسعر يومه فارسل له الرجل انى قدمت البصرة ، فوجدت سعر الطعام قليلا فى السوق فاختزنته حتى زاد السعر وبعته بكذا وكذا فكتب اليه الحجاج : انك قد خنتنا وعملت بخلاف ما أمرناك به ، فاذا أتاك كتابى فتصدق بجميع ثمن الطعام على فقراء البصرة، وليتنى أنجو من عذاب الله اذا فعلت.

صوت السحاب :

عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :

بينما رجل يمشى بفلاة من الأرض، فسمع صوتا فى سحابة : اسـق حديقة فلان .

فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرة (أرض صلبة) . فاذا شرجة (سيل ماء) من تلك الشـراج) قد استوعبت ذلك الماء كله .

فتتبع الماء ، فاذا رجل قائم فـى حديقته يحول الماء بمسحاته (فأسه)

فقال له ياعبد الله . ما اسمـك ؟ قال : فلان للاسم الذى سمع فـى السحابة فقال له : يا عبد الله لـم تسألنى عن اسمى ؟

فقال : انى سمعت صوتا فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لاسمك ، فما تصنع ؟

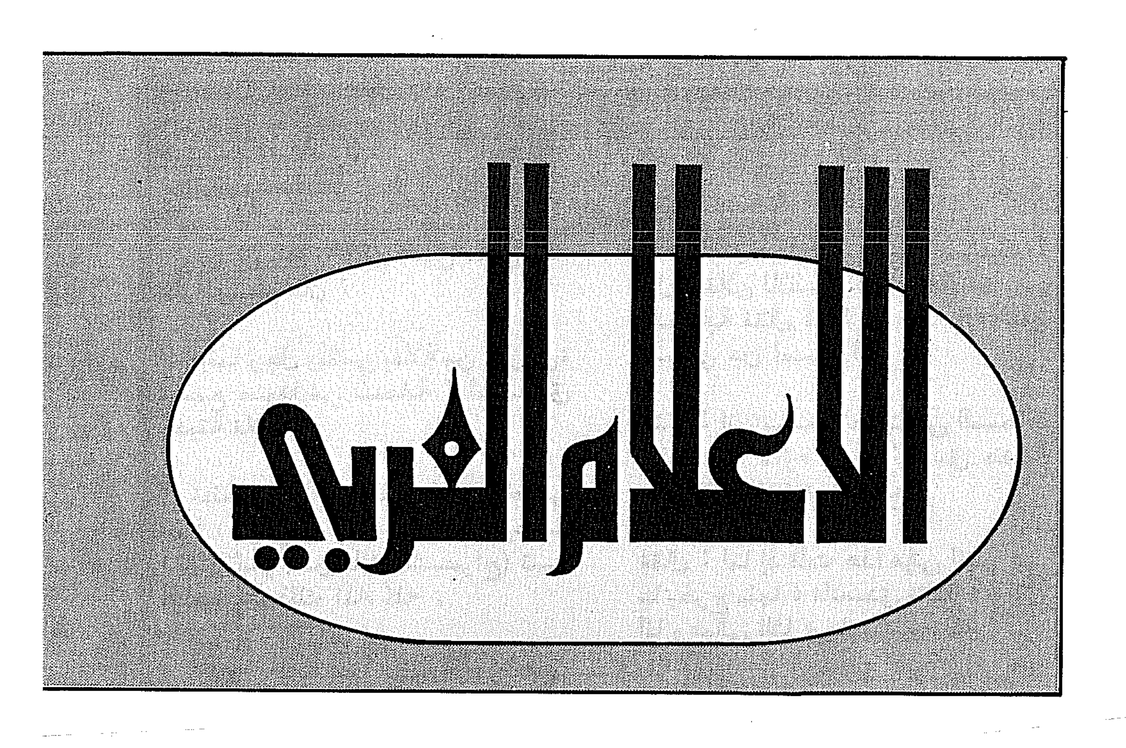
فقال : اما إذ قلت هذا فإنى انظر الى ما يخرج منها ، فأتصدق بثلثه ، وآكل انا وعيالى ثلثا ، وارد فيها ثلثه .

رواه مسلم

الاذان والاقامة :

روى الإمـام احمد وابـو داودبسندهما عن عبد الله بن عبد ربه انه قال (طاف بى من الليل طائف وانا نائم رجل عليه ثوبان أخضران ، وفى يده ناقوس يحمله ، فقلت له يا عبدالله اتبيع الناقوس ؟ قال وما تصنع به ؟ قلت ندعو به الى الصلاة قال : افلاادلك على خير من ذلك ؟ فقلت بلى ، قال تقول الله أكبر الله اكبر ، الله اكبر الله اكبر وردد عليه الفاظ الاذان التى يؤذن بهااليوم قال عبدالله بن زيدثم استأخر غير بعيد قال ثم تقول اذا اقمت الصلاة الله اكبر الله اكبر ـوردد عليه الفاظ اقامة الصلاة بما هو معروف منها الى اليوم .

قال عبد الله بن زيد : فلما أصبحت اتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبرته بما رأيت فقال إنهالرؤيا حق ان شاء الله فقم الى بلال فألق عليه ما رايت فانه اندى صوتامنك فقمت مع بلال فجعلت القيه عليه ويؤذن به .

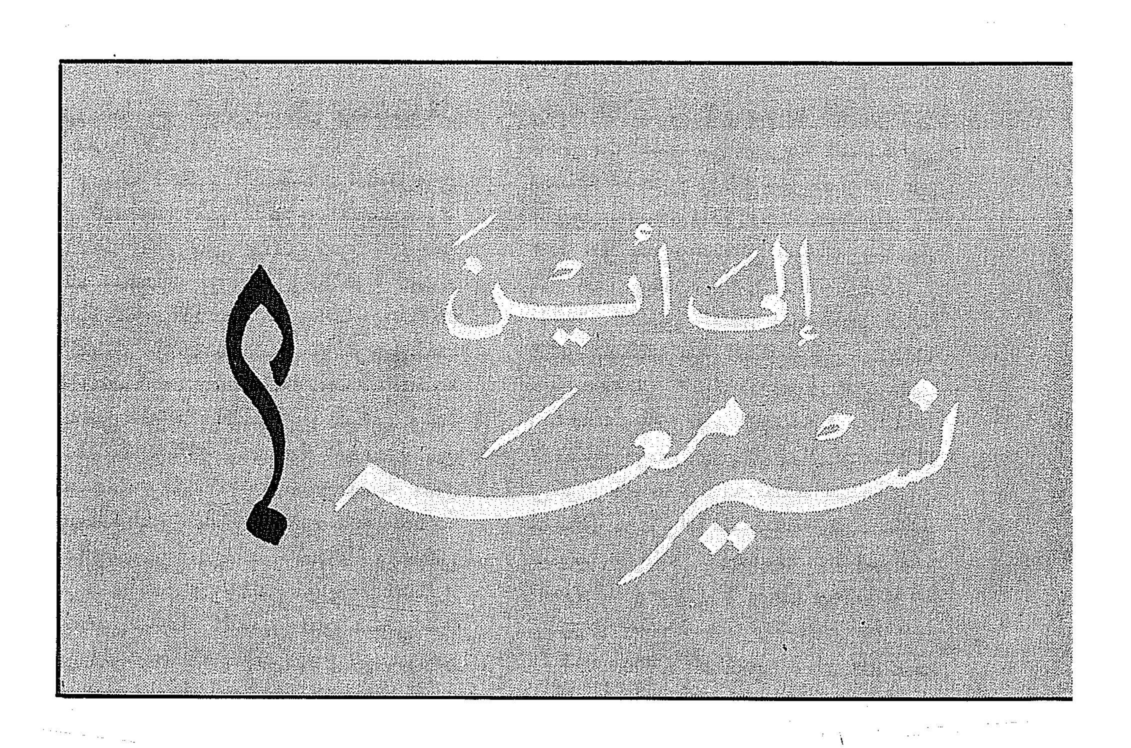


للأستاذ احمد العناني

اكاد احس باختناق حقيقى حين يدعونى أمر الى فكر عميق فى شأن الاعلام العربى الى أين يسير بنا ؟. والى أين نسير معه ونحن معصوبو الأعين ، مخدرو الإحساس .. الى اية كارثة جديدة او مستقبل مظلم ؟ الى أى مصير من الانحلال والضياع والغثيان ؟ الى أى جيل من الأبناء والأحفاد نزداد لهم انكارا ويشتدون علينا نكيرا ؟

لقد ولد الاعلام العربى فى معظم حالاته ان لم يكن فيها جميعا بين احضان مؤسسات أجنبية ، غريبة الارادة والذوق والأهداف عن ذوق هذه الأمة وارادتها الحقيقية والأهداف التى تخدم صالحها وتقيل عثراتها ، وتسير بها نحو مستقبل أقوى وافضل واحسن ازدهارا .

ومن يراجع تاريخ الصحافة العربية والمسرح وهما أقدم وسائل هذا الاعلام العربى بآخرة من القرن الماضى وبداية هذا القرن ، ثم ينعم النظر فى المؤسسات ومن أسسها . من اين جاءوا وكيف زرعوا فى حقل الاعلام الأول يجد علامات كثيرة على طريق ملتو تثير الشك وتبعث على تأمل مشفق حزين . ولست أحب أن ادخل فى التفاصيل ، ولا أن اضرب حتى مجرد أمثلة من الأسماء وأصحابها ، وتاريخ حياة كل منهم فلقد يجر ذلك علىّ اتهامات شتى بتهم الطائفية والتفريق وإثارة النعرات



والفتن ، وهى تهم ما زالت تشهر كالسيف الباتر فى وجه كل مسلم يروع وجدانه ما لقى ويلقاه المسلمون من عنت وكم أفواه واضطهاد حتى فى البلاد التى تدين كثرتها الكاثرة بالإسلام .

ثم راحت تتوالد قبيل الحرب العالمية الثانية وخلالها الاذاعات الناطقة بالعربية ثم اذاعات البلدان العربية نفسها ، فيما كانت السينما قد رسخت جذورها فى مصر وراحت تبسط ظلالها واتجاهاتها على سائر دور العرض فى العالم العربى من حولها فى كل اتجاه . كذلك انتشرت محطات البث المرئى أو التلفزة انتشار الفطريات السريعة التوالد قبيل وبعد الهزيمة فى حزيران المشهور ، ورغم ضآلة الفترة الزمنية فقد صلب عود هذه المؤسسات واشتد ساعدها ، وصارت تبث على قنوات متنوعة وبالألوان الجاذبة غير مكتفية بالأبيض والأسود . أما الأذاعات فانها فى أثناء ذلك لم تعد تكتفى بالقدر المتواضع من ساعات البث بل أصبحت تملأ النهار كله وتغطى معظم الليل ببرامج متصلة يشكل الغناء خلالها المادة الغالبة ، ويشكل مستمعوه أنشط فئة فى الزبائن المتعاملين معها . كذلك تعددت المجلات الدورية وراحت تتنافس فى آداء مهام لا تختلف فى جوهرها

عن الطابع العام لسائر وسائل الاعلام الأخرى .

وبينما تعتمد السينما والتليفزيون في الغالب على الانتاج الأجنبي ولا سيما الأمريكي والأوروبي ، ويتلو ذلك منتجات بيروت والقاهرة تعتمد الصحافة والاذاعة على انتاج وكالات الأنباء الأجنبية والمترجمات والمقتبسات من صحف ومجلات أجنبية وبعض المواد والأخبار المحلية . واذا استثنينا طائفة محدودة العدد من الصحف والمجلات الاسبوعية ممن تضطلع بدور مناوىء ورسالة مختلفة جدا وتصارع من أجل البقاء ، وتعيش على مساعدات وحسن نوايا المحسنين وبعض سخاء المعلنين فان سائر من في الموكب الاعلامي ممن سواهم يغرفون من نبع واحد ، ويغسلون دماغ الأمة بطريقة واحدة ويحقنونها بنفس المخدر .

إن أخطر وسائل الاعلام جميعا في الوقت الحاضر ، وأبعدها أثرا في المستقبل هي التليفزيون ما في ذلك ريب .

وحين تسائل أيا من المسئولين عن أجهزة التليفزيون العربية في موضوع البرامج ونوعياتها وفلسفة تقديمها للناس ، وعن السر في كبر القطاع الأجنبي المستورد من المواد ، وعن الجنوح الى الهزل دون الجد فانهم يبتدرونك فورا بالأجوبة التالية ، يا سيدي الانتاج العربي قليل جدا ، ونحن مضطرون لملء الساعات بالمتوفر لنا من هذا الانتاج . أما عن تفاهة المحلي القليل ونزعاته المثيرة للسخرية فهم يجيبون : هذا ما يريده الجمهور ، ونحن مصلحة تخدم الجمهور وتسليه وترفه عنه ..

تذكرني هذه الحجج وأمثالها بحكاية شخص كان مختلط العقل بعض الشيء راتبه الشهري لا يتيح له أكثر من فندق متواضع من الدرجة الثالثة في فسحة الاجازه ولكنه كان يصر على النزول بأضخم فندق يجده حيث يكون ، فيما هو يحرج لبعض الوقت يستدين من هذا ويقترض من ذاك ليغطي نفقات الفندق الفخم وتسائلهم « ما الذي يحملكم على البث ثماني ساعات متواصلة في اليوم قد تصل الى عشر ساعات وأكثر يوم الجمعة ؟ .. لماذا لا تبثون أربع ساعات مثلا أو ثلاثا ويكون كل ما تبثونه نظيفا ممتعا وان لم يخل من زوايا لتسلية نظيفة او تمثيلية طريفة . ويجيبك أحدهم كيف أفعل أنا وغيري لا يفعل واسكت أنا وغيري يبث ؟ .. وتسألهم ما هذا الانتاج المحلي الرخيص . ان من يرى مسلسلاتكم يظن أن الناس هناك لا ينشطون لعلم ولا لعمل يشغلهم هم سوى الرقص . كل موضوع تطرزونه بهذا الرقص المقلد السميج ، وكل حكاية حتى ولو كانت مأساة تخلقون فيها مناسبة للغزل ومقاهي الليل ومعاقرة الخمر فهل هذا هو شغل الملايين الشاغل من الباحثين عن اسباب الحياة في بلادنا . وهذا الانتاج البيروتي تنبعث منه رائحة المتاجرة الرخيصة بكل شيء من أجل الليرات . حتى الروايات الأدبية الضعيفة السند يزيدونها ضعفا وهلهلة ومسخا . يصوغون قصصا عن الصحراء ليرضوا أذواق الناس في الجزيرة فلا تكون قصصهم صحراوية ولا تظل حضرية ولكنها تخرج في اطارات سمجة ثقيلة الدم . ويجيبك المسئولون أنفسهم ماذا نفعل لو لم يكن الناس يحبون ما نقدم لما عاودوا المطالبة به وتقول لهم : أنتم تهيمنون الآن على عشرات من محطات البث التليفزيوني وتتصرفون

بموازنات ضخمة خيالية فما الـــذى فعلتموه فى جهد جماعى للهيمنة على المنتجين أو توجيههم ؟ من قال إنهـــم يستطيعون أن يخالفوا عن ارادتكم لو شئتم ؟ ومتى حاولتم أن تفرضوا عليهم خط سير أو سياسة معينة فلم يتجاوبوا معكم ؟

ولماذا لا تتفقون فيما بينكم على تحديد ساعات البث وفق المأمول من الانتاج الجيد وما تصل اليه مدده ؟ لماذا لا تبثون جميعا على قـــــدر ما يسعفكم الممكن والمتوفر ثم تأخذون فى الزيادة على مهل وتدريج وعلى هدى وبصيرة .

وهذا الجمهور الذى تلفلفون باسمه ما تشاءون وتنسبون اليه ما تريـــدون وتزعمون اعراضــــه عما أنتم فى الحقيقـــة عنــــه معرضــــون متـــى استفتيتموه ؟ متى قمتـــم بدراسات علمية صحيحة لما تحب أكثريته وتكره ثم هل أنتم تنفقون أموال الدولـــــة للسير مع ما تزعمونه من رغبـــات الجمهور حتى لو كان جمهورا مغفلا أو جاهلا محمقا ؟ الهذا ترصد أموال الدولة ؟ أليست وسائل الاعلام أيضا هى وسائل تعليم وتنوير وتهـــذيب ؟ أوليست محطاتكم هى دوائر رسميـــة تنفق من مال الأمة وليست شركـــات تجارية كما هو الحال فى كثيـــر من البلدان الأجنبية التى تقلدونها إما بلا وعى أو ذوق ، وأما بتوجيه أسود خبيث متنكر ، عرف كيف ينتدب من أبناء الامم من يعينونه على غســـــل دماغ شعوبهم كما يريدون .

نحن نفهم أن تشتروا لنا ما وسعكم الشراء من أفلام علمية لا سيما من مثل هذا الانتاج الأوروبى الـــذى يشرح الأحوال حتى فى قيعان البحـــــار والمحيطات ، والأدغال والغابات ، أو يأخذ المشاهد فى رحلات سياحيـــة عبر الراين أو على شلالات نياجارا ، ونفهم عن هـــذا القصص التاريخى الفرنسى الجميل ، ونفهم عن هــــذه الأفلام التى تفتح آفاقا جديدة لمطامح الانسان للوصول الى الكـــــواكب والتعامل مع الحياة فيها .. لكنا لا نستطيع أن نتذوق تلك الأفلام الدعائية فى تبرير اجتثاث الهنود الحمر مـــن أمريكا .. ولكن عفوا ، لعلكم تريدون سلوتنا نحن الذين اقتلعنا من فلسطين بمشاهدة ما أصاب الهنود الحمر من قبلنا .. ومع ذلك فالهنود الحمر على رأى أفلامكم كانوا أهماجا ومعتــــدين شرسين فحقت عليهم لعنة الرجـــل الابيض فاجتثهم من أرض آبائهـــــم واجدادهم ، كما لسنا نفهم أيضـــــا هذه السهرات من الغناء والفنـــون الاجنبية التى تتبرعون لاعادة تقديمها لنا ، ولا نفهم هذه السلاسل المتلاحقة عن الجريمة والمخدرات والجـــنس والفوضى الغامرة التى على غرارها ولا نفهم هذا الكرتون من ادب الاطفال الذى يصب علينا صبا هكذا بلا ترجمة ولا إعادة تحرير .

ما شأننا نحن بسرقات البنـــوك الكبرى ، وبآثام المصيفين فى مونت كارلو ، وبمؤامرات العصابـــــات المحترفة فى هونغ كونغ .

وفى ليلة الجمعة .. ليلة التقرب الى الله من كل اسبوع تسرقون منا الشباب والاطفال لسهرات تدوم معكم الى ساعة التهويم بالنوم فى آخرة من الليل ليكونوا أبعد ما يكون الناس عن ذكر ربهم بل أنتم تلاحقونهم بعد نهوض متأخر من اليوم فى غد التالى حتى تضمنوا انصراف يوم الجمعة فى كل شىء الا مرضاة الله تعالى .

ونحن نعلم بأسف بالـــغ وأنفس حزينة أنكم تستفتحون ببعض آى من الذكر الحكيم ، وتبثون بعض آى من

الاذاعة ، والله يشهد ان هذا منكم ومن برامجكم بعامة يدعو الى الاشمئزاز والكراهية . انه صورة من صور الايجابية العازمة المستنيرة التى سنها دهاقنة الاعلام الاجانب فى تخدير العالم الاسلامى كله لبناء جسور من الثقة بين الوسائل الاعلامية وقطاعات كبيرة من الناس ليتهيأ لهما وضع أشد السموم أذى تحت ذلك الدسم القليل الطائش على سطوح الكؤوس .

ذلك غيض من فيض عن التليفزيون فماذا عن الاذاعة ؟

تقدم لك الاذاعات فى معظم الحالات لمنتصف الليل حديث الليل أو همس الليل .. ولقد يدوم هذا البرنامج فى غير اذاعة واحدة حوالى الساعة من الزمن فما هو نجوى القلوب وهمس الليل عندهم ؟ كلام من غرام فاضح كما يكون بين الخلعاء .. شذرات موسيقى راقصة أجنبية .. عبارات يؤديها صوت أنثوى متكسر ، وكلام يتوارى منه الحياء ، وينتحر على عباراته الشرف والمروءة .. ثم قد يختمون بماذا ؟ بآى من القرآن الكريم قبل أن يعلن ختام شوط طويل امتد من بعد الفجر الى منتصف الليل وشمل ما لا يقل عن خمس ساعات من الاغانى معظمها لمغنيات عرفن بالماضى الرقيع .. أما كلمات الاغانى فهى هى لا تتغير ولا تتبدل فى فحواها عن الحرقة للوصال وشجو البين والاهوال وبكاء الفتاة على الفتى الأسمر ، والحيرة بين الابيض والاسمر .. أما البرامج الخاصة فأنت تستطيع أن تستغنى عن معظمها بقراءة ما يكتب على الروزناما ، وأما التمثيليات والمسلسلات فمعظمها مسلوق على عجل فى مطابخ بيروت الفنية كما يسمونها أو موضبة بغير مهل فى القاهرة .

وماذا عن السينما ومراقبة الافلام السينمائية .. يخيل الى المرء احيانا أن لجان مراقبة الاشرطة والافلام فى العالم العربى من النوع الهين اللين اليسر المسامح . ولقد علمت أن بعض اصحاب دور العرض ممن لا يرتوى لهم جشع فى مكاسب الافلام الخليعة ، يبتدرون لجنة المراقبة فى بلدهم بصينية من أفخر الكنافة ، أو أكلة دسمة ينيلونها اياهم فيما يدور الفيلم الذى يريدون تغطية اعينهم عنه . ان حكاية المرخص بعرضه من الافلام حكاية حزينة ، ومنجعة وهى لا تقل إيلاما عن صور العرى والتجرد فى المجلات الوقحة التى تعيش على الهاب المشاعر الجنسية بالصور الداعرة ..

ان الفتى العربى المسلم لغريب الوجه واليد واللسان فى مدينة الاعلام العجيبة التى لا يمكن أن يرتقى الى رتب النواطير فيها الا طراز معين من الناس يوضع بينهم للتعمية رجل أو اثنان فى كل حالة ممن صلحت أخلاقهم ليكونا بمثابة التعويذة على جسم متهالك ولقد يقولون لك محتجين تعال أنت يا « شاطر » واقترح علينا ما نعبىء به برامج الاذاعة والتليفزيون ، أو نشحن به صفحات المجلات ، كأنما هم لا يعلمون اننا لو ربطنا تلك البرامج بالقطاعات التربوية والانتاجية والمعاهد والمؤسسات الجادة لم يظل صعبا أن تحصل على برامج هادفة ..

ولو عرف سائر المنتجين الفنيين أن الغناء غير مقبول الا أن يكون مما يثير النخوة والرجولة والتسامى ويعكس أشرف عواطف الأمة والنبض الحى لقلوب أبنائها الشرفاء والمنتجين

لاتجه كل الغناء لألحان شعبية هادفة، أو مصورة للطبيعة ومفاتن الخلق الإلهى وحديث القلوب الملأى بالرجولة والشجاعة والمثل العليا .

لو قال المسئولون عن البرامج لا نقبل الأغنية إلا أن تصور معاناة العامل وكدحه فى مصنعه ، والفلاح ومجالدته فى أرضه ، والمغترب الى المهاجر وأشواقه الى وطنه ، والنازح من فلسطين وصوت الحنين فى صدره ، والبحار وجهده علي ظهر السفينة فى الأيام العاصفة أو غير العاصفة . اغانٍ للمرأة التى تحترف خياطة الملابس لتربى أيتامها ، للطالب القروى الذى يسير أميالا ماشيا كل يوم ليستكمل فى المدينة دراسته ، للثائر المناضل فى طرق الموت على قمم الجليل أو فى قيعان الأغوار . أغان عن كفاح هذه الأمة وقصص عذابها وغصصها مع الاستعمار الى آخر ذلك ، أقول لو عرف سائر المنتجين والمؤلفين والملحنين ذلك وعرفوا الجد فيه من المسئولين لغيروا اتجاهاتهم ووسائلهم وتقربوا الى أجهزة الدولة بما ترضى عنه وتسيغه .

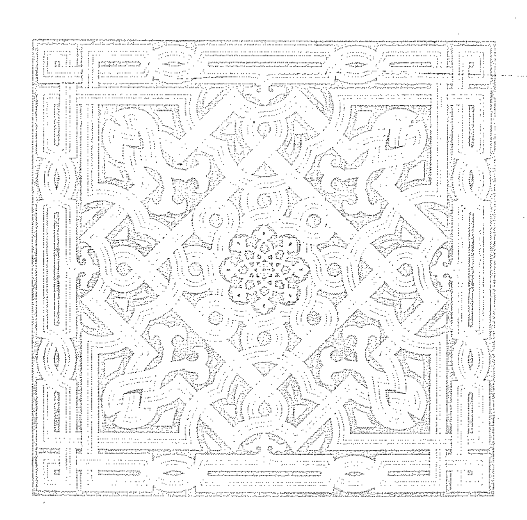
أهى وسائط اعلام وتربية ، وترقية ذوق ، ودفع لعجلات التقدم والعمران وتواصل قطع الأمة المزقة المشتتة ، أم هى وسائط تسلية رخيصة وتخدير ؟

أهى أجهزة موكلة بغسل دماغ الأمة وجرها الى التبعية الفكرية والفنية ، والسلوك المقلد الذيلى ؟

أهي مراكز لتصريف الانتاجات البائرة أو غير البائرة ؟ أهى موجودة لذوق طائفة أو جماعة من الأمة دون سائر الأمة ؟

ما هى وسائل الاعلام العربى المعاصرة ؟ إننى شخصيا لست أدرى واذا كنت أدرى شيئا فهو انها تعيش فى انفصال وغربة عن هذه الأمة وصالحها . .

ذلك ما أنا أدريه . . ولعلى لا أكون إلا مخطئا . . فان ذلك ليسعدنى تماما . ومعذرة الى الاعلاميين المخططين منهم والمنفذين فى عالمنا العربى .





للدكتور احمد الشرباصي

من الاقوال المأثورة : « ان اللـــه قد يضع سره فى أضعف خلقه » .

والمثل العربى يقول : « ان للـــه جنودا منها العسل » .

وخير من هذا وأجمل قـــول الحق جل جلاله ، ((**ولله جنود السمـــوات والارض وكان الله عزيـــزا حكيما**)) . وقوله سبحانه : ((**وما يعلم جنـــود ربك الا هو**)) .

وفى ضوء هذه الكلمات المضيئـــة نفهم أن الضعف قد ينطوى على قوة مستورة تؤيدها عناية الله تبـــارك وتعالى ، فاذا قوة الضعف تهـــد الجبال ، وتحير الألباب .

وقد نتسائل فى هذا الباب ـــ على سبيل المثال ـــ فنقول : بم أهلك الله الجبابرة الطغاة الكافريـــن من أهـــل سبا ، حينما وهبهم جنتين عن يميـــن وشمال ، وقال لهم : « كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبـــة ورب غفور » . ولكنهم طغـــوا بكفرهـــم ، وتباهوا بقوتهـــم ، فمـــاذا كانـــت النتيجة ؟ : « لقـــد كان لســـبأ فـــى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم «اى المطر الشديد» وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكـــل

خمط وأثل وشيء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل نجازى الا الكفور » .

فكان المطر ـ وهوقطرات ماء رقيق سائل ـ سبب الهلاك والدمار ، وجعل الله عز شأنه من الشيء الضعيف الرقيق المنساب قوة قوية مدمرة لأهل البغى والطغيان .

وحينما جاء أبرهة الاشرم يتحدى يرغى ويزبد مهددا بجبروته وجنوده العرب ، منذرا بهدم الكعبة ، ومعه الفيلة الضخمة الغليظة التى لا تعرفها العرب ولم تألفها ، حتى خاف أهل مكة فتركوها واعتصموا بالجبال والشعاب ، أظهر الله قوة فى الضعف وجعل السبب الضعيف الضئيل سببا وسلاحا للقضاء على الجيش العرمرم الجرار ، ولم يرسل الله لإهلاك الفيلة حيوانات ضخمة مثلها ، ولا ما يقاربها ، بل أرسل عليها الطير الابابيل .

« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم فى تضليل ، وارسل عليهم طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف ماكول » اى كتبن أكلته الدواب وتطايرت بقاياه .

وهذا (لوط) عليه السلام ، يتعرض لموقف الضعف والشدة ، حيث يهجم عليه اللئام الفاسقون من قومه ، يريدون الاعتداء الوضيع على ضيوفه من ملائكة الرحمن ، ويتطلع لوط ، يبحث عن ناصر أو معين ، فيجد كل اللئام يقفون ضده فيقول كأنه يرجو اغاثة ونجدة « قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد » .

وجاء الجواب من ملائكة الرحمن « قالوا : يا لوط انا رسل ربك ، لن يصلوا اليك » واختار الله تعالى أن يكون تدميره لهؤلاء ولوطنهم بقطع من الحجارة الصغيرة المطبوخة بالنار ، وهى حجارة متتابعة مسومة ، أى معلمة للعذاب فتجلت منها القوة : قوة الضعف « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ، مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد » ، « فأخذتهم الصيحة مشرقين ، فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ، ان فى ذلك لآيات للمتوسمين ، وانها لبسبيل مقيم ، ان فى ذلك لآية للمؤمنين » .

وأمر « عاد » قوم هود غير بعيد من أمر قوم لوط ، فاذا كان هلاك قوم لوط قد تم بقطع صغيرة متوالية من الحجارة ، فقد تم اهلاك عاد بالهواء بالريح العاصف « واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية . « لها صوت من شدتها » سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما (مشئومات) فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية »

وأمر قوم نوح غير بعيد من أمر عاد فقد هلك قوم نوح بالماء « فكذبوه فانجيناه والذين معه فى الفلك ، وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ، انهم كانوا قوما عمين » .

وأمر فرعون وقومه غير بعيد من امر قوم نوح ، فقد أغرق الله الطاغية بالماء ومعه اتباعه « فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانو عنها غافلين » . « فاتبعهم فرعون بجنوده ، فغشيهم من اليم ما غشيهم ، واضل فرعون قومه وما هدى » .

وهذا هو رسول الله عليه الصلاة والسلام ، يخلق له ربه من الضعف قوة ، ومن القلة كثرة ، ومن الفقر غنى وثراء **« الم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فاغنى » ؟ .**

لقد كان فردا فصار أمة ، وكـــان أميا فعلم الملايين ، وكان قليـــل المال فصار بالله أغنى الأغنيـــاء ، وما زال صلوات الله وسلامه عليه ، يلتمس الغنى فى الفقر والقوة فى الضعف ، حتى أوتى من عزيمته وعزمه ، مـــا زعزع به أركان الأكاســـرة والقياصرة **« وكان فضل الله عليك عظيما »** .

ولعل الله تبارك وتعالى قد اشار الى قوة الضعـــف ، حين اختـــار الحمامة الاليفة الضعيفة ــ كما تقول بعض روايات الســـيرة ــ لتكـــون حارسة على باب الغار الذى لجأ اليه الرســـول حين اختفى عن عيـــون المشركين ، وهو فى طريقه مهاجـــرا من مكة الى المدينـــة ، كما اختـــار العنكبوت ــ ان صحت الروايـــة ــ ليكـــون معوانا للحمامة فى هـــذه الحراسة ، وكانت الحمامة الرقيقـــة النحيلة ، مع خيوط العنكبوت الهشة الوانية ، سببا فى تعمية المشركيـــن حتى لا يبصروا الرسول وصاحبه حين اختفيا فى الغار .

وفى داخل الغار كان هناك مشهد أروع وأمتع لقوة الضعف ، فهذا أبو بكر رضى الله عنـــه ، يخاف علـــى الرسول صلى الله عليه وسلم مـــن سفه الشرك وبغى المشركين ، ويقول: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى موضع قدميه لرآنا ، فاذا القـــوة العارمة المؤمنة ، تتجلى من الرسول فى موقف الشدة والضعف ، » فيقول « يا أبا بكـــر ، ما ظنـــك باثنين الله ثالثهما ؟ يا أبا بكر ، لا تحزن ان الله معنا » .

ويؤيد صوت السماء رجاء النبوة ، فيتنزل قول الحق **« إلا تنصروه فقـــد نصره الله ، إذ أخرجه الـــذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لـــم تروها ، وجعل كلمة الذين كفـــروا السفلى ، وكلمة الله هى العليـــا ، والله عزيز حكيم »** .

وتأتى غزوة بدر الكبرى ، ويخرج نحو ثلاثمائة من المؤمنين ليلاقوا نحو الف من الكافرين ، ويشاهد الرسول فقر المسلمين وضعفهم وجوعهـــم وقلتهم ، فيدعو ربه قائلا عنهم « اللهم انهم حفاة فاحملهم ، اللهم انهم جياع فأطعمهم ، اللهم إنهم عراة فاكسهم ، اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبـــد فى الأرض » .

ويستجيب قيوم السموات والارض لرجاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه فيخلق من الضعف قوة ومـــن القلة كثرة ، ومن الجوع شبعا ، فاذا الضعاف ينتصرون على الاشـــداء « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم اذلة » ، ــ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض ، تخافـــون أن يتخطفكـــم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » .

وهذا هو المكفـــوف يفقـــد بصره وفقدان البصر لون من النقص ، ولكن الله جل جلاله يجعل من هذا الضعف قوة فيعوض صاحبه ما يجعله فـــى حصانة وبراعة ، وكم فى المكفوفين من عبقريات تجلـــت فأدهشـــت ولو رجعنا الى كتـــاب **« فى عالـــم المكفوفين »** .

لرأينا العجائب بعد العجائب فـــى هذا المجال ، وهـــذا هو « أحمـــد شوقى » يخاطب ســـلطان مصر منذ عشرات من الســـنين ، فى شـــأن المكفوفين فى الأزهر الشريف ، فيقول له كالموجه المرشد :

نظرا واحسانا الـــى عميانـــه
وكن المسيح مـــداويا ومجبـــرا
والله مـــا تدرى لعـــل كفيفهم
يوما يكون أبا العـــلاء المبصرا
لو تشتريه بنصف ملكك لم تجد
غبنا ، وجل المشترى والمشترى

وليس هذا الحديث الذى تقدم عن « قوة الضعف » دعوة الى الرضى بالضعف ، أو السكوت عليه ، بل هو دعوة الى استشعار القوة حتى فى حالة الضعف ، دعوة الى التدثر بالرجاء والأمل ، حتى فى مواطن الشدة والبأس ، ودعوة الى بذل الجهد فى أى حالة ، وعلى أى وضع، ودعوة الى اليقين بأن الله قادر على أن يجعل من الضعف قوة ما دام الانسان يجاهد بقدر ما يستطيع **« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »** .

* * * * *

واذا كنا قد حدثنا عن « قوة الضعف » فلنتحدث عن « ضعف القوة » ، واذا كنا قد رأينا أن الضعف قد ينطوى على قوة مستورة تؤيدها عناية الله ، وضربنا على ذلك الأمثال فاننا نستطيع أن نرى كيف تتداعى القوة القائمة على غير أساس سليم ، أو على مبدأ قويم ، فاذا هى تتحطم وتنهار « **والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » .

وهذا مثلا هو « الشيطان » ، وهو القوة الممثلة للشر والاثم والانحراف انه يختال بجنوده ، ويفتر بأتباعه ، ويزهو بمكره وكيده ، ولكن هذا الطغيان يصبح أمام الايمان واهيا ضعيفا، والله جل جلاله هو الذى يقرر ذلك ، فيقول **« الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفا »** .

وهذا هو فرعون ، الذى طغى وبغى ، وكان فى الأرض عاليا من المسرفين ، والذى تأله فى الأرض ، **« فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الأعلى »** فماذا كانت العاقبة ؟ تحول التأله ذلا ، وانقلبت القوة ضعفا ، **« فاخذه الله نكال الآخرة والاولى، ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى »** . ولم يستطع فرعون الطاغية ومن ورائه أشداء قومه أن يدفعوا عن أنفسهم الأذى ، حتى ولو كان فى صورة أرق الاشياء وهو الماء .

وهذا هو « قارون » المغرور بنفسه ، المبهور بقوته فى الحياة ، وكثرة ثروته بين الناس **« ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز، ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين »** .

وجاءته الموعظة العادلة الفاضلة الهادية الى خيرى العاجلة والآجلة **« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين »** .

ولكن قارون لم يسمع ولم يستجب ، فهو غارق هناك فى أمواج خيلائه ، وطوفان كبريائه فهو يتباهى بقوته وعلمه ويفتر بثروته وماله ويظن انه بهذا يستعصم على الضعف ويتأبى على الانكسار ناسيا أن الله جل جلاله قادر على ان يبطش به كما بطش بمن هو اقوى منه واطغى **« قال انما اوتيته على علم عندى ، أولم يعلم ان الله قد أهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون ، فخرج على قومه فى زينته ، قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم . وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير**

لمن آمن وعمل صالحا ، ولا يلقاها الا الصابرون » .

فماذا كان المصير ؟ ...

انقلب العز ذلا والغنى فقرا ، والقوة ضعفا « **فخسفنا به وبداره الارض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين . واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ، لولا أن من الله علينا لخسف بنا ، ويكأنه لا يفلح الكافرون ، تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين »** .

وهؤلاء هم قوم ابراهيم عليه السلام ، يسرفون على أنفسهم وعلى الناس فيسعون فى الأرض فسادا ويعبدون من دون الله عز شأنه ما لا ينفعهم ولا يضرهم ولا يجديهم النصح والتوجيه شيئا ويعطيهم نبى الله ابراهيم درسا بليغا فى أن الأصنام لا تدفع عن نفسها شرا ، فكيف تدفع قليلا أو كثيرا عن غيرها وهنا يثور الأقوياء الاشداء السفهاء لكرامتهم المهضومة وعزتهم المزعومة ، ويجتمعون فى طغيان وبهتان ويقررون أن يعصفوا بالنبى الوحيد الفريد الأعزل ويختارون للخسف به أقسى أنواع العذاب وهو الاحراق بالنار ، جزاء له على تحطيمه أصنامهم وسخريته بضلالهم :

« فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين » .

فماذا كان صنع الله القوى المتين ؟

جعل الشدة هوانا وأحال القوة ضعفا ، ومن خلال النار المحرقة المهلكة بعث الله السلام والنجاة « **قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم . وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين »** .

وهذا هو « النمرود بن كنعان » ، الملك الجبار المتمرد ، الذى ادعى الربوبية وحاج ابراهيم فى ربه وقال فى شأنه القرآن الكريم « **ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ، ان آتاه الله الملك إذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت، قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين »** .

فماذا يصنع القدر مع ذلك الذى بغى وطغى ، وتجبر وعتا ، وآثر الحياة الدنيا واغتر لأنه احد الأربعة الذين قالوا إنهم ملكوا العالم وهم ذو القرنين وسليمان والنمرود ، وبختنصر ؟!

اختار الله لإهلاكه وإهلاك جنوده حشرة ضعيفة ضئيلة هزيلة ، هى البعوضة يقول التاريخ « فأرسل الله عليهم ذبابا من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس فسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم وشربت دماءهم وتركتهم عظاما بالية » ودخلت بعوضة أنف النمرود ، فعذبه الله

بها ، وجعل يضرب راسه بالمطارق لكى تموت البعوضة او تخرج من انفه ولكنها ظلت تذيقه العذاب الوانا حتى مات الجبار ذو الاسباب ميتة الكلاب

وما أضعف قوة المخلوق امام سلطان الخالق « **الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** » .

وهؤلاء هم اهل الكفر والضلال يعدون فى الدنيا بالملايين بعد الملايين وعندهم طاقاتهم وقدراتهم ولديهم اموالهم وثرواتهم ولهم جبروتهم وقد كفروا بربهم ، وتمردوا على خالقهم وعبدوا من دونه ما عبدوا من أصنام واوثان ولكن الله جل جلاله يذل اغترارهم ويحطم قوتهم ويتحداهم ان يسخروا كل اسبابهم لايجاد حشرة ضعيفة هزيلة « **يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز** » .

والخطاب هنا لجميع الناس ابيضهم واسودهم ، عربهم وعجمهم ، والتحدى موجود حتى مع اجتماعهم وتضامنهم « ولو اجتمعوا له » ، وموضوع التحدى هين يسير صغير ذبابة ، والذباب من أضعف المخلوقات وأصغرها والتحدى هنا نوعان إما أن يخلقوا ذبابة واما أن يستردوا من الذبابة شيئا أخذته منهم وما هم بفاعلين « ضعف الطالب والمطلوب » وفى الحديث القدسى يقول الحق جل جلاله « **فليخلقوا مثل خلقى ذرة او ذبابة او حبة** » .

وهذه الذبابة الضعيفة يعطيها الله من الحيلة والوسيلة ما تقلق به الاشداء وتضايق به الاقوياء ولقد روى عن احد الخلفاء العباسيين انه كان جالسا فى قصره فوقعت على وجهه ذبابة فطردها فطارت ثم عادت فوقعت على وجهه . فطردها فطارت ثم عادت فوقعت على وجهه ، وظل الأمر كذلك حتى غضب الخليفة وتضايق ، وهنا .. دخل عليه أحد العلماء فسأله الخليفة لماذا خلق الله الذباب ؟!

وكانما احس العالم بما كان هناك فأجاب قائلا لقد خلق الله الذباب ليذل به الجبابرة يا امير المؤمنين ..

ليس هذا الحديث عن « ضعف القوة » تنفيرا من القوة أو تزهيدا فى الشدة والتماسك او دعوة الى الضعف لأن الاسلام يدعو الى كل انواع القوة الفاضلة « **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة** » ولكنا نريدالقوة القائمة على الايمان والعدل والخضوع لسلطان الله عز وجل « **خذوا ما آتيناكم بقوة** » ونريد القوة العادلة المتعادلة « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ».

يا أهل الايمان لا تخافوا قوة البغى فى الارض فمن فوقها قوة السماء ، لا تهابوا الأقوياء السفهاء من الناس فان ثباتكم فى وجوههم مع رضى الله عنكم كفيل بأن يحطم بنيانهم ويهدم كيانهم ، ويأتى عليهم من القواعد « **لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد** » انتزعوا من ضعفكم قوة تحيل قوة عدوكم ضعفا أعتصموا بحبل ربكم يجعل لكم من أمركم فرقانا وينصركم نصرا مبينا .



للاستاذ عبد الرحمن عبداللطيف

الشكوى من عقوق الأبناء كثيرة ، والكلام عن واجب الأولاد حيال آبائهم كثير أيضا حتى صار مكررا ومعادا ، والمكرر المعاد لا يكون له أثر الجديد، وغالبا ما يكون ضعيف الجدوى قليل القيمة .

اذن فلنحاول أن نطرق الموضوع على هامش معانيه وجوانبه وأن نحوم حوله حتى لا نعيد ولا نكرر .

إن سبب عدم جدوى نصح الأولاد هو أن جريمة العقوق لم تنل حظا من التوضيح والمعرفة لدى الناس ، والا لقاومها المجتمع كما قاوم جرائم أخرى أقل منها قبحا وأضعف أثرا ، ولعل السبب فى عدم وضوح جريمة العقوق وفهمها الفهم الصحيح هو — مع شديد الأسى والرثاء — عطف الآباء انفسهم على أولادهم ، فهم يكتمون أساهم ويسترون مخازى ابنائهم ولا يحبون — مهما كانت الظروف — أن تظهر عيوب أولادهم للخلق . وهم فى هذا ليسوا بدعا فأبوهم نوح عليه السلام — كان المثل الصارخ فى هذا والعزاء لكل أب عقه بنوه ، لقد كفر ابن نوح بربه وبأبيه ولم يؤمن رغم تكرار النصح من أبيه وذهب مع القوم الكافرين ، فأخذه الطوفان مع من أخذ ، وحين ركب نوح ومن معه السفينة دعا ابنه لينضم اليه والى المؤمنين (ونادى نوح ابنه وكان فى معزل : يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ،

وحق الوالد على ولده

قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) . ثم تحركت عاطفة الأبوة فى نفس الوالد المكلوم فدعا الله كما حكى القرآن الكريم : (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وانت أحكم الحاكمين ، قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ، انى أعظك أن تكون من الجاهلين ، قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين) .

وحتى توضح ما خفى علمه على بعض الناس مما تسبب فى هذا الطوفان من العقوق نقول : يجب أن يعرف الناس أن مرتبة بر الوالدين فى الطاعات تأتى بعد عبادة الله وتوحيده مباشرة وفى نفس الوقت هى مقدمة على الجهاد فى سبيل الله حتى لو كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء رجل الى النبى عليه الصلاة والسلام يستأذنه فى الجهاد فقال له (أحى والداك ؟ قال نعم . قال : ففيهما فجاهد) وفى خبر آخر (نومك مع أبويك على فراشهما يضاحكانك ويلاعبانك أفضل لك من الجهاد معى) واصطلح الناس على أن يصموا الفار من الجهاد بأقبح الصفات وأبسط ما يصفونه به هو

الجبن والنذالة والخيانة وجريمته — على فحشها — أقل عند الله وعند الرسول من العقوق ومع ذلك فلم يصطلح الناس على أن يقولوا للعاق أنت نذل أو انت جبان ..

— ولو قالوها لأرضوا الله وارضوا رسوله الذى يقول (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان) .

وقد يحار الانسان ويعجب من أن يقرن الله تعالى أمره بأدب الأولاد مع الآباء بأمره بتوحيده سبحانه وتعالى وعبادته — اذ يقول سبحانه (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا) ويقول عز وجل (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) وأن يقرن شكرهما بشكره سبحانه فى قوله : (ووصينا الانسان بوالديه ، حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير) .

وأيضا فى ردع الخروج على هذا الأدب الاسلامى ووضع العقوق فى مرتبته بين جرائم الجحود — فيقرن بالشرك بالله — يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (عقوبتان معجلتان فى الدنيا : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين) .

ثم تزول الحيرة والتعجب اذا عرفنا أن الاسلام حريص على أن يكون المسلم وفيا غير خؤون فيؤدى الأمانة ويحمل المسئولية بشجاعة ومن غير جبن ، فلا ينكر الجميل ولا الفضل لمن أحسن اليه وليس لأحد فضل ولا جميل على المسلم الا الله سبحانه ثم أبواه . وانكار فضل الله وهو المنعم على الانسان كفر وجحود ودناءة — وانكار الولد فضل أبيه كفر وجحود ودناءة — فالجريمتان متشابهتان ونابعتان من نبع واحد هو خسة النفس وضآلتها وهى صفات لا يرضاها الله للمسلم لأن الذى ينكر فضل الله وفضل الوالد لا يعرف يقينا فضل أحد سواهما وان ادعى غير ذلك وهو قطعا غير جدير بوصف المسلم .

فمن صفات المسلم ان يكون شكورا لأن الأريحية والشجاعة يقتضيان منه ذلك ، وأن يشكر الله وشكر الله عبادته وشكر من أجرى النعمة على يديه ، أولى الناس بهذا هم الوالدان — على نعمة التربية والايواء والصيانة والحفظ والتعليم ، فالولد الرجل لم يخرج من بطن أمه رجلا بل طفلا صغيرا ضعيفا لو سها الوالدان عنه لحظة لضاعت حياته ، فهما اللذان حفظاه وربياه وعلماه وجاعا ليشبع ، وتعريا ليكسى ، وحرما نفسيهما من كثير من المتع ، وأحيانا من الضرويات ليوفرا له ما يسره وما يشتهيه وما يكمله ويجعله انسانا مذكورا بين الناس .

إن بر الوالدين معناه طاعتهما ، يجب أن يعلم هذا ، وكلمة البر هنا لا تحمل معنى التبرع أو التطوع أو التفضل ولكن معناها الطاعة ، الطاعة المطلقة فطاعة الوالدين لازمة إلا اذا أمرا بمنكر فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وهذه المعاملة الحسنة المطيعة واجبة للأبوين حتى ولو كانا كافرين أرأيتم ميزات الاسلام ؟؟ وأنعمه على الانسانية كلها ؟؟ يقول الله سبحانه وتعالى عن الأبوين الكافرين اذا كان لهما عهد : (وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا)

وفى صحيح البخارى عن أسماء قالت : قدمت أمى وهى مشركة فى عهد قريش ومدتهم اذ عاهدوا النبى

صلى الله عليه وسلم ، فاستفتيت النبى صلى الله عليه وسلم (ان أمي قدمت على وهى راغبة أفأصلها ؟؟ قال : نعم صلى أمك .

وايضا ما روى من ان عبد الله بن عبد الله بى ابى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم — فشرب النبى صلى الله عليه وسلم ماء ، فقال له : بالله يا رسول الله ما أبقيت من شرابكفضلة أسقيها أبىلعل اللهيطهر بها قلبه ؟؟ فأفضل له ، فأتاه بها فقال له عبد الله ما هذا ؟ — فقال : هى فضلة من شراب النبى صلى الله عليه وسلم جئتك بها تشربها لعل الله يطهر قلبك بها ، فقال له أبوه : فهلا جئتنى ببول أمك ؟؟ فانه أطهر منها ، فغضب وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله أما اذنت لى فى قتل أبى ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم (بل ترفق به وتحسن اليه) .

أرأيتم كفرا أشد من هذا الكفر ؟؟ وسفولا فى الخلق وفى الكلام وفى الخطاب أسفل من خلق هذا الوالد الفاجر الذى تجرد حتى مما كان فى الجاهلية من بعض صفات الاريحية العربيـــة ؟؟

ثم أرأيتم كيف يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ابنه بعدم قتله ، بل يأمره بالرفق به والاحسان اليه ..

ثم أرأيتم حق الابوة ومكانته فى الاســـلام ؟؟.. الطاعـــة والرفـــق والاحسان والمصاحبة الطيبة وصدق الله سبحانه (فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما .واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ..)

ولنذكر مثالا لطاعة الوالد فى أمر يراه الابن : فى زماننا خاصا به وحده دون سواه .. وهو اختيار زوجتـــه ومعاشرتها ، فقد روى عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنه وعن أبيه انه قـــال : (كانت تحتى امرأة أحبهـــا ، وكان أبى يكرهها ، فأمرنى أن أطلقها فأبيت ، فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال (يا عبد الله بن عمر طلق امرأتك) .

ويروون تفسيرا لهذه القصة أو تتمة لها أن الزوجة كانت جميـــــلة وخشى عمر على ابنه من فتنة امرأته وقد مر على بيتـــه فى طريقـــه الى المسجد ولم يره خرج الى الصلاة ..

وصدقت فراسة عمر .

وصدق الله سبحانه (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم) .

ووجه العداوة أن الولد أو الزوج اذا فعل فعل العدو كان عدوا ، ولا فعل أشد قبحا من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة ، وقد خشى عمر أن تشغل المرأة ابنـــه عن البكور فـــى الذهاب الى المسجد فكان طلاقها أمرا لازما أيده الرسول صلى الله عليـــه وسلم فيه (وما ينطق عن الهوى) .

ومن تنطبق عليهم الآية الكريمـــة الزوجة الأنانية التى تعمل جاهـــدة على أن تستأثر وحدها بزوجها دون أهله وتوقع — لهذا — بينه وبينهم البغضاء والقطيعة ، يساعدها فى هذا ظروف الزوجية وملابســـــاتها وخلواتها ونعومة الحديث فيها ودوام الشكوى منها فى الوقت الذى لا يجد أهله هـــذه الظروف — ويترفعـــون بطبيعة مكانتهم عن هذه المساجلات الوطيئة ، ويتعالون بالله ورســـوله عن هذه المكائد الشريرة التى تتلخص فى نسبة الظلم منهم لابنهم وزوجـــة ابنهـــم .

وكون الوالدين يظلمـــان ابنهمـــا أمرا لا يتصوره أبدا عقل ســـليم ..

ففى الحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من أمسى مرضيا لوالديه وأصبح أمسى

وأصبح وله بابان مفتوحان من الجنة وان واحدا فواحدا — ومن أمسى وأصبح ، مسخطا لوالديه أمسى وأصبح وله بابان مفتوحان الى النار وان واحدا فواحدا ، فقال رجل : يا رسول الله وان ظلماه ؟

قال : وان ظلماه ، وان ظلماه ، وان ظلماه ؟..)

والرسول صلى الله عليه وسلم لا يقر قطعا الظلم ولا يرضاه ، ولكنه يرى بنور الله نور النبوة أن الوالدين لا يظلمان ابنهما أبدا ولو صدر منهما بسبب حبهما له وحدبهما على مصلحته وتقويم أمره ما يخيل اليه أنه ظلم أو ينقل له ويفسر من أذناب ابليس قرناء السوء على أنه ظلم فلا يصدق ويحترس ويحذر استجابة للآية الكريمة : (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) ويقول سبحانه عنهم وتوضيحا لرسالتهم الفاسدة (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) .

ولو آمن الوالدان بالله وحده واعتزا بالله وحده دون سواه من البنين والبنات ، ولو آمن الناس كلهم هذا الايمان واعتزوا هذا الاعتزاز وتأدبوا بأدب الرسول الكريم الذى أدبه ربه به فأحسن تأديبه والذى نقل هذا الأدب من الله عز وجل الينا ، وهو يقول للزوج — لرب الأسرة — (الديموث الرجل يسكت على هنات أهله) ويقول للمسلمين جميعا (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان) .

لو تأدب الناس بهذا الأدب لزالت جريمة العقوق ، والدليل على هذا أنها استشرت حينما ضعف تدين الناس ولم يكن لها وجود يوم كان الناس أصلاء متدينين فى الماضى

وأخيرا — ان عملى فى البرامج الدينية ، فى الاذاعة (برنامج درس الجمعة ، وبرنامج راى الدين) كان سبيلا لورود كثير من المشاكل والاستفتاءات بغية الوصول الى حلها وعلاجها عن طريق الدين وحكم الدين .

وكان مما وصلنى رسالة أعجبتنى ولا أكتم أنها أضحكتنى لأن صاحبها كتبها، مسرورا غير مقهور وابتساماته وقهقهاته يملآن سطورها .. يقول صاحبها : (امتحنت بعقوق الولد الذى يتظاهر لا بالتدين فقط ولكن بالولاية أيضا وبحب الوالد واطرائه وصبره على شدته وظلمه له ، ويستعد من الآن لتشريف أبيه عند موته بكل أنواع التشريف والحفاوة والتكريم ، مع أنه لا يزوره الا فى المواسم الرسمية ، ويقول الوالد : ما الرأى فى هذا ؟ وأنا لا أستطيع السكوت عن قول الحق حيا وميتا ، ولا أستطيع السكوت عن هنات أهلى حيا وميتا ، ولا عن النصيحة حيا وميتا ، والمرشد الحق هو من أرشد الناس بعد موته كما أرشدهم فى حياته) — وقد أعجبنى فى وصف هذه الحالة — الحالة التى شرحتها لك — قول الشاعر :

لا ألفينك بعد الموت تندبنى
وفى حياتى ما زودتنى زادى

فما رأيك ..؟؟

وأنا لم أجد ردا بليغا على هذا السؤال الا كتابة السؤال واسماعه للناس لعل من تنطبق عليه أوصافه من الابناء لا ينشد شحه فى الحياة بالزاد ولا كرمه عند الموت بالندب . وما أروع وأصدق قول الله سبحانه : (بل الانسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره) .

كتاب الشهر

دستور الأخلاق في القرآن

دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن

تاليف المرحوم :
الدكتور محمد عبد الله دراز

ترجمـــة :
عبد الصبور شـــاهين

عرض وتحليل :
محمد عبد الله السمان

هذا الكتاب القيم الذى أسهمت فى نشره دار البحوث العلمية بالكويت ، ومؤسسة الرسالة فى بيروت يقع فى زهاء ثمانمائة صفحة من القطع الكبير وهـو الدراسة التي استوعبتها الرسـالة الأساسـية التى نال بها المؤلف دكتوراه الدولة من السوربون حيث نوقشت أمام لجنة مكونة من خمسة من أساتذة السـوربون والكـوليج دى فرانس فـى ١٩٤٧/١٢/١٥ ، وقـد كتب المؤلف الرسالة بالفرنسية ، وطبعت النسخة الفرنسية على حساب مشيخة الأزهر عام ١٩٥٠ ، وظلت فكرة تعريبهـا زهاء ربع قرن تتأرجح بين الأزهـر ووزارة الأوقاف المصرية ، حتى قيض الله لتحقيق الفكرة من هم أهل لكل عمل جاد ، وكل جهد مشكور ..

ولا أظن أن القـراء بحاجـة الى التعريف بالمؤلف رحمه الله ، وهو من العلماء الأفذاذ ، القـلائل ، الذين توافر لهم بسطة فى العلم ، وقوة فى الإيمان ، وعـزة فى النفس والذين قدر لهم أن يعرفوه عن كثب ، يدركون

أن المغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز نموذج رفيع لعالم الدين قد لا يتكرر الا كل حين ..

أما دراسته التى بين أيدينا : (دستور الأخلاق فى القرآن) فهى على المستوى العلمى الرفيع ، ولا أظن أن كلمات — أيا كانت — تفى حقها من التقدير ، وقد قدم لهذه الدراسة بمقدمة موجزة مركزة الأستاذ الدكتور السيد محمد بدوى استاذ علم الاجتماع بجامعة الاسكندرية ، الذى قام أيضا بمراجعة الرسالة ، وقد عاش معها مرتين : مرة أثناء تأليفها — حيث كان يدرس فى باريس ، ومرة أثناء ترجمتها ، والحق ، أن المقدمة — على ايجازها تلقى أضواء على هذه الرسالة الجامعية ، هى بمثابة خلاصة سريعة للأفكار الرئيسية فيها تيسر للقارىء استيعاب هذه الدراسة القيمة .

كذلك كانت كلمة المعرب الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين أستاذ مساعد الدراسات اللغوية بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة — جديرة بكل تقدير لأنها بمثابة تقييم فنى دقيق لرسالة المؤلف ، والدكتور عبدالصبور شاهين الذى قضى ثلاثة أعوام متفرغا لهذا العمل الكبير ، عاش بعقله ووجدانه مع هذه الدراسة القيمة ، فهو ليس متمكنا من اللغة الفرنسية — وحسب — بل هو أيضا متمكن من دراسة الفكر الاسلامى لذلك لم يشأ أن يقوم بعمل آلى يهتم بالدقة فى الترجمة الحرفية للنص الفرنسى ، وانما أراد أن يقدم عملا متكاملا أقدم عليه ، مدركا أن غيره من العلماء القادرين على الترجمة ، تردد أكثر من مرة فى قبول هذا العمل ، وانتهى به المطاف الى الرفض بأدب لأن دراسة تنسب الى المؤلف العالم الجليل ، لم يتوقع لها إلا أن تكون على مستوى من العمق يحتاج فى نقله الى العربية الى جهد مضن — لا يتوافر له العلم والأناة وحسب — بل أيضا القدرة على الصياغة العربية التى تقارب فى أساليبها ، أسلوب المؤلف البلاغى العميق ، الذى نلمسه فيما كتب باللغة العربية .

إن الهدف الرئيسى من هذه الدراسة — كما يقول الدكتور السيد محمد بدوى — هو إبراز الطابع العام للأخلاق التى تستمد من كتاب الله الحكيم ، وذلك من الناحيتين النظرية والعملية ،وتهيمن على الكتاب من أوله الى آخره ، فكرة رئيسية ، هى أن الحاسة الخلقية انبعاث داخلى فطرى وأن القانون الأخلاقى ، قد طبع فى النفس البشرية منذ نشأتها : « ونفس وماسواها . فألهمها فجورها وتقواها» غير أن هذا القانون الأخلاقى المطبوع فينا ناقص وغير كاف . ليس فقط . لأن العادة ، والوراثة ، وأثر البيئة ، والمصالح المباشرة تفسد نوازعنا التلقائية ، وليس فقط لأن شواغل الحياة فى الدنيا تستوعب القسط الأكبر من نشاطنا الواعى بل ان ممارسة الأخلاق فى أحسن الظروف الملائمة تواجه صعوبة أخرى رئيسية وهى أن الضمير اذا اقتصر على مصادره الفطرية وحدها ، وجد نفسه عاجزا فى غالب الأحيان عن أن يقدم فى جميع الظروف قاعدة ذات طابع عام ، تستأثر باعتراف الجميع فاذا تجاوزنا حدا معينا نجد أن (اليقين) الأخلاقى قد ترك مكانه للاحتمالات والتردد والمتاهات وهذا هو السبب الذى من أجله بعث الله فى الناس — من حين لآخر — نفوسا متميزة ملهمة بالوحى الربانى .

يجدر بنا هنا قبل أن نعرض لموضوع الدراسة القيمة ، أن نجلى للقارىء الفكرة الرئيسية لدى المؤلف ـ رحمه الله ـ والتى حدت به الى اختيار دراسة مضنية شاقة وهذا ما يلمسه من واقع مقدمته ، وهذه كلمات وجهها الى القارىء نفسه حيث يقول : (ولسوف يكون لدى قارئنا الواعى فرصة أن يقدر الى أى مدى يوفى كتابنا ـ الذى نقدمه اليوم اليه ـ بهذه الشرائط المطلوبة فى التأليف ـ وهى التى تدعو دائما كل كاتب أن يسير على نهجها فلم يكن شروعنا فى هذا المؤلف الجديد عن القرآن عبثا نضيع فيه وقتنا ، ونثقل به على قرائنا ونزحم به مكتباتنا ، فاذا لم يأت عملنا بشىء جديد فى عالم الشرق أو الغرب ، فلن يكون سوى مضيعة وزحمة وإثقال .)

يرى المؤلف رحمه الله : أن فى مؤلفات علم الأخلاق العام ، التى كتبها غربيون ـ فراغا هائلا وعميقا نشأ عن صمتهم المطلق عن علم الأخلاق القرآنى ، وهذه المؤلفات تذكر لنا بايجاز أو بافاضة ، المبادىء الأخلاقية كما ارتأتها : الوثنية الاغريقية ، ثم أديان اليهودية والمسيحية .. ثم تنقلنا بغتة الى العصور الحديثة فى أوربا مغفلة كل ما يمس الدستور الأخلاقى فى القرآن أما المحاولات التى تمت خلال القرن التاسع عشر من اجل استخراج المبادىء الأخلاقية من القرآن فقد كان اطارها فى الغالب محدودا ، كما كان مضمونها بعيدا عن المطابقة الدقيقة للنظرية القرآنية الحقة فمن حيث الاطار نجدهم قد أغفلوا الجانب النظرى من المسألة ، ومن حيث عيوب المضمون نجد مرجعها اما الى ترجمات غير صحيحة ، واما الى تلخيص سىء ، واما الى الأمرين معا.

ثم يشير المؤلف الى أن هذا هو الدافع الأساسى الى هذه الدراسة فقد أصبح من الضرورى أن يتناول الموضوع من جديد ، وأن يعالج تبعا لمنهج أكثر سلامة ، من أجل تصحيح هذه الأخطاء ، وملء ، هذه الفجوة فى المكتبة الأوربية وحتى نرى علماء الغرب الوجه الحقيقى للأخلاق القرآنية ..

****

قسم المؤلف الدراسة الى خمسة فصول :

فى الفصل الاول يبحث المؤلف فكرة الالزام ـ ان أى مذهب أخلاقى يستند فى نهاية الأمر على فكرة الالزام واذا لم يعد هناك الزام فلن تكون هناك مسؤولية ، واذا عدمت المسئولية فلا يمكن أن تعود العدالة وحينئذ تتفشى الفوضى ، لا فى مجال الواقع فحسب بل فى مجال القانون أيضا فالى أى اتجاه يريد أن يقودنا بعض أصحاب النظريات من المحدثين أمثال (جييو) فى كتابه (نحو أخلاقية بلا الزام ولا جزاء ؟ اذن فكيف نتصور قاعدة أخلاقية بدون الزام ؟ أليس هذا تناقضا فى الحدود ؟ ويعرض المؤلف بعد ذلك لمصادر الالزام الأخلاقى لدى الفلاسفة والمفكرين ، فالفيلسوف الفرنسى (برجسون) يكشف فى تحليله العميق لقضية الالزام الأخلاقى عن مصدرين : هما قوة الضغط الاجتماعى ، وقوة الجذب ذى الرحابة الانسانية ، المستمدة من العون الإلهى ، وهى قوة أوسع مدى من

سابقتها ويرى المؤلف أن عرض (برجسون) هذا ، اذا نظرنا اليه على أنه وصف وتحليل لواقع معين نجده فى التجربة أمكن القول بأنه لم يغفل كثيرا من الأساس ، أما اذا تناولناه — على أنه نظرية فى الالزام الأخلاقى — فان تحليله يحمل بعض الصعوبات وشيئا من الانحراف عن الجادة بالنسبة الى وجهة النظر القرآنية .. أما الفيلسوف (كانت) الذى كشف عن مصدر الالزام الأخلاقى فى تلك الملكة العليا فى النفس الانسانية والتى توجد مستقلة عن الشهوة ، وعن العالم الخارجى معا ، فيرى المؤلف أن (كانت) قد أحسن صنعا ، برغم بعض النقص فى طريقة تقديمه لنظريته ، فاذا ما رددناها الى أبسط تعبير عنها ، وخلصناها من جميع مظاهر الدقة الشكلية ونزعتى التسامى والتشاؤم ، ومن بعض ما شابها من البرود العاطفى ، فهى بعد هذا لا تعد من المسلمات فحسب ، بل انها لتتفق تماما — فيما نرى — مع النظرية المستخلصة من القرآن .

ويطرح المؤلف — رحمه الله — تساؤلا : هل للشريعة الاسلامية مصدر واحد أو عدة مصادر ؟ ثم يعقب قائلا : ان الفقهاء قد حددوا لها بعامة أربعة مصادر : القرآن والسنة ، والاجماع والقياس ، واذا كان التحليل الذى قدمنا صحيحا — باستثناء بعض التحديدات التى يجب أن نضيفها الى هذا القول — فلا ينبغى أن يكون لدينا سوى سلطة لشريعة واحدة بالمعنى الصحيح ، والقرآن ذاته لا يفتأ يؤكد لنا هذه الفكرة فى كثير من آياته : ان الحكم الا لله — الا له الحكم — ولا معقب لحكمه) .

وفى الفصل الثانى يبحث المؤلف فكرة (المسؤولية) فيرى أن فكرة الالزام ، يرتبط بها ناتجان ، يستلزم أحدهما الآخر بدوره ، ويؤيده ويدعمه ، هما فكرة المسئولية ، وفكرة الجزاء التى سيعرض لها فى الفصل الثالث والواقع — كما يقول المؤلف — أن هذه الثلاث يأخذ بعضها بحجز بعض ولا تقبل الانفصام فاذا ما وجدت الأولى تتابعت الأخريان على أثرها ، واذا اختفت ذهبتا على الفور فى أعقابها ..

وفى دراسة المؤلف لفكرة المسئولية بحث الصفات العامة التى تنبع من تحليل هذه الفكرة ، ثم شروطها من الوجهة المزدوجة الاخلاقية والدينية ، وأخيرا جانبها الاجتماعى ثم قرر المؤلف فى النهاية أن القرآن تولى بصفة جوهرية وجهة النظر الأخلاقية ، وراح يقر فى هذا الصدد الشروط التى تتفق تماما مع المقتضيات المشروعة لأعظم الضمائر استنارة واهتماما بالعدالة ..

وفى الفصل الثالث ، بحث المؤلف فكرة الجزاء فالعلاقة بين الانسان والقانون تتمثل لأعيننا فى شكل حركة اقبال وإدبار ، مكونة من (ثلاثة أزمنة ، ولقد كنا مع فكرة الالزام ما نزال فى نقطة البداية ، ولكننا مع فكرة الجزاء نجد أن دائرة هذه العلاقة الجدلية سوف تقفل ، والجزاء هو رد فعل القانون على موقف الاشخاص الخاضعين لهذا القانون الذى هو مطلب لا يقاوم لأنفسنا وفرض صارم لضميرنا الجماعى وهو فى الوقت

نفســه أمر مقدس لضــمير الفرد فى اكمل صورة واقدسها .

ثم عرض المؤلف للميادين الثلاثة للجزاء ، الجزاء الأخلاقى ــ الجزاء القانوني ــ الجزاء الإلهى وعلى حين أن الجزاء الأخلاقى والجزاء القانونى بطبيعتهما ، لا يؤثر كل منهما مباشرة الا على عنصر مختلف من الشخص : الحاســة أو الضــمير فان مما يميز الجزاء الإلهى هو انه يجب أن ، يكون كليا وكاملا،إن رحابة الفكرة القرآنية عن الجزاء أمر بدهى ، انها ليست نزعات خاصة لانســان ، ولا آراء شخصية لفيلسوف ، ولا رأيا شائعا فى عصر أى عصر ، ســواء كان معاصرا للاسلام أم سابقا عليه أم لاحقا به ولما كانت هــذه النظرية شـــاملة بفضل غايتهــــا ، ارادت أن تكون كذلك شاملة بفضل منهجا ، ومن ثم ــ كما يقول المؤلف ــ فان ما تركه الحكماء الأقدمون منــذ سقراط ، وما كتبه فلاسفة العصــر الحديث حتى (كانت) ، وما جــاء به القديسون والأنبياء منذ بدء الزمن حتى موسى وعيسى ــ كل مذهب من هذه المذاهب ، لا بد أن يجــد فى النظرية القرآنية احدى الصيغ التى يوافق عليها .

وفي الفصــل الرابع بحث المؤلف « النية والدوافع » فالنيـــة بالمعنى الواســـع للكلمة ، حركـــة تنزع بها الارادة نحــو شىء معين ، ســـواء لتحقيقه أو لاحرازه ، وتطلق كلمـــة (غاية) أو (هــدف) عــلى ذلك الموضوع البعيد من حيث هو حقيقة مســتقبلة يتعين الســعى وراءهـــا وبلوغها ، ولكنه من حيث هو مبدأ أو فكرة تحفز النشاط الارادى ، وتمهــد له ، يطلق عليه (باعث) أو (دافع) وباعتبار أنها « باعث تصور » فكرة الخير الأسمى حــالة عقلية صــرفة تستخدم فى تسويغ العمــل المعتزم وجعله معقولا ، لكن حين نتجاوز هذه المرحلة العقلية نجد أن فكرة الهــدف تتمثل لنا كقوة محركة تدفع نشاطنا ، وحين ننظر اليها من وجهة هذا التأثير على الارادة ، فاننا نطلق عليها اسم الدافع ويقرر المؤلف أن فكرة القصد أو النية فى كلتا الحالتين ــ ولانهــا تتصل بواجب عمل ــ ينبغى أن تنطوى هنا على ثلاثة عناصــر تكوينية وقد بحثها المؤلف بحثا تفصيليا دقيقا ، وهى تصور المرء لما يعمله ، ارادة إحداثه ، ثم ارادته بالتحديد على انه شىء مأمور به أو مفروض .

وفى الفصــل الخــامس ، بحث المؤلف (الجهد) ومفهوم الجهــــد لا يتحدد بواسطة العمل بعامة ، بل بالعمل المؤثر الفعال بخاصة ، الذى موضوعه مقاومة قوة ، أو قهر مقاومة وهو تعريف متوافق ابتداء مع المعنى المادى ، ولكنه يجب أن يتوافق أيضا مع المعنى الأخــلاقى ، والتماثل بين المجالين واضح جلى فعلى صــعيد الابداع الخير ، يصادف الفكر غالبا فى الموضوع ، وفى نفسه ــ عقبتين ينبغى أن يتخطاهما : خمود المــادة التى يجب تحويلها ونقص الهمة فى الارادة الفاعلة والأمر كذلك عنــدما يجب الامتناع عن الشر ، فى مواجهة القوى التى تدفعنا اليه ، ففى هــذه الحالات جميعا لا يكفى أن (نفعل) بل يجب أن نجاهد بقوة واصرار ..

ثم عرض المؤلف بعــد ذلك للجهــــد البدنى وهو فى الاسلام لا يمكن ان تكون له قيمة منفصلة عن مضمونه ، فاذا كانت هناك أخلاق ترى فى الألم النازل بأجسادنا ، من حيث هو قيمة

البقية ص ١٠٢

قصة من الواقع

وليمة أصفهانية

للواء الركن محمود شيت خطاب

— ١ —

كانا صديقين حميمين ، أحدهما تاجر من طهران والآخر تاجر من اصفهان ربطت بينهما المعاملات التجارية المادية ، فكان كل واحد منهما يشهد لصاحبه بالاستقامة فى المعاملة المادية .

وفى يوم من الأيام ، اتفقا أن يزورا معا الديار المقدسة والمسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة ويؤديا فريضة الحج ، ويعودا معا إلى بلادهما : لا يفترقان ويتعاونان على البر والتقوى ، ويشد احدهما عضد أخيه ويعينه على تحمل مشقات السفر الصعب الطويل .

ولم تكن فى تلك الأيام سيارات وقطارات وطائرات تقطع المسافات الشاسعة بوقت قصير ، وتجعل السفر الشاق مريحا ، بل كانت الخيل والجمال والحمير والبغال هى وسائط النقل للموسرين ، وكانت الأقدام هى الوسيلة الوحيدة لتنقل المعسرين .

وكان فى كل بلد اسلامى رئيس قافلة معتمد ، وكانت القوافل من شتى البلدان الاسلامية ، ومعها حرس خاص من الجنود النظاميين او من الجنود غير النظاميين ، لحماية القوافل المتوجهة الى الديار المقدسة والعائدة منها ، وكانت الطرق محفوفة يومذاك بالأخطار ، مهددة بقطاع الطرق واللصوص ، وقصد الصديقان رئيس قافلة مشهورا بشجاعته

واماتته ، فضمن لهما حمايتهما حتى يعودا سالمين الى بلادهما بعد اداء فريضة الحج ، وضمن لهما حملهما على دوابه ذهابا وإيابا .

وكان يوم خروج قوافل الحجاج من البلدان الاسلامية يوما مشهودا تعطل فيه المدارس والأعمال ، ويتجمع الناس لوداع الحجاج ، وتشارك الحكومة في احتفالات التوديع وتدق الطبول وتصهل الخيول ، ويوزع المال والطعام على الفقراء والمحتاجين ، ويتعالى التكبير والتهليل .

وكما كان يوم خروج القوافل من البلدان الاسلامية يوما مشهودا ، كذلك كان يوم عودتها ، مع فارق بسيط هـو أن التوديـع تتخلله بعض العبرات ، والاستقبال تتخلله الزغاريد .

وقدم الاصفهاني الى طهران ، وانضم الى قافلتهما مع صاحبـه الطهراني ، وخرجت القافلة مودعة باحتفال مهيب ، واتجهت من مرحلة الى أخرى سالكة الطريق البرى : طهـران ــ خانقين ــ بغداد ــ النجف ــ جميجمة ــ حائل ــ المدينة المنورة ــ جدة ــ مكة المكرمة ــ عرفات .

وكان هذا الطريق البرى الذى كان ولا يزال يسمى طريق الست زبيدة ــ زوجة هرون الرشيد ــ عامرا بالخانات والبيوت وأحواض الماء ومراكز الشرطة ، وكان أقرب الطرق المؤدية الى الديار المقدسة لحجاج العـراق والخليج العربى والمشرق الاسلامى .

ــ ٢ ــ

لم تخل رحلة الصديقين من منغصات ، فقد اصيب احدهما بالمرض حتى اشرف على الموت ، وتعرضت القافلة لهجمات اللصوص وقطاع الطرق ، وحدثت مشاكل يومية مع المسافرين والمسئولين عن القافلة ، فكان احدهما يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، بذل كل واحد منهما أقصى جهده بكل اخلاص لمعاونة صاحبه .

والصداقة تقوى وتشتد فى أيام الشدة والعسر ، أكثر مما تقـوى وتشتد فى أيام الرخاء واليسر ، وهكذا توطدت صداقتهما واصبحت راسخة الأركـــان .

ورفقة الحجاج تؤدى الى صداقة لا تنسى ، فكل مودة لله تصفو .

وكان أحدهما يقول لصاحبه : كيف استطيع فراقك بعد العودة الى الوطن ، فاسكن بلدا وتسكن بلدا ؟

وتعاهد الصديقان فى البيت الحرام ، ان يتزاورا باستمرار ، والا ينسى أحدهما الآخر ، بعد العودة الى الوطن .

وعادت قافلتهما من الديار المقدسة ، بعد ان صادف افرادها الأهوال فى الطريق ، وكان قد مضى على خروجها عام كامل .

وسارع الأصفهانى بعد وصول قافلته الى طهران بالسفر الى بلده ، فقد كان بشوق غامر الى أهله وذويه .

وودعه صاحبه الطهرانى ، وسار معه الى مشارف المدينة وذكـره

بوعده الذي قطعه على نفسه في البيت العتيق أن يزور صديقه في طهران بأسرع وقت وأقرب فرصة .

ووصل الى مدينة أصفهان ، وأمضى مع أهله ثلاثة أشهر وكأنهـا ثلاث سنين فقد كان على أحر من الجمر شوقا الى صاحبه الطهراني ورتب أمور متجره ، وقضى ما عليه من حقوق ، ثم يمم شطر طهران .

وكانت الحياة حينذاك سهلة بسيطة ولم تكن صعبة معقدة ، فقـد عقدت المدنية الحديثة الحياة ، وضاعفت متطلباتها الضرورية ، وكانت أكثر الضروريات اليوم لا يعرفها الناس ولا يعتبرونها ضرورية أو غير ضرورية ، وكان بإمكان الرجل أن يعمل أياما ليعيش برفاه وسعة شهورا ، لذلك عاد الاصفهاني الى طهران بعد ثلاثة أشهر من وصول أصفهان ، وكان في نيته أن يمكث في ضيافة صديقه الطهراني وقتا غير قصير .

— ٣ —

ولمح الطهراني صديقه الأصفهاني مقبلا ، فوثب لاستقباله مهرولا ، واخذه بالأحضان مقبلا .

وكان الطهراني في متجره ، يحاور أحد كبار التجار في صفقة كبيرة ، فاعتذر من ذلك التاجر قائلا : نؤجل الصفقة الى موعد آخر ، فقد شغلني عن الصفقات والبيع والشراء حضور صديق العمر .

وعمد الى متجره ، فاغلق ابوابه ، وقاد صديقه الى داره هاشا باشا مستبشرا فرحا ، مكررا عبارات الترحيب الحـــارة .

وفي الدار ، استضاف صديقه في غرفة نومه ، وصرف زوجته منها ، وجعل ذلك الصديق يرقد في سرير زوجته زيادة في الترحيب والاكرام .

وحين حل موعد الفداء ، وكان الطهراني قد حشد أصنافا من الطعام الفاخرة بما لا يقل عن عشرين صنفا ، وحشد نحو خمسين مدعوا من كرام الناس .

وكان يقدم صديقه الاصفهاني للمدعوين واصفا اياه بأنه صديق العمر، وان زيارته أمل العمر .

وكما فعل في وجبة الفداء ، فعل في وجبة العشاء ، ولم يذهب الى متجره في ذلك اليوم ، ملازما صديقه ملازمة الظل للانســـان السائر في الشمس .

وبالغ في اكرام ضيفه مبالغة نادرة : يصب الماء على يديه ويقترح عليه تبديل ثيابه ودخول الحمام ، ويتمنى على صديقه أن يطلب خدمة مـــن الخدمات .. الخ ..

ومضى اليوم الأول ، متجر الطهراني مغلق وأعماله معطلة ، وبيته يعج بالضيوف وأصناف الطعام ، وزوجته غاضبة ، وأهله منهكون ، وجميع أهل الدار يتمنون على الله أن يرحل عنهم هذا الضيف الثقيل .

ولما آوى الصديقان الى غرفة النوم ، ســـــأل الطهراني صاحبـــه الأصفهاني : لعلك رضيت عن وليمتي الفداء والعشاء .

وقال الاصفهانى : أن ولائمك ممتازة ، ولكنها ليست اصفهانية ..

وظن الطهرانى أن صاحبه لم يرض عن ولائمه فعزم فى نفسه أمرا .

حشد فى وليمة الغداء خمسين صنفا من أصناف الطعام الفاخر ، ودعا نحو مائة شخصية سياسية وعلمية .

وكرر هذا الحشد الضخم من الطعام والناس فى وليمة العشاء .

وبالغ فى اكرام ضيفه مبالغة لا توصف .

ولما آوى الصديقان الى غرفة النوم ، سال الطهرانى صاحبه الاصفهاني (لعلك رضيت عن ولائم اليوم) .

وقال الأصفهانى (ان ولائمك فاخرة ولكنها ليست اصفهانية) .

— ٤ —

وظن الطهرانى أن صاحبه لم يرض عن ولائمه منتقصا قدرها بقوله : (ليست اصفهانية) ، وكأنه لم يستطع أن يأتى بما يفعله الاصفهانيون فى ولائمهم .

وعزم أن يرضى صاحبه الاصفهانى فى ولائمه التى سيولمها فى اليوم الثالث من زيارة صديقه الحبيب .

وكان اليوم الثالث من أيام الضيافة يوما نادرا مشهودا من ايام طهران فى اقامة الولائم والبذخ فى أصناف الطعام وعدد المدعوين .

حشد فى وليمة الغداء والعشاء كل صنف من أصناف الطعام المعروفة فى طهران .

حشد لإعداد الولائم كل طباخ مشهور وغير مشهور فى طهران .

ودعا لتناول الطعام مع ضيفه كل سياسى وعالم ومفكر ووجيه حتى بلغ عدد المدعوين الف رجل أو يزيدون .

ولما آوى الصديقان الى غرفة النوم ليلا ، سال الطهرانى صاحبه الأصفهانى (كيف وجدت وليمتي اليوم ؟) .

وقال الأصفهانى (انها فذة حقا فاخرة حقا ، ولكنها ليست اصفهانية) .

وفى صباح اليوم التالى اسرج الاصفهانى بغلته وودع صديقه ، وسافر الى أصفهان .

وتنفس الطهرانى الصعداء فقد أنفق على ولائمه مبالغ ضخمة من المال وعطل متجره وفارق زوجته فى الفراش وتنفس الصعداء أهل الدار ، فقد كادوا يموتون من الاجهاد والإعياء . وقال الطهراني في توديع الاصفهانى (سازورك وشيكا فى أصفهان لأرى ولائمك الاصفهانية) .

— ٥ —

وبعد أيام معدودات سافر الطهرانى الى اصفهان ، وهو اشد ما يكون شوقا لرؤية الوليمة الاصفهانية كيف تكون . كان الاصفهانى فى متجره يبيع ويشترى حين وصل صديقه الطهرانى ، وكان يحاور تاجرا كبيرا لعقد صفقة تجارية ، فقام مرحبا بصاحبه ، ثم استانف محاورته مع التاجر الكبير .

وفى الساعة الثانية بعد الظهر ، وهو موعد اقفال المتجر ، نهض

الأصفهاني وأغلق متجره وقاد صديقه الى داره .

وفي الدار أدخله الى غرفة الضيوف ، ولم تكن الفنادق شائعة حينذاك ، وكان في كل دار كبيرة غرفة معدة للضيوف ، وكل غرفة من تلك الغرف تحوى العديد من سرائر النوم والأغطية .

وفي تلك الغرفة قال لصديقه (اختر لنفسك سريرا تنام عليه ، وساعود اليك بعد دقائق لتناول طعام الغداء) .

وعاد الأصفهاني ، وسأل أن يأتوهما بالغداء ، وكان الغداء بسيطا هو المتيسر في الدار من طعام .

وبعد تناول الطعام استأذن صاحبه قائلا له (سأذهب الى المتجر الساعة السادسة بعد الظهر كما أفعل كل يوم ، وسابقى هناك حتى الساعة الثامنة ، فان شئت رافقتني ، وان شئت أتيت وحدك ، وان شئت ذهبت الى المقهى ، وان شئت تجولت في البلد ، وان شئت بقيت في الدار .. انت حر) .

وفي الساعة الثامنة مساء عاد الأصفهاني الى الدار ، فطلب العشاء ، وكان بسيطا اعتياديا هو ما يقدم للأهل كل يوم .

وقدم الفطور للضيف في صباح اليوم التالي فتناوله الطهراني وحده في غرفة الضيوف وتناول الأصفهاني فطوره مع أهله .

وتكرر ذلك ثلاثة أيام طعام الفطور والغداء والعشاء اعتيادى بسيط ، والأصفهاني يذهب الى متجره صباحا ومساء كالمعتاد ، ولا احد في دار الأصفهاني يعرف بوجود الضيف وهويته لأن الأصفهاني لديه في كل يوم ضيوف يتناولون الطعام الاعتيادى الذى يتناوله أهله في الدار سواء بسواء .

كان كل شيء بالنسبة للأصفهاني طبيعيا عفويا غير متكلف ، ولكن لم يكن كل شيء بالنسبة للطهراني طبيعيا فقد كان يعلل نفسه كل يوم بوليمة اصفهانية ، وحين لا يجد تلك الوليمة التى طال شوقه اليها وانتظاره لها ، يختلق لنفسه المعاذير فيقول ربما أهله مرضى ربما ستكون الوليمة غدا ، ربما يتهيا لها الأصفهاني ويعد لها العدة . ربما .. ربما ..

ومرت بضعة أيام ، وطعام الفطور والغداء والعشاء اعتيادى جدا ، يقدم للضيوف ما يقدم لأهل الدار .

ونفد صبر الطهراني ، فقال لصديقه الأصفهاني (متى موعد الوليمة الأصفهانية ؟ لقد بذلت كل جهدى في الولائم الطهرانية ولكنك على ما يبدو فضلت عليها الولائم الأصفهانية وقد طال شوقى لرؤيتها وتذوقها ، فمتى احظى بوليمتك المرتقبة ؟) .

وضحك الأصفهاني حتى استلقى على قفاه وبعد ان سكت عنه ضحكه قال (ياصاحبى كل يوم في كل وجبة من وجبات الطعام ، تقدم اليك وليمة أصفهانية) .

لم أكن أقصد حين كنت اقول لك عن ولائمك بانها ليست وليمة اصفهانية .. ان ولائمك غير فخمة ولا فاخرة كنت اقصد انها ولائم متكلفة،

لاننا في اصفهان لا نتكلف لضيفنا .
انني حين قدمت طهران ضـــيفا عليــك ، عزمت على ان ابقى فى ضيافتك ثلاثة أشهر على الأقل .
ولكننى حين رأيت ولائمك المتكلفة وتصرفك المتكلف قطعت زيارتى بعد ثلاثة أيام رحمة بك وشفقة على عيالك .
وأنت اليوم اذا بقيت ضيفى ثلاثة أشهر أو ثلاث سنين ، فلن تكلفنى شيئا ولن يشعر بوجودك احد من أهلى .
ان أهلى سبع عشرة نسمة بين ذكور واناث ، ولن يزيد عليهم ضيف أو ضيفان أو ثلاثة ضيوف شيئا فى طعامهم أو شرابهم .
وحين أقدم اليك ما اقدمه لأهلى من طعام ، فقد رفعت اخوتك الى منزلة الولد والوالد والوالدة والزوج .
تلك هى الوليمة الأصفهانية .
إننا أمة الولائم ، نقضى فى اعدادها وقتا طويلا وننفق عليها المبالغ الجسيمة ، ونتحمل من اجلها ما لا نطيق ونحن على النطاق الاجماعـــى والفردى ، نسرف فى الولائم اسرافا لا مســوغ له ، على حســاب المال الذى يذهب بددا ، وعلى حساب الوقت الذى يذهب سدى .
ما ضرنا لو جعلنا ولائمنا أصفهانية لنوفر على أنفسنا المال والجهد ، وعلى أهلنا المشقة والتعب ، وعلينا وعلى الضيوف الوقت الثمين .
ما ضرنا لو أنفقنـــا المال الذى يبـــدد فى الولائم لاسعاد الفقـــراء والمحتاجين ، والوقت الذى ينفق فى اعدادها وشهودها فيما ينفع الناس .
لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلف لضيفه .
وحسبنا رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام قدوة حسنـــــة ومثالا شخصيـــا .
وحسبك اكراما للضيف أن تقدم له ماتقدم لأهلك .
إن الذين يسرفون فى تقديم الطعام للمتخمين الذين ليسوا بحاجـــة اليه ، هم غير كرماء .
إن الكريم حقا هو الذى يقدم الطعام للمحتاجين اليه والمحرومين منه ، فمتى نضع الأمور فى نصابها الصحيح ؟.
ان اطعام الاثرياء اسراف واطعام الفقراء كرم ، والكرم محمود ، والأسراف مذموم .
ومن المؤلم حقا ، ان الولائم الفاخرة من حظ الاغنياء ، اما الفقراء فليس لهم إلا الجوع .
فهل يمكن أن نصف الذين يولمون الولائم الفاخرة للاغنياء والمتخمين بانهم كرماء ؟ أم يجب أن نصفهم بصفات أخرى منها الاسراف .. والنفاق ؟ .

جديرة بأن تطلب لذاتها ، أو باعتبارها نظاما لنجاة النفس فان هذه ليست أخلاق القرآن على وجه التأكيد ذلك أن هذه الأخلاق لا ترى أن يبحث الانسان عن الألم البدنى صراحة فضلا عن أن تأمر به فهى قد فرقت تفرقة واضحة بين الجهد البدنى الذى يتضمنه واجب مقرر أو الذى يصحبه من وجه طبيعى ، وبين جهد مندوب هو ابداع خالص لهوى أنفسنا ، إن هذه الأخلاق ترفض هذا النوع الاخير من الجهد وتحرمه .

ثم يقرر المؤلف فى نهاية هذا البحث أنه لو افترضنا أن الانسانية سوف تبقى أبدا ، وانها سوف تغير ظروف حياتها الى ما لا نهاية فاننا نؤمل أن تجد فى القرآن — أنى توجهت — قاعدة لتنظيم نشاطها أخلاقيا ، ووسيلة لدفع جهدها ورحمة للضعفاء ، ومثلا أعلى للأقوياء .

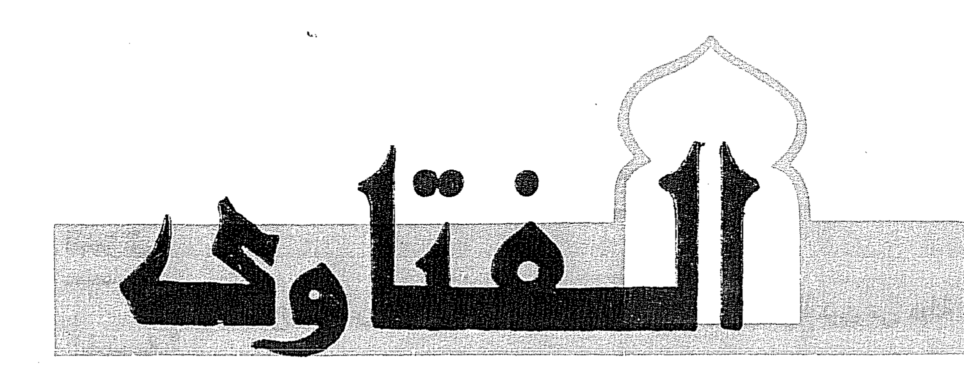
اذا كانت الفصول الخمسة التى سبقت قد عالجت الجانب النظرى فى الموضوع ، فإن المؤلف بالنسبة للجانب العملى اكتفى بتقديم نماذج قرآنية فى فصول خمسة أخرى سريعة عرض فيها : الأخلاق الفردية والأخلاق الأسرية والأخلاق الاجتماعية وأخلاق الدولة ، والأخلاق الدينية ، ثم بعد ذلك اجمال أمهات الفضائل الاسلامية التى يميز بها القرآن المسلم الحق ..

وبعد :

فقد حرصت على قراءة الكتاب أولا ، قبل قراءة : مقدمتى المراجع والمعرب ، ثم سألت نفسى : هل تجود الأيام بعقلية كعقلية المغفور له الدكتور دراز ؟ وهل كان أو سيكون فى مقدور غيره أن يقدم الى المكتبة الاسلامية دراسة كهذه ؟ وهل هناك سر جعل من هذه الدراسة دراسة على أعلى المستويات وأرفعها ؟ وأرجأت الاجابة عن السؤالين الأولين ، ووجدت الاجابة عن السؤال الثالث ، فى كلمة المعرب اذ يقول : (والحق أن المؤلف فيما أرى — لم يكن يكتب هذا العمل على أنه مجرد وسيلة الى هدف ، هو نيل اجازة دكتوراه الدولة فى الفلسفة من السوربون ، فقد كان بوسعه أن يحقق هدفه بأقل مما بذل من جهد ، ولكنه كان يحمل فى ضميره رسالة هذا الدين) .

واضيف : لقد أدى العالم الجليل واجبه وحسبه من العقوق لفكره العظيم ، أن ظل عمله الكبير فى انتظار التعريب زهاء ربع قرن ولست أدرى بعد انجاز المهمة الصعبة ان كانت جامعاتنا الاسلامية وفى مقدمتها جامعة الأزهر سيقدر لها أن تفيد من هذه الدراسة المقارنة أم أن العقوق الذى رافق النص الفرنسى سوف يشمل النص العربى أيضا ؟

وكلمة إنصاف لا بد منها الحق : ان الدكتور عبد الصبور شاهين الذى قام بمهمة الترجمة ، لم يقم بعمله كما يقوم بأعمالهم سائر المترجمين وإنما بذل جهدا واضح الأثر فى الدراسة ، ولقد عايش النص بعقله ووجدانه واقتنع بالعمل العظيم ، لذلك جاء جهده مشكورا ، وجديرا بكل تقدير ؟



الحراس وصلاة الجمعة

السؤال :

أنا حارس من حراس الأسواق ، وفى يوم الجمعة لا أتمكن من صلاة الجمعة لأن طبيعة عملى تقتضى المرور بصفة مستمرة على المحلات ، فهل يعد هذا عذرا شرعيا يسقط عنى صلاة الجمعة ؟

الإجابة :

اذا تعارضت حراسة المتاجر مع صلاة الجمعة سقط وجوبها عنك ، وعليك أن تصلى الظهر بدلا منها .

الميراث

السؤال :

توفى رجل عن زوجة واخت شقيقه وعمين وابن عم ، وليس له أولاد فما نصيب كل منهم ؟

الإجابة :

للزوجة الربع فرضا وللأخت النصف فرضا ، والباقى لعميه ان كانا شقيقين أو لأب أما اذا كان أحدهما شقيقا والآخر لأب فللشقيق الباقى ولا شىء للأخ لأب ، ولا لابن العم لحجبهما بالأخ الشقيق .

السؤال :

توفى رجل وترك بنتا وبنات أخت وبنات اخ فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث ؟

الإجابة :

البنت تأخذ النصف فرضا ، وتأخذ النصف الباقى ردا ، ولا شىء لبنات الأخ ولا لبنات الأخت لأنهن من ذوى الأرحام .

خروج الخطيب مع خطيبته

السؤال :

ما حكم الشرع فى خروج الخطيب مع خطيبته للتنزه وما حكم الدين فى دبلة الخطوبة ؟

الإجابة :

خروج الخطيب مع خطيبته من غير أن يكون معها محرم حرام شرعا ، لما يترتب عليه من الخلوة التى نهى عنها الشرع ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والخلوة بالنساء » ، أما دبلة الخطوبة فإذا كانت من الذهب حرمت على الرجل دون المرأة ، وإذا لم تكن من الذهب حل للرجل لبسها .

الدعاء بعد التشهد الأخير وقبل السلام

السؤال :

ماهى الأدعية والأذكار التى يستحب للمصلى أن يدعو بها بعد التشهد الأخير وقبل السلام ، وماهى الأذكار التى يستحب له أن يقولها بعد السلام ؟

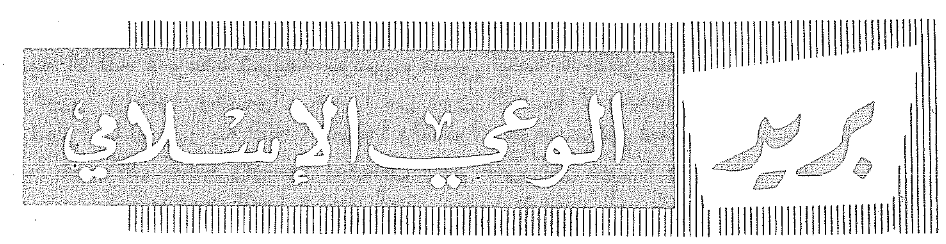
الإجابة :

يستحب للمصلى أن يدعو بعد التشهد الأخير وقبل السلام بما شاء من خيرى الدنيا والآخرة فعن عبد الله بن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد الأخير ثم قال فى آخره : ثم لنختر من المسألة ما نشاء ، والدعاء بأى لفظ مستحب مطلقا إلا أن الدعاء بالوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل ، ومن الأدعية الواردة ما روته عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة الرجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، اللهم إنى أعوذ بك من المأثم والمغرم » .

وعن على رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام الى الصلاة يكون آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : « اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت » .

ومن الأذكار والأدعية الواردة بعد السلام ما رواه ثوبان رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثا ثم قال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت ياذا الجلال والإكرام » .

ومنها ما رواه عبد الله بن الزبير قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم فى دبر كل صلاة يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا نعبد إلا إياه ، أهل النعمة والفضل والثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » .



اعـــداد : عبد الحميد رياض

إن الدين عنـــد الله الإسلام

يقول الله تعالى : ((إن الدين عند الله الإسلام)) فما المراد من هذه الآية وما موقف الإسلام من الأديان السابقة ؟.

حاتم ابو داود ـــ الأردن

المفهوم من الآية الكريمة ((إن الدين عنـــد الله الإسلام)) أن جميـــع أهـــل الأديان السابقة على الاسلام مدعوون الى الإسلام ، فهو دين الله الحق وكل من حاد عن هذا الطريق مبتغيا عقيـــدة أخرى أو منهجا آخر أو متصورا الهداية فى غيره أو متخذا خطا يعتقـــد أن الاهتداء فيه ، لا شك انه قد جانب الهـــداية وترك الجادة وسار بخطى واسعة الى الضلال والجاهلية ووضـع نفســـه فى حيرة لا تنتهى الى صواب .. فالدين الذى ارتضاه الله لعبـــاده وفيه جمـــاع الخير وبه خلاص النفوس من الزيغ والهوى والالتواء ، وبه ينال الإنســـان خيرى الدنيا والآخرة هو الاسلام وذلك لأمر الله الذى لا يتخلف ولا يتبدل ، ولقراره الفاصل فى هذه القضية الإيمانية وحتى لا يكون هناك مجـــال لتخمين قوله تعالى : **((ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه))** .

ومن يبتغ غير الاسلام وهو الاستسلام والطاعة لأمر الله والاتبـــاع لنبيه فليس بمسلم يعنى كان ، فعبادته مردودة عليه مضروب بها وجهه .

ولذلك يوحى الله الى رسوله : **((فان حاجوك فقلت أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أســلموا فقد اهتـــدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعـباد))** .

والإسلام ما جاء أبدا ليقول إن الأديان السابقة كاذبة أو كانت من خيال السابقين وأنها غير مؤيدة من الســـماء أبدا ما جاء الإسلام ليقول ذلك ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ عن الله الاسلام للناس ما ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى يعلم أن الله أنزل التوراة على موسى والإنجيـــل على عيسى وهو الله الذى أنزل القرآن ، وكل هذه الكتب السماوية المنزلة علـــى الأنبياء تستهدف غاية واحدة هى هداية البشر وتنشد هدفا واحدا هو إثبات وحدانية الله وتخليص النفوس من شوائب الشرك بالله ، وجاء الاسلام على هذا النهج ، ولكن الأولين من أهل الكتاب حادوا فقالت اليهود عزير ابن اللـــه ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، وكذلك اتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا من دون الله **((اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله))** .

ومن هنا يتضح موقف الاسلام من اليهودية المؤلهة للعزير ، والمســـيحية المؤلهة لعيسى ابن مريم ، فالإسلام دين التوحيـــد الخالص ، ولا مكان لعبوديـــة

فيه إلا لله ، وهذه شريعة موسى وعيسى أيضا ، ولكن القوم من بعدهما بدلوا وغيروا وأحلوا وحرموا وعبدوا من دون الله ما لا ينفعهم شيئا ولا يضرهم ، وفعلوا ما لم يأمر به الله ، فضلوا وأضلوا وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فما هم بأهل كتاب وليسوا بمؤمنين وهم على غير دين ، ولو كانوا أهل كتاب أو دين كما يدعون للبوا دعوة الحق عندما يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم فيتولون معرضين في غرور واستعلاء ((**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**)) ((**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**)) هذا هو موقف الاسلام من كل الأديان السابقة عليه وموقفه من كل من يتخذ لنفسه منهجا يخالفه وهديا غير هديه .

الطواف حول الكعبة والوقوف بعرفة

أرجو أن توضحوا لي حكمة الطواف حول الكعبة المشرفة والوقوف بعرفة ؟
عبد الله الخطيب ـ سوريا

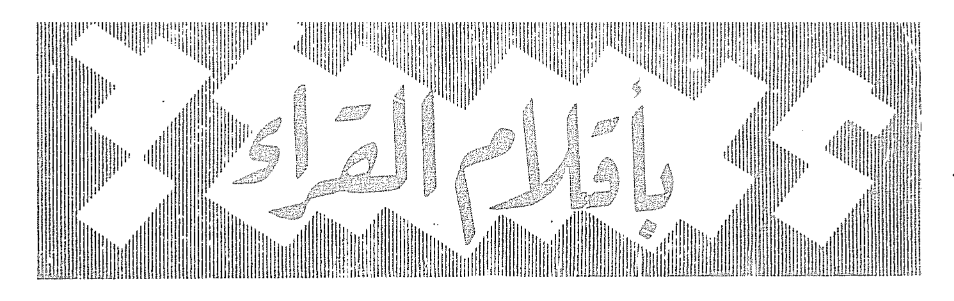
لما كانت منزلة البيت الحرام من الاجلال والتعظيم لا تفوقها منزلة ، ولما كان البيت الحرام قد أقيم في أشرف بقعة من الأرض ، وكان أول بيت وضع لتمجيد الخالق سبحانه وتوحيده ((**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا**)) .

شرع الله له التحية المشعرة بإجلاله واحترامه ، وهذه التحية هي الطواف حوله .. هذا بالاضافة الى فعل الرسول الثابت وطوافه حول الكعبة وأمره المسلمين بذلك .

ومعلوم أن البيت حجر لا يضر ولا ينفع غاية الأمر أننا نعظمه تعظيما لأمر الله عز وجل ، وكل ما يذكر عند الطواف إنما هو تعظيم لله واقرار له بالوحدانية وتسليم له بالربوبية وتنزيه عن الشرك والشركاء .

وكذلك الوقوف بعرفة إنما هو اقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو كذلك سنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وشعارا بفضله يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ((أفضل ما قلت وقالت الأنبياء قبلي عشية يوم عرفة لا إله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير)) .

ومهما قيل حول مشروعية هذه المناسك وحول استنباط الأسباب والدوافع والحث على أدائها ، فالقول الفصل في هذا أنها أمور تعبدية ، تعبدنا الشارع الحكيم بها نؤديها طاعة لله وامتثالا لأمره وتعظيما لشعائره .



التصـــــوف

يقول ابن خلدون : انه من العلوم الشرعية وأصله العكوف علـى العبادة والانقطاع الى الله والاعراض عن زخرف الدنيا اتباعا لسلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ويقول التشتورى (التصوف ليس رسما ولا علما ولكنه خلق لأنه لو كان رسما لحصل بالمجاهدة ولو كان علما لحصل بالتعليم ولكنه تخلق بأخلاق الله ولن تستطيع أن تقبل على الأخلاق الإلهية بعلم ولا برسم) .

وقال بعض المعاصرين أن التصوف هو علم الأخلاق وعلم النفس والقول بأن التصوف هو الخلق انما يجعل منه علما للأخلاق ولكنه مع هذا أشد ما يكون حاجة الى علم النفس التى تصدر عنه هذه الأخلاق ولقد ظن البعض أن مـن اهداف الصوفية الابتعاد عن الدنيا وطيباتها كما ظنوا أيضا أن الصوفية انصراف عـن الدنيا ونسيان أن الدنيا مزرعة للآخرة .

ولكن صفوة الصوفية قالوا بأن التعب فى طلب العيش يكفر ذنوبا لا يكفرها صوم ولا صلاة ولا حج وردوا ذلك الى أعمال النبى صلى الله عليه وسلم وكيف أنه كان قدوة طيبة للانسان العامل فقد كان يشتغل بالتجارة ولم يصرفه ذلك عن استخلاص نفسه والتوجه نحو الخالق بالعبادة والصلاة دون أن يعتكف فى مكان ضيق من الأرض .

ولقد رسم الصوفية الطريق الأولى للوصول الى الله سبحانه وتعالى ولا بد للمريد من أن يجتاز أعتابها والعتبة الأولى التوبة وهى الشعور بالخطيئة والعزم الأكيد على الإقلاع عنها وبالتوبة تتفتح البصيرة وينشرح الصدر والعتبة الثانية أخذ العهد وهو رباط وثيق بين المتعاقدين على طاعة الله وتزكية النفس مما علق عليها من الطمع والغرور ووسوسة الشيطان .

والعتبة الثالثة الورع وهو مقام الانصراف عن اللذات الشهوانية والتزام الطيب من القول والحلال من الرزق والقناعة .

والعتبة الرابعة الخوف : والخوف ينبعث من الورع والبعد عن مانهى الله عنه وامتثال أوامر الله تبارك وتعالى ، والخوف يسوق صاحبه الى المواظبة على العلم والعمل وهو الذى يكف الجوارح عن المعاصى ويقيدها بالطاعات .

والعتبة الخامسة : الخلوة وهى بمثابة المحراب لمريد الصلاة وقد تطهر من الأدناس وأقبل على ربه تائبا يرجو رحمته ويخشى عذابه .

والعتبة السادسة : الزهد وهو انصراف الهمة الى الله وتخلى القلب عن الدنيا واحتقار ما فيها من طعام ، وليس الزهد أن يترك الدنيا وهى فى قلبه بل الزهد أن يتركها من قلبه وهى فى يده ، وليس الزهد الانقطاع فى الصوامع والمساجد فالله سبحانه وتعالى يناجى فى الحقل ويناجى فى المصنعوالمتجر وفى كل مكان .

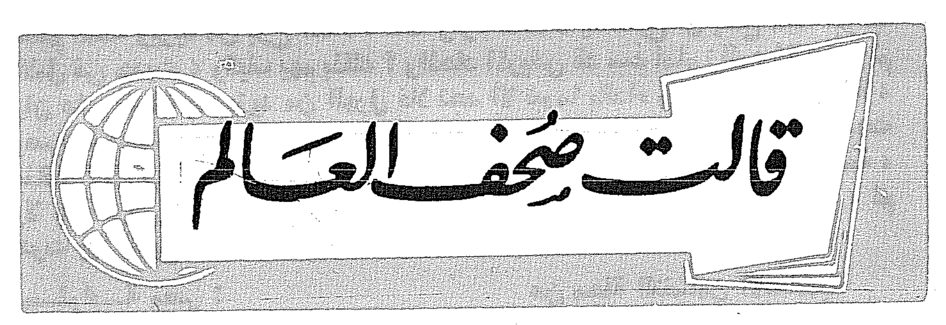
وهناك عتبات أخرى كالصبر والرضا والمراقبة والتوكل وذكر الله .

بهذه العتبات تصل نفس المؤمن بما غرس فيها من تلك الفضائل الى مراحل العبودية ثم مرحلة الحب الإلهى ويزداد الحب كلما ازداد الايمان وعلى مقدار الحب تكون السعادة ويكون النعيم .

والتصوف الحق هو طريق الاسلام لأنه طريق الأولياء والصالحين الذين قال الله عنهم (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال (ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) ومن أخلاق المتصوفة : التواضع وعدم التكبر وقال الجنيد فى ذلك التواضع و (خفض الجناح ولين الجانب) كما أن من أخلاقهم الحب والايثار والنجدة وقد شرح شاب صوفى لأبى يزيد البسطامى حد الايثار عند الصوفية بقوله (اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا) وقال ابوحفص الصوفى (الإيثار هو أن يقدم حظوظ الاخوان على حظوظه فى أمر الدنيا والآخرة كما أن من اخلاقهم أيضا تلبية النداء ومعاونة الأخ لأخيه لا لغرض وإنما لوجه الله).

فالصوفية هى طريق الله الى الحب الى خلق مجتمع انسانى متعاطف متعاون مجتمع تسوده المحبة والتعاطف مجتمع يؤمن بالتكافل الاجتماعى ويؤمن بالأخلاق ، الأخلاق التى هى عماد المجتمع ، الاخلاق التى هى طريق الوصول الى مجتمع انسانى نظيف ، ان الاخلاق الصوفية دعوة الى مجتمع شعاره الحب والتواضع والإيثار والمساواة والمجتمع الذى يتصف أبناؤه بهذه الصفات انما يكون مجتمعا طيبا يؤتى أطيب الثمرات ويعود على أبنائه بالخير .

فالتصوف وسيلة الى البناء والتعمير وسيلة الى تحقيق مجمتع مثالى والتصوف مدرسة لتربية العادات الطيبة وثورة على العادات البالية والصفات الكريهة التى تضعف من الايمان وتنشر الفرقة والانقسام ان التصوف ثورة على الفساد ودعوة الى الحق والعدالة ومتى تمسك المسلمون باخلاق السلف الصالح ومتى آمنوا وصدقوا وراقبوا الله نجحوا فى حياتهم وآخرتهم وانتصروا على أعدائهم ، لقدانتصر المسلمون الأولون وعددهم قليل على الجماعات الكافرة التى جاءت من كل مكان ، ولكن الايمان ينتصر ، وكتب الله أن النصر لمن أطاعه وأن الهزيمة لمن بعد عن الصراط السوى وفقنا الله جميعا لما يحبه ويرضاه وهدانا طريق الخير طريق الحب .



الايحـــاء الـــدينى :

للايحاء الدينى اثره الهام فى تقوية النفوس الضعيفة ، ورفع الروح المعنوية فى الشعوب والأفراد ، لأن المتدين المؤمن الذى يركن فى جميع أموره الى قوة كبرى مسيطرة على الكون تجرى كل شىء وفق قانون عادل رحيم ، وقد يخفى علينا فى بعض الأحوال البعيدة ، ولكن عدله لا يخطىء ورحمته لا تنقطع ، هذا المؤمن المتدين يجد سلواه المطمئنة فى اللجوء الى الله رافعا أكف الضراعة اذا حزبه الخطب فتتسع أمامه منادح الأمل ويثق فى غده المقبل ، وثوق من يعتقد أنه يأوى الى ركن شديد .

تصور شخصين داهمهما المرض المفاجىء ، فناما على سريرين فى حجـرة واحدة ، بمستشفى عام واحدهما يؤمن باسلامه ويثق فى ربه ، ويراه عونه فى الشدائد وعدته فى النائبات ، وثانيهما اضله الله على علم فانحرف الى الالحاد وكفر بوجود خالق يرعاه ويكلؤه ، تصور هذين المريضين وقد نزل بهما المرض نزولا خطيرا لاحت نذره ، وابرقت دواهيه ، وتصور ما يجول فى خاطريهما معا ، فانك ستعرف أن المريض المؤمن له أمل فى السماء يشرق عليه بالأمن فهو يعتقد أن العلة مهما اعضلت ، وان الداء مهما تفاقم فان قدرة الله عز وجل كفيلة بان تحطم كل عائق ، وكما احيا الله الميت دون ان يعجزه شىء فى السموات والأرض فهو قدير على أن يبدد العلة تبديدا وان يسطع فجر العافية بعد ظلمات المرض واذ ذاك تشرق الابتسامة على وجهه ، ويفىء الرضا الى نفسه ، فاذا عاده عائد يشاركه شعوره الدينى وجده يحدثه بما يجول فى خاطره ، فاذا التفت الـى أقاربه المجتمعين حول سريره ، وجدهم جميعا يؤكدون له ما يعلمه من رعاية الله وقدرته فهو لطيف بعباده ، يرعى برحمته الدودة فى الصخرة والنملة فـى الجحر ، اذ وسعت رحمته كل شىء ، فكيف لا يسعف مؤمنا يلتجىء اليه ضارعا فى ماساته وهو نعم المولى ونعم النصير ، هذا الجو المؤمن المتعطر باريج الأمل يمد المريض بقوة ترتفع به فوق الألم حتى اذا تم الشفاء رجع الى اهله مغتبطا بايمانه ، فاذا كانت الآخرة وتحقق وشوك نهايته ازداد طعمه فى جنة ربه ، وعرف انه غفار وهاب يقول فى محكم كتابه : (قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) .

أما المريض الآخر فتشتد به العلة وتحيط به الكارثة ، ثم لا يدرى الى من يلتجىء ويتجه ، فيتجهم له الناس ، وتنخفض قواه المعنوية انخفاضا يساعد على

تفاقم العلة ويزيد من برح الداء ، فاذا زاره عائد لا يستطيع أن يفتح معه أبواب الأمل فى حديث ، وكيف يهم بذلك ؟ والحاد المريض قد سد أمام زائره المنافذ ، ثم ران على نفسه بما يزيد من الهول فلا تجد الا تبرما بالداء ويأسا من النجـــاة ، وصراخا حاقدا متضرما لا يملس برد العزاء ، فاذا تحقق المريض منهم نهايته ، سدت منافذ الأمل فى وجهه ، واعتقد ان القبر حفرته النهائية فلا حياة قادمة مستانفة ، ولا جنة ترجى بسعادة ورضوان ، ان هو إلاصخرة تفتتت ذرات متضائلة ، ثم هوت بها الريح الى حيث لا التئام .

عن مجلة التضامن الاسلامية

مسئوليـــة مصر :

ان مسئوليتك يا مصر أوسع وأعظم من تادية رسالة الأدب وخدمة لغة العرب ، وما تجودين على الاقطار العربية الشقيقة برشحات الثقافة الأوربية وفتات المدنية الغربية ، انك بين آسيا وأوربا فانت ملتقى الثقافتين ومجمع البحرين انك وسط بين مهد الاسلام ومشرق نوره ، وبين مولد الحضارة الغربية ومبعث العلوم العصرية ، فعليك مسئولية القارتين ، وعندك رسالة الثقافتين .

فاما مسؤولية آسيا والأقطار العربية فلا تخرجين منها يا مصر حتى تكونى قنطرة تعبر عليها الى البلاد العربية تجارب أوربا وعلومها ونشاطها وكدحها فى الحياة وجهادها للبقاء ، هنالك تقومين برسالتك ووظيفتك لهذه البلاد العزيزة ، التى ترتبطين بها برابطة دينية وروحية وثقافية وسياسية .

واما مسؤولية أوربا فلا تخرجين منها حتى تبلغى رسالة الجزيرة العربية — وهى الاسلام الذى احتضنته من زمان — الى أوربا وحل المشاكل التى أعيت كبار المفكرين وأتعبت عظاء المشرعين ، وبذلك تؤدين واجبك المقدس نحو هذه القارة الأوربية التى استوردت منها شيئا كثيرا من العلم والمصنوعات والمنتجات ونظمت عليها مدنيتك وحياتك تنظيما جديدا ، وتحسنين اليها أكثر مما احسنت اليك وتصدرين اليها افضل مما صدرت اليك .

عن صحيفة الرائد الهندية

ديننـــا :

ان الدين بالنسبة لنا نحن المسلمين ليس ضمانا للآخرة فحسب انه اضحى سياج دنيانا وكهف بقائنا .

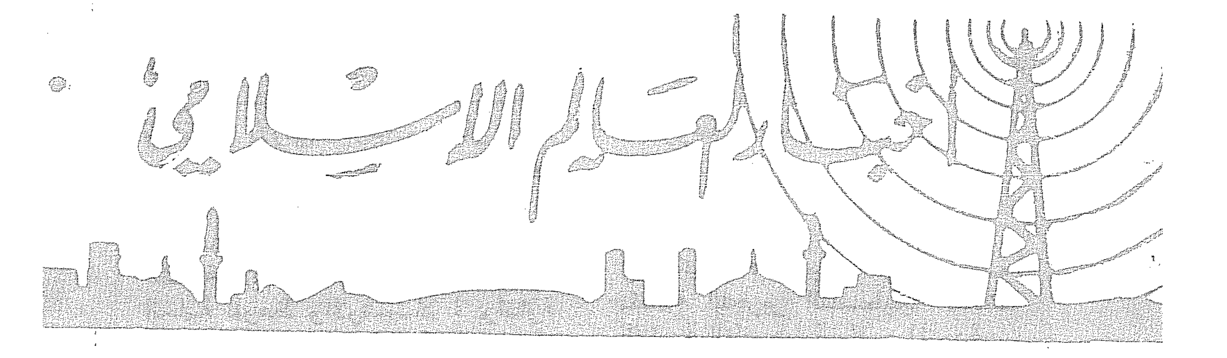
ومن ثم فانى انظر الى المستهينين بالدين فى هذه الايام على انهم يرتكبون جريمة الخيانة العظمى انهم دروا او لم يدروا يساعدون الصهيونية والاستعمار على بلدنا وشرفنا ويومنا وغدنا .. !!

فارق خطير بين عرب الأمس وعرب اليوم .

الاولون لما اخطاوا عرفوا طريق التوبة ، فاصلحوا شانهم ، واستانفوا كفاحهم ، وطردوا عدوهم ..

اما عرب اليوم فان الاستعمار الثقافى احدث تخربا شديدا فى ضمائرهم وافكارهم ، وربما رايت الواحد منهم يبلغ الاربعين او الخمسين من عمره ولا يعرف كيف يصلى اما حصيلته من سائر المعارف الاسلامية فتتذبذب عند درجة الصفـــر ..

عن صحيفة النور المغربية



اعداد الأستاذ : فهمى الامام

الكـــويت :

● يستقبل سمو أمير البلاد المعظم صبيحة يوم عيد الفطر المبارك وفود المهنئين بالعيد .

● سيقوم سمو أمير البلاد المعظـم بزيارة رسمية لجمهورية مصر العربية تستغرق عدة أيام تعقبها زيارة خاصة لمدة سبعة أيام .

● يرأس سمو أمير البلاد المعظم وفد الكويت الى مؤتمر القمة العربى الذى سيعقد فى الرباط يوم ٢٦ أكتـــوبر الحالى .

● صرح معالى وزير الدولة السـيد عبد العزيز حسين بأن تشكيل كتلة غربية ضد البلدان المنتجة للبترول لن يكون ذا فائدة فى حل أزمة الطاقة .

● أعلن رئيـس الأركان للقـوات المسلحة أن القوات الكويتية ستكون على أهبة الاستعداد اذا ما نشبت معركة جديدة ، وحـذر سيادته من أساليب الدعاية الاستعمارية .

● سيزور الكـويت الشـيخ مجيب الرحمن رئيس وزراء بنغلاديش على رأس وفد رسمى ، وستتم الزيارة خلال الشهر القادم .

● منح الصندوق العربى للتنميـة الاقتصـادية والاجتماعية قرضـا للصومال قيمته ٥ر٧ مليون دولار .

● شاركت الكويت فى احتفالات عيد النصر بجمهورية مصر العربية عـن طـريق وفد مجلس الأمـة وبعض العسكريين .

● القى معالى الشيخ صباح الاحمـد الجابر وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة كلمة الكويت أمام الجمعيـة العامة للأمم المتحدة يوم ٩/٣٠ الماضى وكرس سعادة الوزير الجزء الأكبر من كلمته للحديث عن قضية فلسطين وعن الاجرام الصهيونى .

● عقدت اللجنة الدائمة للمعـونات الاسلامية الخارجية اجتماعا برئاسة معالى وزير الأوقاف والشـئون الاسـلامية ، ونظـرت فى عدد من طلبات المساعدة .

● قررت وزارة الأوقاف والشـئون الاسلامية طباعة المحـاضرات التى القاها البروفسور خورشيد أحمـد خلال شهر رمضان باللغة الانكليزية .

مصـــــر :

● احتفلت جمهورية مصر العربيـــة على المستوى الرسمى والشـــعبى بالذكرى الأولى لحرب رمضان ... وقد شارك فى الاحتفال وفود رسمية من البلاد العربية .

● صدر قرار بانشاء وكالة لشئون الثقافة الاسلامية تشرف على الادارة العامة للوعظ والارشـــاد ، وادارة الثقافة والنشر ، وادارة البعـــوث والعلاقات الخارجية .

● جرت فى القاهرة مسابقة فى حفظ القرآن الكريم بين طلاب الجامعات المصرية وجامعة الأزهر .. ووزعت الجوائز على الفائزين .

● تقرر تشغيل ثلاث بواخر مصرية لنقل ٢٤ ألف حاج مصرى فى موسم الحج القادم ان شاء الله .

الســـــعودية :

● أمر جـــلالة الملك فيصل بصـــرف خمسين تذكرة طيران لأداء فريضـــة الحج هذا العام لخمسين مواطنـــا من ماليزيا اعتنقوا الاسلام مؤخرا .

● حذر وزير النفط السعودى من أن الدول العربيـــة ســـتقطع إمدادات البترول اذا نشبت حرب جديدة فـــى الشرق الاوسط .

وقال : إن هناك احتمال اندلاع مثل هذه الحرب ما لم يتم التوصـــل الى اتفاق حول إعادة الأراضى المحتلة وإعادة توطين اللاجئين .

ســـــوريا :

● احتفلت الجمهورية العربيـــــة الســـورية بالذكرى الأولى لحـــرب رمضان .. وعمت الاحتفالات المدن السورية . .وصرح المسئولون بأن المعركة لم تنته بعد .. وانه لا بد من تحرير كل الأرض وإعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

فلســـــطين :

● وافقت ٦٧ دولة على دعـــــوة منظمة التحرير الفلسطينية لمناقشة القضية الفلسطينية بالأمم المتحدة .. ومن المنتظر أن يزداد عـــدد الدول الموافقة خلال الأيام القادمة .

المغـــــرب :

● استدعت وزارة الخارجية المغربية سفراءها في البلاد العربية للاعـــداد لمؤتمر القمة العربى السابع ، والمقرر عقده يوم ٢٦ أكتوبر فى مدينـــــة الرباط .

أبو ظبى :

● تولى إمارة « الفجيرة » الشـــيخ حامد بن محمد الشارقىخلفا لوالده الذى انتقل الى جوار ربه .

••• ••• •••

نيجيريا :

● بلغ عدد سكان نيجيريا حـــوالى ثمانين مليون نسمة حسب إحصـــاء عام ١٩٧٣م منهم ٧٥٪ مسلمون .

بريطانيـــــا :

● تقـــوم المؤسسة الاسلاميـــة فى بريطانيا بتعـــليم الدين الاســـلامى للطلبة المسلمين فى ٦٣ مدرســـــة حكومية بريطانية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

ايام الاسبوع	شوال ١٣٩٤	اكتوبر ١٩٧٤	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الاربعاء	١	١٦	٢١ ٤	٤٩ ٥	٣٣ ١١	٥٠ ٢	١٧ ٥	٣٥ ٦	٤ ١١	٣٢ ١٢	١٦ ٦	٣٣ ٩	١٨ ١
الخميس	٢	١٧	٢١	٤٩	٣٣	٤٩	١٦	٣٤	٥	٣٣	١٧	٣٣	١٨
الجمعة	٣	١٨	٢٢	٥٠	٣٣	٤٩	١٥	٣٣	٧	٣٥	١٨	٣٤	١٨
السبت	٤	٢٩	٢٢	٥١	٣٢	٤٨	١٤	٣٢	٨	٣٧	١٩	٣٤	١٨
الاحد	٥	٢٠	٢٣	٥١	٣٢	٤٧	١٣	٣١	١٠	٣٨	١٩	٣٤	١٨
الاثنين	٦	٢١	٢٤	٥٢	٣٢	٤٦	١٢	٣٠	١٢	٤٠	٢٠	٣٤	١٨
الثلاثاء	٧	٢٢	٢٥	٥٣	٣٢	٤٦	١١	٢٩	١٤	٤٢	٢١	٣٥	١٨
الاربعاء	٨	٢٣	٢٥	٥٣	٣٢	٤٥	١٠	٢٨	١٥	٤٣	٢٢	٣٥	١٨
الخميس	٩	٢٤	٢٦	٥٤	٣٢	٤٤	٩	٢٧	١٧	٤٥	٢٣	٣٥	١٨
الجمعة	١٠	٢٥	٢٧	٥٥	٣٢	٤٣	٨	٢٦	١٩	٤٧	٢٤	٣٥	١٨
السبت	١١	٢٦	٢٧	٥٦	٣٢	٤٣	٧	٢٦	٢٠	٤٩	٢٥	٣٦	١٨
الاحد	١٢	٢٧	٢٨	٥٧	٣٢	٤٢	٦	٢٥	٢١	٥٠	٢٥	٣٦	١٩
الاثنين	١٣	٢٨	٢٨	٥٧	٣٢	٤٢	٦	٢٥	٢٢	٥١	٢٦	٣٦	١٩
الثلاثاء	١٤	٢٩	٢٩	٥٨	٣٢	٤١	٥	٢٤	٢٤	٥٣	٢٧	٣٦	١٩
الاربعاء	١٥	٣٠	٢٩	٥٩	٣٢	٤١	٤	٢٣	٢٥	٥٤	٢٧	٣٧	١٩
الخميس	١٦	٣١	٣٠	٥٩	٣٢	٤٠	٣	٢٢	٢٧	٥٦	٢٨	٣٧	١٩
الجمعة	١٧	نوفمبر	٣١	٠٠ ٦	٣١	٣٩	٢	٢١	٢٩	٥٨	٢٩	٣٧	١٩
السبت	١٨	٢	٣١	١	٣١	٣٩	١	٢٠	٣١	٠٠ ١	٣٠	٣٨	١٩
الاحد	١٩	٣	٣٢	٢	٣١	٣٨	٠٠	١٩	٣٣	٢	٣١	٣٨	١٩
الاثنين	٢٠	٤	٣٣	٢	٣١	٣٧	٥٩ ٤	١٩	٣٤	٣	٣٢	٣٨	١٩
الثلاثاء	٢١	٥	٣٣	٣	٣١	٣٦	٥٨	١٨	٣٥	٥	٣٣	٣٨	٢٠
الاربعاء	٢٢	٦	٣٤	٤	٣١	٣٦	٥٨	١٨	٣٦	٦	٣٣	٣٨	٢٠
الخميس	٢٣	٧	٣٤	٤	٣١	٣٥	٤٧	١٧	٣٧	٧	٣٤	٣٨	٢٠
الجمعة	٢٤	٨	٣٥	٥	٣١	٣٤	٥٦	١٦	٣٩	٩	٣٥	٣٨	٢٠
السبت	٢٥	٩	٣٥	٥	٣١	٣٤	٥٥	١٥	٤٠	١٠	٣٥	٣٩	٢٠
الاحد	٢٦	١٠	٣٦	٦	٣١	٣٣	٥٥	١٥	٤١	١١	٣٦	٣٩	٢٠
الاثنين	٢٧	١١	٣٧	٧	٣١	٣٣	٥٤	١٤	٤٣	١٣	٣٧	٣٩	٢٠
الثلاثاء	٢٨	١٢	٣٧	٨	٣١	٣٢	٥٣	١٤	٤٤	١٥	٣٨	٣٩	٢٠
الاربعاء	٢٩	١٣	٣٨	٩	٣١	٣٢	٥٣	١٣	٤٥	١٦	٣٨	٣٩	٢١
الخميس	٣٠	١٤	٣٨	١٠	٣١	٣٢	٥٢	١٣	٤٦	١٧	٣٩	٣٩	٢١

أم المؤمنين السيدة زينب بنت خزيمة
رضي الله عنها

اسمهـــــا : زينب بنت خزيمة بن عبد الله بن عمر بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية وهى أخت ميمونة بنت الحارث لأمها .

زواجهـــا : كانت زوجة لعبد الله بن جحش فاستشهد بأحد فتزوجها النبى صلى الله عليه وسلم .
وقيل كانت زوجة للطفيل بن الحارث ومن بعده تزوجت أخاه عبيدة بن الحارث فقتل عنها ببدر ، ثم تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم ودخل بها بعد دخوله على حفصة بنت عمر رضى الله عنها وكان ذلك فى رمضان سنة ثلاث .

فضلهـــا : كان يقال لها أم المساكين لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم .

وفاتهـــا : بقيت فى بيت النبوة شهرين أو ثلاثة وقيل ثمانية اشهر وماتت فى ربيع الثانى سنة أربع وكانت الزوجة الثانية بعد السيدة خديجة التى ماتت فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم .
انتقلت الى جوار ربها وكان عمرها ثلاثين سنة فرضى الله عنها وأرضاها .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر مليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصــــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيــــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغــازى : مكتبة الخــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

المغــرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شــارع فرنســا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمــان : وكالة التوزيع الأردنيــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جــدة : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العــراق : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحــرين : المكتبة الوطنية : شارع بــاب البحرين .

قطــر : الدوحــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبــى : مطبعة دبى .

الكــويت : مكتبة الكــويت المتحــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

ع هذا العدد :
رسـالة الحج ـــ هدية

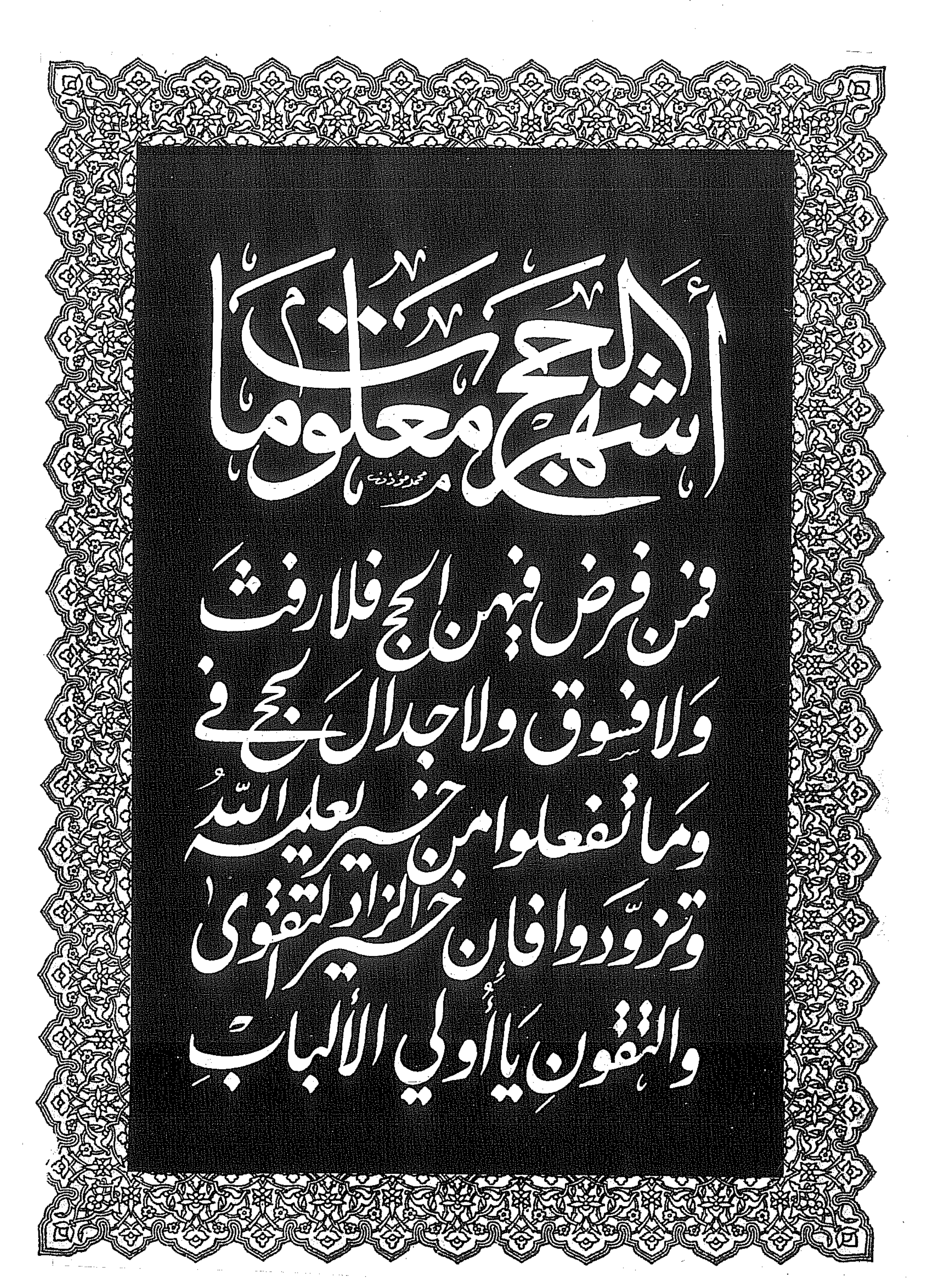
الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

وأذان من الله ورسوله إلى الناس

يوم الحج الأكبر

أن الله بريء من المشركين ورسوله


الحج أشهر معلومات
فمن فرض فيهن الحج فلا رفث
ولا فسوق ولا جدال في الحج
وما تفعلوا من خير يعلمه الله
وتزودوا فإن خير الزاد التقوى
واتقون يا أولي الألباب